مجموعة وقائع طبية

الكتاب الرابع

د. مرسى عرب

سفراء لإفريقيا فى ملابس بيضاء

مجموعة وقائع طبية

الكتاب الرابع

سفراء لإفريقيا

فى

ملابس بيضاء

د. مرسى عرب

الناشر مؤسسة حورس الدولية

للنشر والتوزيع

١٤٤ش طيبة . سبورتنج . الأسكندرية

رقم الإيداع

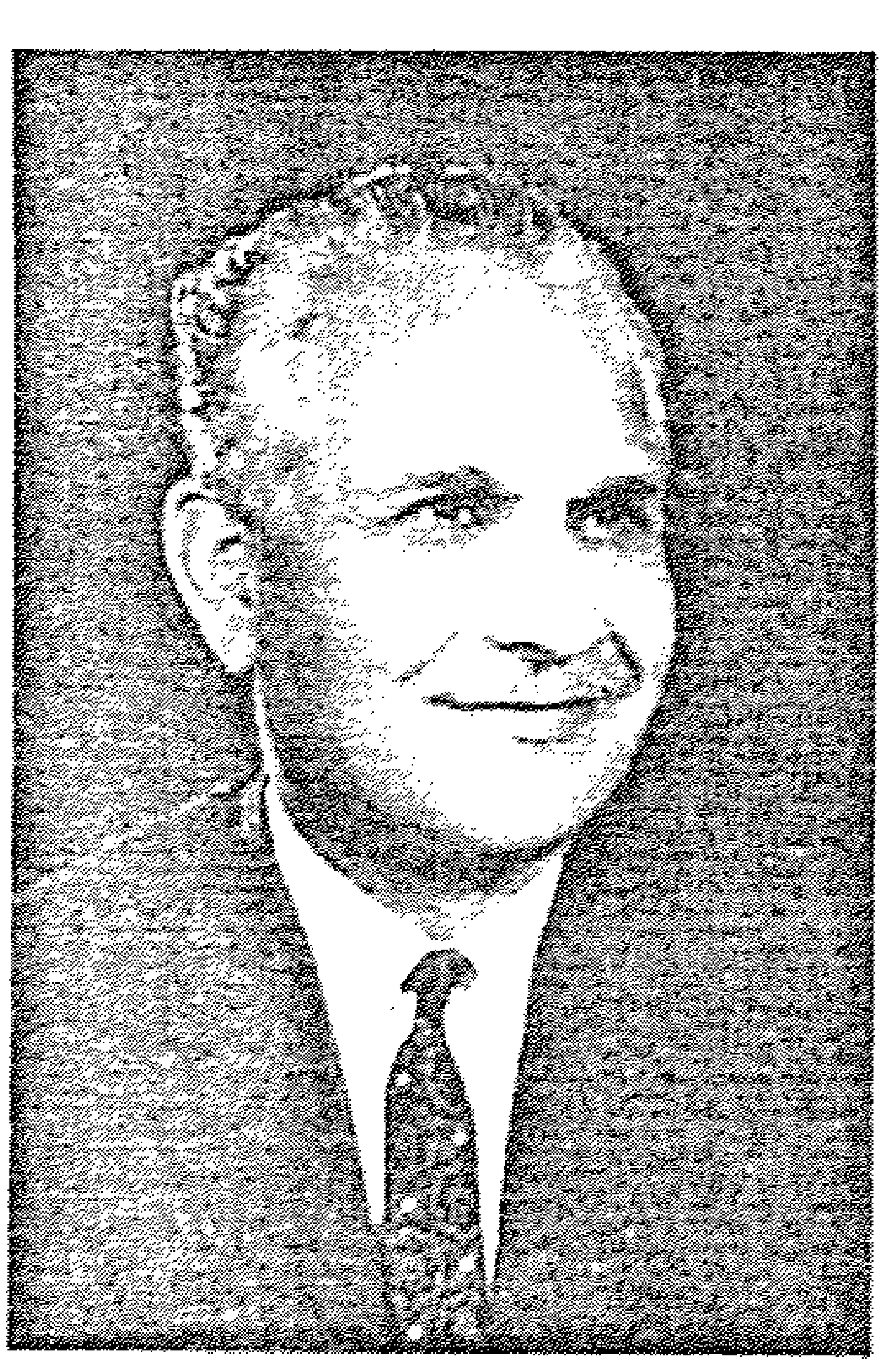
٢٠٠٠/١٧٩٦٨

الترقيم الدولى

977-5902-48-7

المحتويات

إهـــــداء

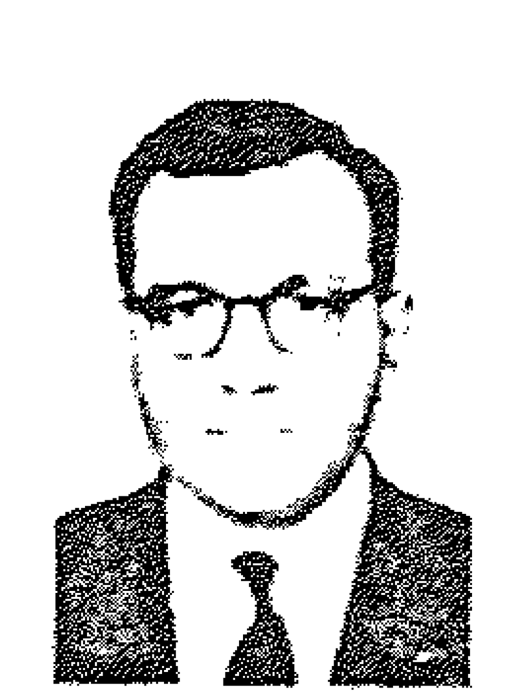


الى الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد درويش

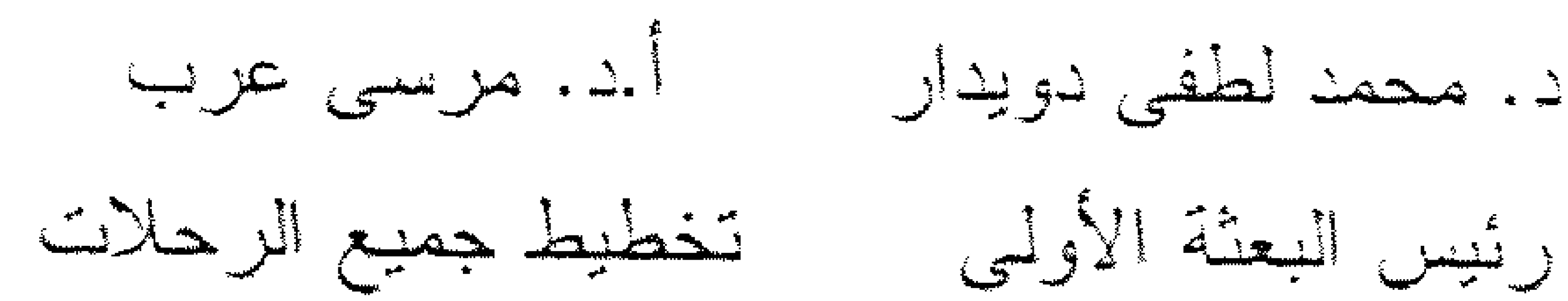
عميد كلية طب الأسكندرية عام ١٩٧٠

الذى لولا تشجيعه ودعمه لفكرة إيفاد بعثات من الكليـة للدول الإفريقية الصديقة لما قدر لهذا العمل أن يرى النور .

الفريق الرائد   البعثة الأولى

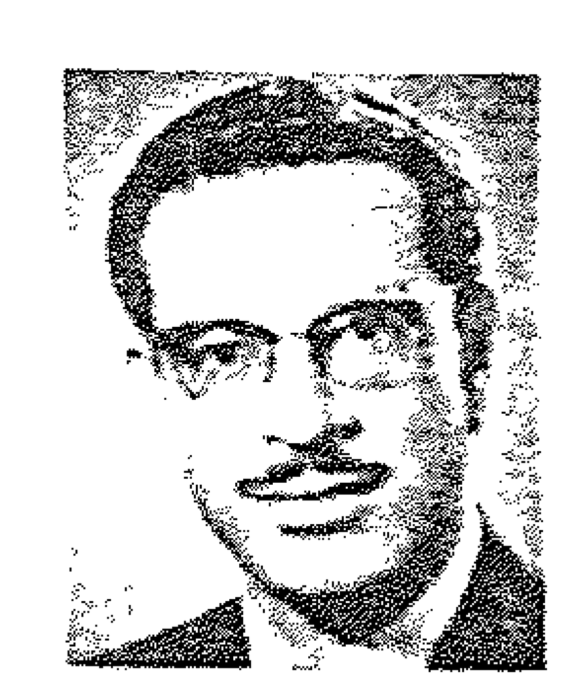






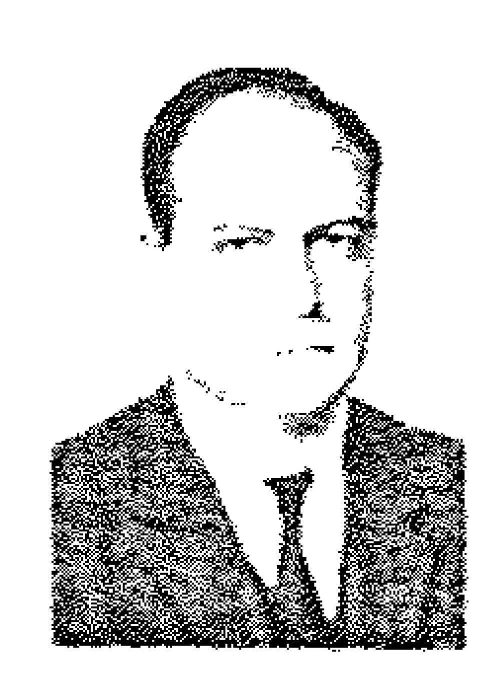
أ.د. محمد لطفى دويدار — أ.د. مرسى عرب

رئيس البعثة الأولى — تخطيط جميع الرحلات



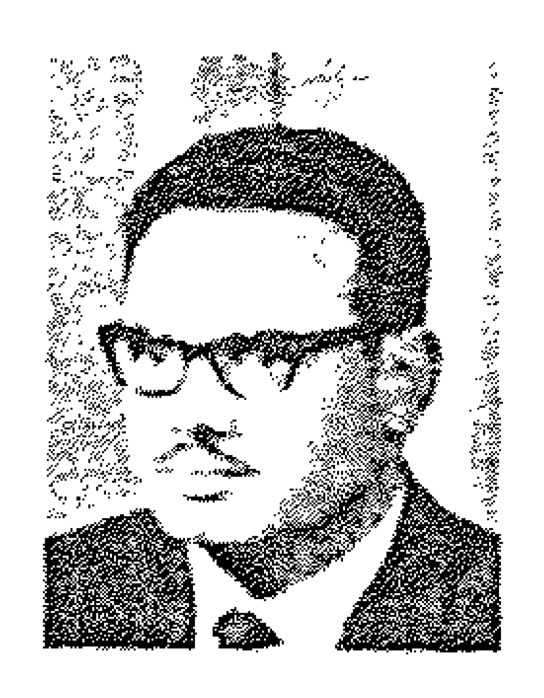
د. عمر شافعى

ارك فى جميع الرحلات



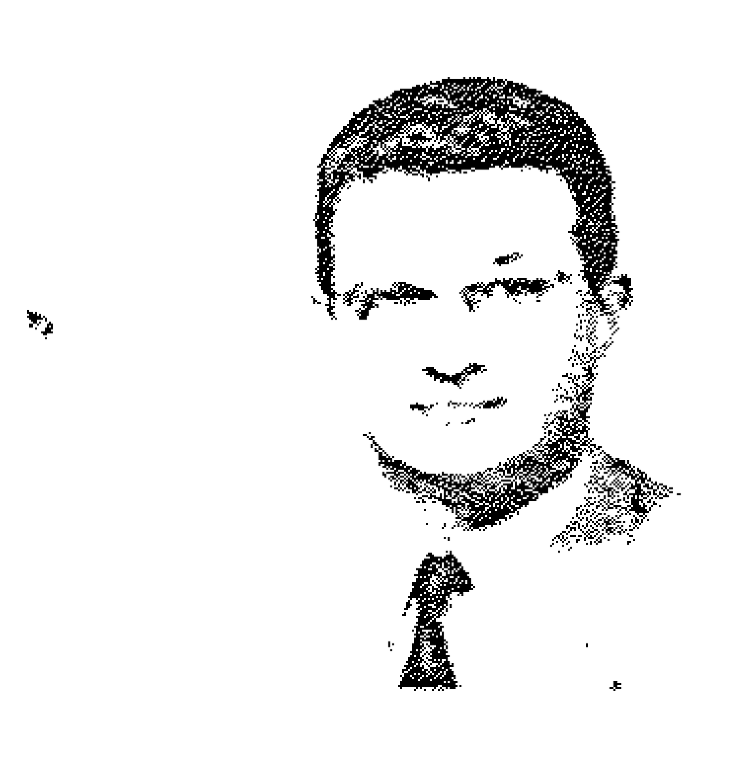
أ.د. رفيق زاهر

رئيس البعثة الثالثة



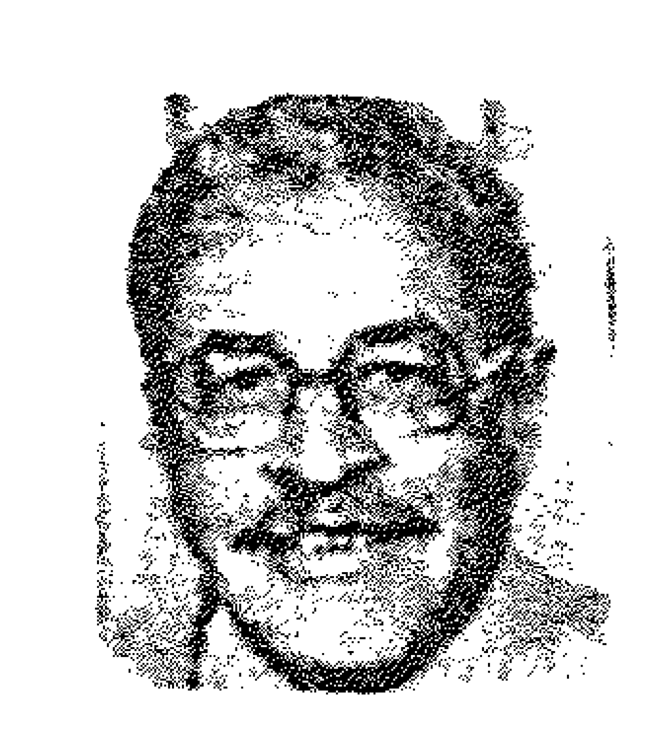
أ.د. محمود فريد

البعثة الأولى والثانية



أ.د. أحمد قرة

البعثة الأولى والثانية



أ.د. جلال عارف

البعثة الأولى



أ.د. جمال عزب

البعثة الأولى والثانية

أعضاء البعثات الثانية والثالثة



أ.د.جمال مسعود

رئيس البعثة الثانية



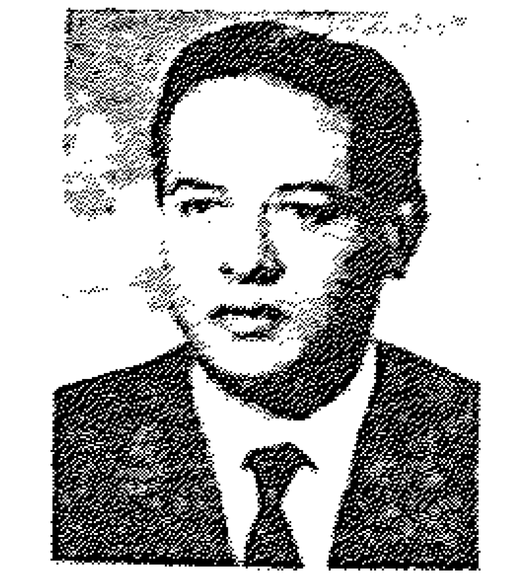
أ.د. احمد جعفر



د. نبيه سلامة



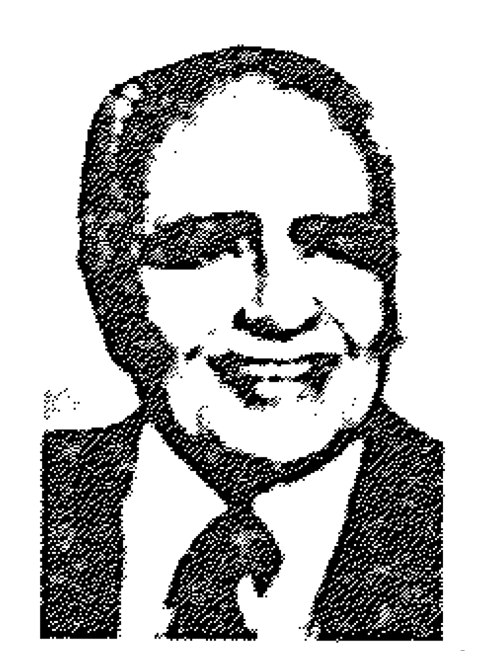
أ.د. عادل رمضان



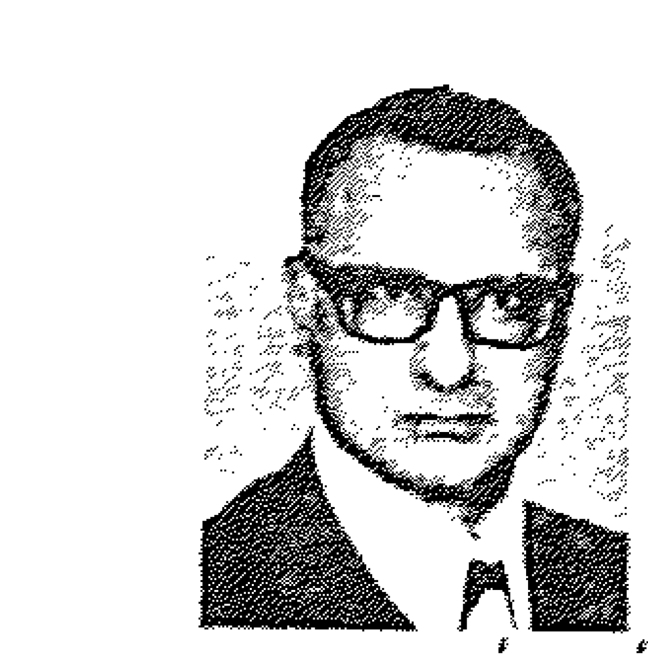
أ.د. عبد الحميد الشواربى



أ.د. فوزى نعمة الله



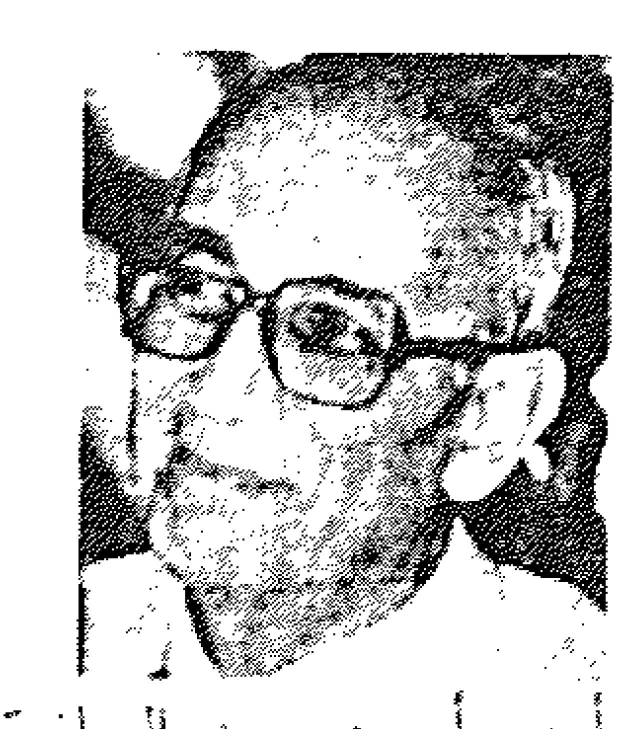
أ.د.يوسف جميعي



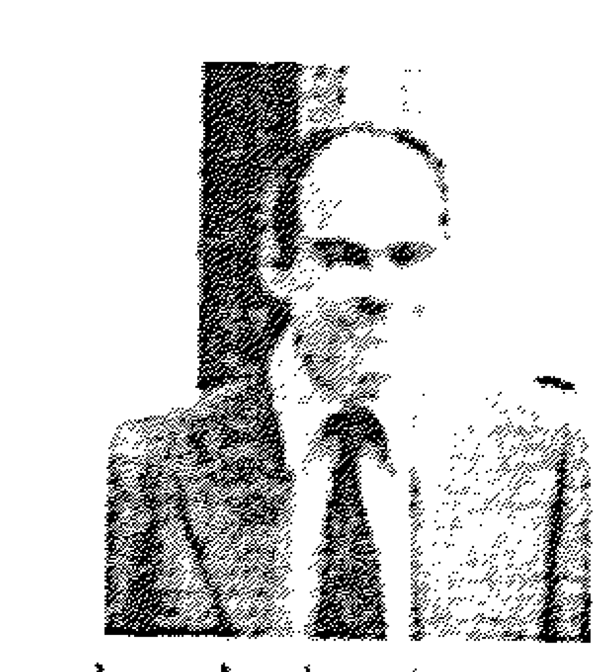
أ.د. أحمد رجب مرسى



د. نوال قاسم



أ.د. أحمد عبد الرازق

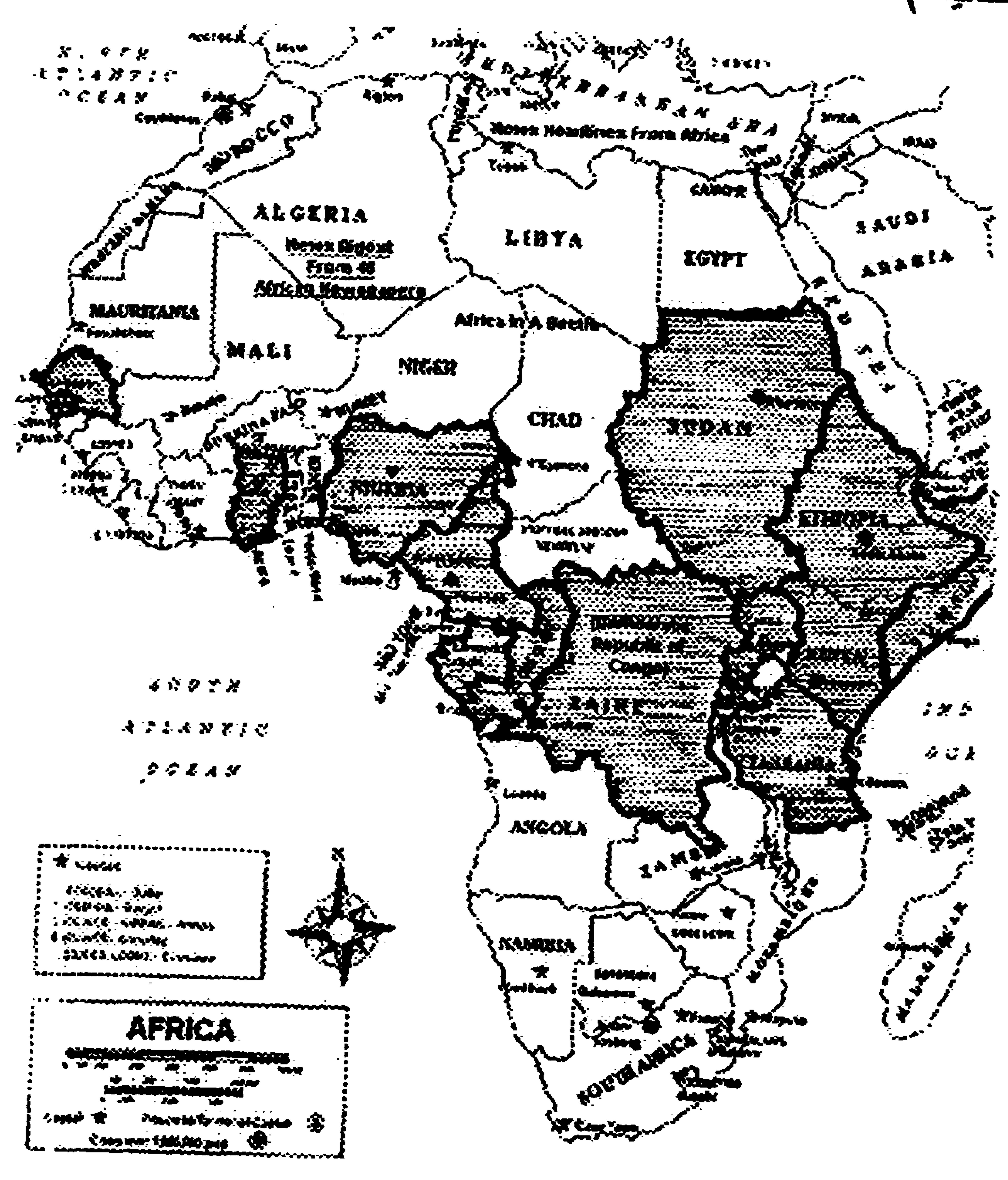


د. اسماعيل حلمى



أ.د.ماجدة ميشيل

خريطة إفريقيا مبينًا بها مجموعة الدول- ١٥ دولـــةالتى غطتـــها البعثـــات الثلاث (مع ملاحظة أن بعض الدول تمت زيارتها أكثر من مرة فى رحـلات متتالية)



مقـدمـــة

أستطيع أن أزعم بأننى قــد قمــت بــدور سياســـى متواضع فى دعم العلاقات الطيبة بين مصر والعديـــد مــن الدول الافريقية فى الوقت الذى كانت هذه العلاقات فى حالــة نموها المبكر وقبل أن تصل إلى مراحلها الممتازة التى بلغت بمصر فى العهد الحاضر إلى مركز القيادة والتأثير فى القارة الافريقية ليس فقط على المستوى السياسى وإنما أيضـــا فـــى مختلف المجالات الثقافية والفنية والاجتماعية والعلمية .

ولهذا كله قصة طويلة لها فصــول متعــددة، مليئــة بالمواقف المثيرة وبـــها الكثـــير مـــن الـــدروس المســتفادة والتجارب العميقة التى تستحق أن تسجل وأن تـــروى علـــى لسان أحد صناع الأحداث فى هذه القصة .

كما أن هذه القصة فى تقديرى هى صفحة ناصعـــــة البياض من تاريخ كلية طب الاسكندرية وأحد الأدوار الرائدة لهذه المؤسسة العلمية التي لم يسبقها فى مثله أى مؤسســـات جامعية أخرى .

وإذا كانت الأقدار قد رســـمت لـــى أن ألعــب دور المايسترو فى أحداث هذه القصة التاريخية التى تمت علـــــى

وجه طيب كمعزوفة سيمفونية رائعة منذ اللحظة التى ولـــدت فيها الفكرة وحتى بلغت أوج نجاحها فى ختام مراحلها، فـــإن الواجب يقتضى أن أرجع فضل تحقيق التنفيذ الفعلى لـــــهذه المهمة إلى أستاذنا العظيم الراحل الأستاذ الدكتور أحمد السيد درويش الذى لولا وجوده فى موقع القيادة كعميد لكلية طـــب الاسكندرية عندما طرحت عليه فكرة ســفر مجموعــة مــن أساتذة كلية الطب إلى عدد من الدول الافريقية كبعثة صداقــة علمية طبية – لولا وجوده فى ذلك الموقع ودعمــــه للفكــرة وتحمسه لها كما سيرد بالتفصيل فى الوقــائع التــى ســوف يرويها هذا الكتاب لما تحقق أى شىء من كــل ذلــك فــهو صاحب الفضل بعد الله سبحانه وتعالى – فيما أكرمنا الله بــه من توفيق ونجاح .

ولقد رأيت أن أضع هذه القصة فى سياق المجموعــة من الأحداث التى أطلقت عليها " وقائع طبية " والتـــى هـــى مزيج من التسجيل التاريخى لأحداث كان ولابد من تســجيلها قبل فوات الأوان واختفاء أبطال تلك الأحداث واحـــدا بعــد الآخر ومن خلال التجارب الشخصية التى رأيت أن بها مـــن المعانى والقيم مايستحق أن تنتفع به أجيال أخرى لتستلهم منه

هذه الأجيال مايمكن أن يفيد الوطن وأنَ يفيد القارىء الكريـــم أيضا، آملا فى أن يكون أسلوب سرد هذه الوقـــائع مقبــولا ومشوقا فى الوقت الذى يكون فيه موثقا بقدر ما أستطيع •

وبالله التوفيق •

د•مرسى عرب

ميلاد فكرة

عندما اقتربت من مكتب عميد كلية الطب الأستاذ الدكتور أحمد السيد درويش،وكان ذلك فى صباح يوم مشرق من أيام شهر أبريل ١٩٧٠،كنت أريد أن أتحقق من أنه وحده فى مكتبه وهـــو أمر كان قليل الحدوث، لأنه رجل مفتوح القلب علـــى الجمـــاهير ومكتبه دائما أشبه بدوار العمدة٠٠٠ وهـــو مايناســب طبيعتــه تماما٠٠٠٠٠٠٠

ولكننى فى ذلك اليوم كنت أريد أن ألتقى به على انفــراد لأعرض عليه فكرة خطرت ببالى، وكان علىّ أن أطرحها عليـــه بمقدمات أعددت نفسى لها إعدادا جيدا، وبحيثيـــات أدعـم بـــها ماسوف أتقدم به من طلبات آملا أن يستجيب لها٠

ومع أهمية القضية التى كنت سوف أطرحها على الســيد العميد فلم يكن فى نفسى أى هيبة من الموقف، فقد كانت العلاقـــة الحميمة بينى وبينه تتجاوز بدرجة كبيرة العلاقة التقليديـــة بيــن أستاذ وأحد تلاميذه المعجبين بشخصيته والموقرين له إلـــى حـد كبير فى إطار من المحبة الصادقة والعميقة ٠

كنت فى ذلك الوقت أستاذا مساعدا بالكلية ولكن جـــذور العلاقة الحميمة بينى وبين أستاذى أحمد السيد درويش كانت تمتـد إلى مرحلة التلمذة قبل التخرج حيث كانت رعايتــه مــع طائفـة

أخرى من الأساتذة لنشاطنا الطلابى سببا فـــى تـــأكيد محبتنـــا واحترامنا له، ثم تطورت من الأحسن إلى الأحسن عبر الســنوات التالية حيث عملت بعد التخرج طبيب امتياز ونائبا ثم انضممـــت إلى هيئة التدريس، وكنت دائما فى كل هذه المراحل قريبـــا مـــن الأستاذ درويش، وعملت معه مباشرة فى مراحل كثيرة فى القســم الذى كان يرأسه ٠ وكنت على يقين من أنه يكن لى الكثير مــــن مشاعر المودة والمحبة والرعاية ٠٠٠ وعلى ذلك فلم تكن هنـــاك أى مصاعب عندى فى أن أبدأ معه حوارا فـــى موضـــوع هـــام كالذى كنت فى سبيلى لأعرضه عليه ٠

وكنت من طول معرفتى وعمق خبرتى بطبيعة الأســـتاذ درويش أعلم أنه رجل عنيد وشديد الصلابـــة، قـــوى الحجـــة إذا تحدث، وهو يستطيع أن يقنع محدثه دائما بوجهة نظره و يستطيع أن يجذب إليه بسهولة السامعين فى أى مجلـــس ليوافقـــوا علـــى مايطرحه من أفكار، وهو عنيد أيضا فى الدفاع عن وجهة نظـــره وسحق خصومه فى الرأى بقوة الحجة والفصاحة فـــــى البيـــان، ولكننى كنت أيضا أعرف أنه إذا اقتنع برأى مخـــالف أو علـــى الأصح إذا استطاع محدثه أن يقنعه بوجهة نظر مغايرة لما يتبنـــاه هو من رأى أو موقف فإنه على استعداد لقبول التغيير، فهو قـــادر على التنازل عن موقفه والانتقال بنفس الصلابة والقوة للدفاع عن

الرأى الآخر الذى أصبح يقتنع به ... هـــذا إذا مــاقتنع حقــا ....وكنت أتوقع وأنا قادم لأطرح فكرة جديدة بها الكثير مـــن المغامرة بمقاييس ذلك العصر، على أى رئيس عادى أن يكـــون من الطبيعى جدا أن أواجه بالرفض أو بعدم الاهتمام أو التشـــجيع فى المرحلة الأولى على الأقل، ولكننى فى ذلك اليوم كنت أعـــد نفسى لمناورة المرحلة الثانية وهى إقناع العميد وتحويله للـــرأى الآخر ....

وللحقيقة والتاريخ أننى لم أحتج وقتئذ لكل هذه التكتيكات، فقد ذهبت إلى العميد لأعرض عليه فكرة أن تقـــوم بعثـــة مـــن مجموعة من أعضاء هيئة التدريس من كلية طب الاسكندرية التى يجلس هو فى مقعد القيادة بها، بزيارة إلى مجموعة مـــن الـــدول الإفريقية لاستعراض الإمكانيات العلمية والطبية المصرية هنـــاك وتكون فى الوقت ذاته بعثة صداقة تنمى الروابط الثقافية والعلمية والسياسية بين مصر والدول الإفريقية.

وبمقاييس هـــذا الوقـــت، الـــذى كـــانت القيـــود علـــى السفر فيه لازالت شديدة، والرؤية غـــير واضحـــة، والظـــروف الاقتصاديـــة ضيقـــة والمـــوارد المتاحـــة محـــدودة، والتجربـــة السابقة فـــى مثـــل هـــذه الأمـــور منعدمـــة، والجـــو السياســـى الداخلى والخارجى ملبـــد بـــالغيوم، ومصـــر كلـــها فـــى فـــترة

مابين هزيمة ال٦٧ وقبل انتصار٧٣ فى حالـــة غـير واضحـــة المعالم بكل المقـــاييس • وتحـت هـذه الظـروف كلــها كـــان عرض مثل هذه الفكرة فـــى حــد ذاتــه ضربـــا مـــن الجنـــوح لمغامرة تحتاج إلى شـــجاعة وإقـــدام • • •

وأقول بعد مضى ثلاثين عاما على هذا اللقاء أنه لم يكـــن صعبا كما كنت أتصور وأعد نفسي لذلك، بل إننـــــى بمجـــرد أن عرضت الفكرة وجدت من العميد أذناً تصغى جيدا، فأخذت أشرح للأستاذ أحمد السيد درويش تفاصيلها ورؤيتـــى الشـــاملة لكيفيـــة تحقيقها، ووجدته على الفور يبدى لها قبولا حسنا، بل ويتحمـــس لها تحمس من يتلقى فكرة من الغير تكاد أن تكون صدى مطابقـــا لفكره• • • وهكذا انفتحت أمامى الأبواب فجأة بلا مجهود كبــــير فى محاولة إقناع الرجل المسئول بماجئت أعرضه عليه • • فقـــد اقتنع على الفور وانتهت المقابلة التى دامت حوالى نصف ســـاعة دون أن يقاطع لقاءنا أى دخيل، انتهت برسم الخطة للتنفيذ• • •

أصل الفكرة :

ولكن كيف بدأت فكرة قيام وفد مـــن أســـاتذة كليـــة طـــب الاسكندرية بزيارة مجموعة من الدول الافريقية على هيئة بعثـــة صداقة طبية تؤدى دورا علميا ثقافيًا اجتماعيًا ذو تأثير سياســـى غير مباشر ؟

الحقيقة أننى منذ سنوات قليلة سبقت ذلك،كنت منبهرا بزيارة قام بها فريق من الأطباء الأجانب ـ وأظنهم كانوا أمريكيين – للكلية، وكان هذا الفريق مكونا من عدد من الجراحين قدموا لإجراء بعض العمليات الدقيقة وإعطاء بعض المحاضرات، وكان الفريق متكاملا بحيث يضم إلى جانب الجراحين أخصائيين فى التخدير وفريقا من الممرضات على المستوى العالمى حتى يضمن الفريق أداء ناجحا، ولا أذكر الآن تحت أى نظام من التبادل الثقافى والعلمى تم حضور هذه البعثة الأمريكية ولم أشارك بنفسى مباشرة فى النشاط العلمى والاكلينيكى المتصل بأعمال هذا الفريق إلا أن الفكرة كانت تسيطر على جانب كبير من اهتمامى، فقد حققت هذه الزيارة انبهارا من جانبنا بالتقدم العلمى والتكنولوجى الذى رأيناه أو سمعنا عنه من واقع النتائج التى حققتها هذه الزيارة وبنجاح العمليات التى أجريت وأداء الفريق المتكامل والمنظم الذى أدى إلى هذا النجاح ٠

وعندما اختمرت فى ذهنى فكرة قيام فريق منا نحن المصريين هذه المرة، أى من كلية طب مصرية إلى كليات طب فى دول افريقية، كنت أتصور ـ وقد تحقق تصورى بالفعل بعد ذلك ـ أن بعثة مصرية على نفس النمط، أى تتكون من فريق عمل متكامل، سوف تعطى أثرا مبهرا فى إفريقيا السوداء لايقل

عن الأثر الذى أحدثته زيارة الفريق الأمريكى لمصر • وكنـــت بالطبع أتصور مدى الفائدة القومية والسياسية التى يمكن أن تتحقق بعد ذلك لو كتب لهذه الفكرة النجاح •

لقد كان عندنا فى الاسكندرية فى السبعينات جراحون مرموقـــون فى الفروع الدقيقة كجراحات الصدر والقلب والأوعيـــة الدمويـــة والمخ والأعصاب، وكان من الطبيعـــــى أن تكـــون مثـــل هـــذه التخصصات هى العمود الفقرى لتكوين بعثة طبية مبهرة يمكننـــا إرسالها للدول الافريقية التى لم يكن العديد منـــها قـــد بـــدأ بعـــد التعرف على هذه التخصصات الدقيقة •

ولهذا فقد استقر تفكيرى أن يكون تكوين الفريـــــق مـــن أساتذة هذه التخصصات كنواة يضاف إليها من يلزمهم أيضا مـــن أساتذة التخدير،ثم بعض تخصصات أخرى قد لاتكون مبهرة مـــن حيث النوع ولكن من حيث عمق التقدم الذى نكون قد وصلنا إليـــه فيها والذى كان بلاشك سيفوق مثله فى الدول الافريقية وكليـــــات الطب المستحدثة بها •

من أى مستوى يتكون أفراد الفريق :

كنت فى ذلك الوقت أستاذا مساعدا للأمراض الباطنـــــة، وكنت قد اتجهت منذ سنوات عديدة سابقة للتخصص الدقيق فـــــى مجال مرض السكر منذ عودتى من الخارج فى أوائل الستينيات.

وعندما كانت فكرة تكوين البعثة الطبية لافريقيا تتكـــامل في مخيلتي كان من الطبيعي أن أفكر في اختيار أفراد الفريق من نفس الجيل الذى أنتمى إليه، أى جيل الأساتذة المساعدين .

ولم يكن هذا التقدير انحيازا أعمى لجيلي، بل كان نتيجة لحسابات قدّرتها وقتذاك وهى أن الأساتذ المســـاعدالمتخصص فـــى أحـــد الفروع الطبية هو شخص على درجة كبيرة وكافية من الخــــبرة نستطيع أن نحقق بها الإبهار الذى نستهدفه، لأننا بالطبع لم نكـــن لنرسل إلى الدول الأقل تقدما منا مبتدئين يرتكبون من الأخطاء ما قد ينشأ من قلة خبراتهم وقصر عمر تجاربهم، ولقد كـــان مـــن الممكن على أساس ذلك التفكير أن يكون الاختيـــار علـــى وجـــه أفضل من مستوى الأساتذة وليس من الأساتذة المساعدين .

غير أن الفكرة التى كانت تسود وقتها بحكـــم خبراتنـــا المحدودة فى السفر والمعلومات المشوشة عن واقع الأحوال فـــى الدول الأفريقية كانت تؤدى بنا إلى تصـــور أن زيـــارة الـــدول الإفريقية سوف تكون مغامرة لايستطيع تحمل آثارهـــا المرهقـــة الأساتذة الذين هم بالطبع أكبر سنا وأقل مقدرة على تحمل متاعب السفر وارتياد مايمكن أن نضطر لارتياده من غابات ومجاهل فى القارة الإفريقية السوداء، التى كانت صورتها فى أذهاننا يحدذهـــا

ماكنا نشاهده فى أفلام السينما عن تلك القارة المجهولة منا إلى حد كبير ...

وبناء على ذلك قمت باختيار مجموعة من زملائى الأساتذة المساعدين فى جراحات التجميل والمخ والأعصاب والتخدير وجراحة العيون .

وكان لابد بالطبع من أن ينضم لهؤلاء أيضا باطنيون على مستوى عال، وإلا فكيف يكون لى مكان فى هذا الفريق !! وكان لابد أيضا أن يكون الفريق الممتاز متجانسا متفاهما، ومن حسن الحظ أننى استطعت أن أقوم وحدى باختيار أعضاء الفريق بعد أن تم التفاهم بينى وبين كل منهم والتحقق من تحمسه للمشاركة وإستعداده لتحمل أعباء هذه المهمة بما فى ذلك ما قد نضطر له من تمويل السفر من إمكانياتنا الخاصة المتواضعة .

السفر والمغامرة والمتعة :

ومع أن التفكير ثم التخطيط المحكم والتنفيذ الدقيق الذى انتهى بنجاح منقطع النظير للبعثة الأولى والبعثات التالية كما سيرد فى الفصول القادمة هى جميعا من أعز ما إعتز به من انجازات حياتى العلمية والثقافية والقومية، إلا أنه من الأمانة أيضا أن أذكر أن أحد الدوافع التى كانت تشجعنا أنا وزملائى أعضاء البعثة الأولى هى الرغبة الشخصية الشديدة فى السفر للخارج

والانفتاح على الدنيا إلى جانب الشوق إلى ممارسة التجربة التى كنا لانزال فى تعطش شديد لها بعد القيود الشديدة على السفر التى عانينا منها فى الستينيات،فقد كان خروج أحـــد أعضـــاء هيئـــة التدريس فى بعثة علمية أو لحضور مؤتمر علمى أمرا فى غايـــة الصعوبة، ويحتاج لتأشيرات لاحصر لها بل إن الأمر كان قد بلـغ فى بعض الأوقات ضرورة الحصول على موافقة رئيس الـوزراء نفسه، إلى غير ذلك من شتى صنوف التعذيـــب والإحبـــاط لأى راغب فى السفر • وهكذا كـــانت رحلتنـــا إلـــى إفريقيـــا حلمـــا ضخما،ونجحنا فى تحقيقه لحققنا أهدافا علمية وقوميـــة رائعـــة، وفخرا لجامعتنا لما فيه من ريادة، إلى جانب متعة شخصية لنـــا • وكنا وقتئذ على استعداد للمغامرة وتحمل مشقة الرحلة التى لـــم نكن بالطبع نتوقع أن تكون مثل الرحلات إلى أوروبا أو لحضـور مؤتمر علمى يكون كل شيء فيه منظما ومنسقا بصورة واضحة •

العميد يعطى الضوء الأخضر :

وأعود بعد ذلك إلى لقائى مـــع الأســـتاذ أحمـــد الســـيد درويش • • •

فبعد أن رأيت فى عينى الأســـتاذ درويـــش رحمـــه الله تلك النظرة التى أعرفـــها جيـــدا وهـــو يكـــاد أن يخـــترق بـــه رأسى ليقرأ خواطرى وأفكـــارى، ويبعـــث فـــى الوقـــت نفســـا

إلى هذه الرأس شعورا بالدعم والمؤازرة وليس فقط القبول والتشجيع ....

قال رحمه الله : اسمع جيدا، أنا أرى أن فكرتك رائعة، وفى تقديرى أنها ممكنة التحقيق، ولكن الأمر لن يكون يسيرا عليك ولا علىّ أنا أيضا، ولكننى مقتنع تماما بها وموقن بنجاحها وعليك أن تضع الفكرة على الورق وتقدمها لى وسأقول لك ما سوف نتخذه معا بعد ذلك لتحقيقها.

ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى كانت خطوط الفكرة مكتوبة فى صفحتين أمام العميد وكانت تنطوى على الخطوط العريضة التنفيذية الأولية:

١. يتكون الفريق المقترح للبعثة من الأساتذة المساعدين : د.فريد مصطفى (جراحة التجميل) د.جمال عزب (جراحة المخ والأعصاب) د.أحمد قرة (جراحة العيون) د.جلال عارف (التخدير) د.عمر شافعى (جراحة الجهاز الهضمى) د.رفيق زاهر (الأمراض الباطنة والكبد) د.مرسى عرب (الأمراض الباطنة- مقررا للمجموعة) .
٢. تستهدف البعثة زيارة الدول الافريقية التالية : السودان اثيوبيا - الصومال – تنزانيا –كينيا – أوغنده. (أى مجموعة دول شرق إفريقيا)

٣. مدة الرحلة حوالى شهر بمتوسط ٤-٦ أيام فى كل دولة
٤. الالتزام بتحمل النفقات أو تدبير الموارد بأنفسنا •

ألقى العميد نظرة سريعة على المشروع المكتوب وطوى الأوراق بهدوء ثم قال : اسمع، أريد منك أن تتوجه لمقابلة مدير الجامعة (كما كان يسمى فى هذا الوقت وليس رئيس الجامعة كما هو الآن)، وكان هو الأستاذ الدكتور حسن بغدادى رحمه الله، وأن تعرض عليه الفكرة بنفسك وبنفس الأسلوب الذى عرضتها به علىّ وتحاول أن تحصل على موافقته، ثم اترك الخطوات التالية لى وسأكون إلى جوارك ••••

وكان ذلك بالطبع شيئا غير مألوف، بل ويتعارض مع النظام الادارى التقليدى الذى يقتضى أن يتعامل أعضاء هيئة التدريس بالطريق المتسلسل مع الرئاسات وخاصة فى موضوع مثل هذا الموضوع الذى كان يستدعى أن يحول عميد الكلية الأوراق التى قدمتها مشفوعة بتأشيرة الموافقة أوعدم الموافقة إلى مدير الجامعة للنظر ••• ولكننى فهمت الحكمة فيما أشار به الأستاذ درويش ولم أناقشه فقد كنت أسمع من الحكايات مايشير إلى نوع من التصادم فى الرأى بين عميد كلية الطب وبين مدير الجامعة فى مواقف متعددة، ولم يكن ذلك لمن يعرف شخصية كل منهما بغريب، فالأول ذو شخصية قيادية طاغية والثانى رجل

يميل إلى الهدوء والوداعة ٠٠٠ وهكذا فهمت الرسالة التـــى لــم يقلها الأستاذ العميد وهى "إذهب بنفسك حتـــى لايكــون عــرض الفكرة بواسطتى سببا فى رفضها من جانب مدير الجامعة ٠٠٠٠"

وذهبت بالفعل إلى مدير الجامعة الأستاذ بغدادى حــاملا طلبا مكتوبا يتضمن فكرة إرسال الوفد باعتبار أننا فريـــق مــن الأساتذة المساعدين نريد أن نؤدى هذه المهمة ولانستهدف بــها إلا الخدمة القومية ونستأذن السلطة الجامعية فى السماح لنـــا بذلــك والإذن لنا فى السير فى إجراءات إعداد الرحلة ٠ وكنــت علـــى حذر شديد فى كلماتى متوقعا معارضة بصورة أو بأخرى، غــير أننى فوجئت بأن الأستاذ بغدادى رحمه الله كان مســتمعا جيــدا، ورقيقا فى ترحيبه بالفكرة وتشجيعه، ولكنه قال لى فى النهاية بأنه يوافق عليها ولكنه لابد أن يحصل أيضا على موافقة وزير التعليم العالى لأن الأمر سوف يتعلق بجانب سياسى وعلاقات خارجيـــة بدول أجنبية ومن المحتم استئذان الوزير ٠٠٠

وعدت سعيدا أزف هذا النبأ إلى الأستاذ درويش العميــد ورأيت من ملامح وجهه أنه كان يعرف، وربما يكـــون رئيــس الجامعة قد اتصل به وناقشه فى الموضوع وأخطـــره بموافقتــه وبأنه فى سبيل الاتصال بالوزير ٠

وزير التعليم العالى يضع بعض الشروط :

استدعانى العميد بعد عدة أيام إلى مكتبه ليقول لى أن وزير التعليم العالى اتصل بالجامعة وبالكلية وأبدى موافقته على السماح لنا بالقيام بهذه البعثة العلمية تحت راية الجامعة، بشرطين: الأول أن يكون رئيس البعثة أستاذا، والثانى أن نحدد للوزير مصادر تمويل هذه الرحلة •

كان وزير التعليم وقتذاك هو الأستاذ الدكتور عبد الوهاب البرلسى• وبناء على توجيهات العميد قررنا معا قبول الشرطين الذين اشترطهما وكان علينا بالفعل أن نجد الأستاذ الذى يقبل الانضمام إلى الوفد الذى سوف يقوم بمهمة من المتوقع أن تكون شاقة، وأن نستكمل أيضا إعداد الموارد المالية حتى لانتكلف بأنفسنا مالاطاقة لنا به •

ولم تكن مهمة اختيار رئيس البعثة سهلة، وقد اتجه تفكيرى على الفور إلى الأستاذ الذى كنت أعتبره مناسبا جدا وهو الأستاذ الدكتور جمال هنو، وقد كان ولايزال بحمد الله قريبا جدا إلى نفسى، وهو يتمتع بخاصية جذابة لأنك تشعر دائما وأنت تتعامل معه - وبوجه خاص فى السفر - أو فى ممارسة أى نوع من النشاط العلمى أو الثقافى بأنك تتعامل مع صديق أو زميل بلا فارق فى السن

أو الأقدمية، ولايملك كـــل مـــن يتعـــامل معـــه إلا أن يمنحـــه الحب والاحـــترام ٠٠٠

ولكن الأستاذ جمال هنو اعتذر وقتها، ولا أعرف مـــا إذا كانت له ظروف خاصة استدعت منه هذا الاعتذار فى ذلك الوقت ولكن المؤكد أنه ظل يردد أمامى مرات عديدة بعد ذلك أنه قد ندم أشد الندم على أنه لم يوافق على رئاســـة بعثتنـــا الأولـــى إلـــى افريقيا٠٠ وعلمت بعد ذلك أن الأستاذ الدكتور عمر الجارم أستاذ الأمراض العصبية والشاعر المرموق وكان شخصية محببة لنـــا أيضا، أبدى رغبته فى أن يتولى هذه المهمة ولكن الأستاذ درويش لم يكن يعتقد أنه الشخص القادر على تحمل مشاق السفر فى هـــذه الرحلة ٠٠٠

وأخيرا جاء الفرج من أوسع أبوابه عندما عرض العميـــد على الأستاذ الدكتور لطفى دويدار، رئيس قسم الجراحة فى لقـاء بالصدفة بينهما أن يتولى هذه المهمة فرحب بها الأستاذ دويـــدار، وهكذا تم تحديد شخصية رئيس البعثه ٠ولكن ذلك لم يتم إلا بعـــد أن كان الإعداد لخطة التنفيذ قد قطع مراحل طويلة ٠

والحقيقة أن قبول الأستاذ دويدار كان موضع ترحيب منا جميعا فهو رجل عرفنا عنه الدقة والنظام فى العمل، فضلا عـــن أن مركزه كرئيس لقسم الجراحة وجراحة الصدر والقلب بـــالذات

كان كفيلا بإضافة ثقل كبير لقيمة البعثة العلمى • وقد كان الأستاذ دويدار كريما فلم يتدخل بحكم استلامه القيادة فى إحداث أى تغيير فى تشكيل المجموعة أو خطة العمل أو الإجراءات، وكان اختياره لاشك عاملا هاما فى تحقيق النجاح الذى حققته البعثة •

وأما الشرط الثانى الذى اشترطه الوزير فقد كان الفضل كل الفضل للأستاذ درويش فى تحقيقه، وقد اعتمد فى ذلك على عنصرين : الأول هو الصداقة الحميمة التى كانت تربطه بالدكتور عبده سلام وزير الصحة رحمه الله والذى أعطى توجيهات لمؤسسة الأدوية وشركاتها بأن تدعم تمويل البعثة، فحصلنا بذلك على عنصر الدعم الحاسم (١٥٠٠ جنيه كانت ذات قيمة كبيرة فى ذلك الوقت) والثانى : جاء أيضا عن طريق اتصال الأستاذ درويش بالأستاذ هيكل رئيس مؤسسة الأهرام وأقنعه بأن تساهم الأهرام بمبلغ ١٥٠٠ جنيه أيضا لدعم الرحلة على أن توفد مندوبا مرافقا يغطى أخبارها للجريدة •

وهكذا أصبح الطريق مفتوحا بعد تذليل عقبة شروط وزير التعليم العالى• وقد كنت سعيدا بذلك، ولكننى لم أكن مرتاحا لعدم ثقة وزير التعليم العالى فى إيفاد بعثة من أساتذة مساعدين بدون أستاذ يقوم بدور المشرف المسئول عنا، فماكان

منى وبدون استئذان العميد إلا أن أعددت مذكرة طويلة فى شكل خطاب أرسلته مباشرة إلى الأستاذ الدكتور عبد الوهاب البرلسى عبرت فيه عن رأيى بأسلوب حرصت فيه على الالتزام بالاحترام والتوقير لفكر الوزير وقراره بالرغم من عدم الاقتناع به ولم يصلنى بالطبع أى رد من الوزير، ولم أكن أتوقع أن يجىء مثل هذا الرد، بل ربما كنت أتخوف بعض الشىء من أن يؤدى هذا التصرف الانفعالى من جانبى إلى بعض ردود الفعل المضادة، ولكن حمدا لله لم يحدث شىء من ذلك • ومن الطريف أننى تقابلت بعد ذلك عدة مرات فى مناسبات كثيرة بالأستاذ عبد الوهاب البرلسى بعد أن أصبحت أستاذا وبعد أن ترك هو وزارة التعليم العالى، وكنا نتذكر معا ذلك الخطاب الذى أرسلته إليه والذى قابله وقتئذ بكل سماحة الأستاذ الكبير النفس والخلق • وكم كنت أود أن أقوم بنشر هذا الخطاب المحفوظ فى سجلاتنا لأنه فيه فائدة لاتخلو من العبرة كنموذج من السلوكيات الطيبة سواء من ناحية أسلوب تعبير الراسل عن رأيه أوسماحة المرسل إليه فى قبول الرأى الآخر ممن هو أدنى مرتبة بلا أى غضب •



الرحلة الأولى (١٩٧٠) :

(السودان ـ أثيوبيا ـ أوغنده ـ كينيا ـ تنزانيا ـ الصومال ـ عدن)

خطة التنفيذ للرحلة الأولى

انطلقت الأضواء الخضراء من مكاتب المسئولين واحـــدا بعد الآخر بدأمن مكتب العميد إلى مدير الجامعة ثم وزير التعليـــم العالى، وأصبحنا أمام التحدى الحقيقـــى لتنفيـــذ ماطلبنـــا بإلحـــاح السماح لنا بتنفيذه ...

وبدأ الإعداد المحكم الذى وضعت فيه كل خـــبراتى التـــى اكتسبتها من تعاملى مع المتخصصين فى المجلس البريطانى أثنـــاء تنظيم رحلة تجوالى فى بريطانيا(راجـــع الكتـــاب الثـــالث مـــن مجموعة الوقائع الطبية) ثم من رحلاتى القليلة التى أعقبت ذلـــك والتى قمت بتنظيمها بنفسى...

كانت المهمة الأولى هى الاتصال بالمسئولين فى الـــدول الافريقية التى نريد زيارتها، لطرح الفكرة عليـــهم . واســـتهدفنا لذلك كلا من وزراء الصحة ورؤساء الجامعات أو عمداء كليـــات الطب، كما كان ولابد لنا من مخاطبة سفراء هـــذه الـــدول فـــى مصر وسفراء مصر فى تلك الدول، ومايلزم لذلك من الاســـتعانة بادارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية المصرية .

وبدأنا لذلك سيلا من الرسائل التى تشرح الفكـــرة وتبيـــن الهدف من أنها بعثة صداقة وتعارف وتبادل خبرات علمية وتقويـــة للعلاقات الإنسانية، وأنها لاتســـتهدف أى مكاســـب ماديـــة، وأن

ماسيقوم به أعضاء الفريق المصرى من عمليات جراحية أو كشف طبى أو علاجات أو محاضرات سوف يكون بلا مقابل،كما أن البعثة سوف تتكفل بنفقات السفر والإقامة فى الدول بمعرفتها • وبوجه عام فإننا لم نترك بابا مفتوحا أمام المسئولين فى الدول المضيفة إلا باب القبول والترحيب بزيارة البعثة الطبية الجامعية المصرية••وكنت أصوغ تلك الرسائل بنفسى ثم نرسلها مباشرة بتوقيع عميد كلية الطب الذى كان يعلم جيدا أنه يتخطى بذلك التسلسل الطبيعىالمعترف به فى مخاطبة الوزراء أو المسئولين بالدول الأجنبية، ولكن النوايا الحسنة والحماس لإنجاز المهمة كانا كفيلين بإزالة أى اعتراض من كافة المسئولين بالدولة على مختلف المستويات •

وبدأت الردود المشجعة تتوالى من الدول بمستويات مختلفة من التحمس، فجاء الرد من السودان الشقيق –وكان تحت حكم الرئيس جعفر نميرى-كما هو متوقع،مليئا بحرارة الترحيب من جانب وزارة الصحة السودانية ومن كلية طب الخرطوم .

وجاء الرد من إثيوبيا ـ وكانت تحت حكم الامبراطور هيلاسلاسى- مرحبا أيضا بفكرة الزيارة مع تحفظ لظروف خاصة تمر بها البلاد لظهور وباء الكوليرا هناك فى ذلك الوقت وانشغال الوزارة بمقاومة الوباء، ومن الصومال جاء أيضا

ترحيب واضح من وزارة الصحة الصومالية وكان للتواجد المصرى نفوذ كبير فى الصومال فى هذه الفترة التاريخية وذلك منذ عهد الرئيس جمال عبد الناصر ٠

أما كينيا فجاء منها الرد بالترحيب بالفكرة، غير أن الوقت المحدد لم يكن فى نظرهم مناسبا بسبب وقوع الزيارة فى أول العام الدراسى بالجامعة ٠ وكان معنى ذلك هو اعتذار مهذب عن استقبال الوفد الزائر رسميا ٠

ولم يصل حتى حلول موعد سفرنا أى رد رسمي من كل من تانزانيا وأوغنده ٠

خط الطيران

بالرغم من تباين الردود بين ترحيب شديد أو تحفظ بصورة أو بأخرى، قررنا أن تتم الرحلة من حيث التخطيط الزمنى وخط السير بحيث يتوافق بأقصى درجة مع مايمكن أن توفره خطوط شركة الطيران المصرية (الطيران العربية المتحدة كما كانت تسمى فى هذا الوقت)، حيث أبدى المسئولون فى الشركة تفهما كبيرا للمهمة القومية للبعثة واستعدادا لخفض الأجور، واجراء تسهيلات كبيرة كان لها بالفعل أطيب الأثر عند التنفيذ ٠

وقد استدعت ظروف التخطيط لذلك أن يكون خط الطيران من القاهرة إلى الخرطوم – أديس أبابا – عنتيبى بأوغندة–نيروبى– دار السلام – مقديشيو ثم العودة على خطوط الطيران المصرية بعد المرور على عدن في الطريق ٠وكان معنى الالتزام بخط السير الذى حددناه والذى يشمل زيارات للدول التى لم يصل منها رد إيجابى واضح هو أن نزور تلك الدول حتى ولوكان بعضها على سبيل الضرورة ولا مانع عندئذ من المشاهدات السياحية للتعرف على تلك الدول بشكل أو بآخر ٠ وقد جاء هذا القرار بعد الجولة التى قمت بها حاملا جوزات السفر الخاصة بأعضاء الفريق لأطوف بسفارات الدول الافريقية فى القاهرة لاستخراج تأشيرات الدخول، وكنت فى كل زيارة أقابل السفير أو الرجل المسئول بالسفارة لأشرح له الموضوع أقابل بالترحيب الشديد بالزيارة من جانب هؤلاء السفراء بصرف النظر عن وصول رد من الدولة المعنية أم لا وسواء كان أن تم ترتيب برنامج للزيارة أو بدون ذلك، ومن ذلك مثلا ما أكده لى سفير تانزانيا فى القاهرة أثناء إعطائى تأشيرة الدخول إلى دار السلام أنه بالرغم من عدم وصول رد إيجابى من حكومة تانزانيا إلا أنه واثق تماما من حسن استقبال البعثة عند وصولها وهو ماتحقق بالفعل هناك،وكان قريبا من ذلك أيضا ترحيب سفيرى

كينيا وأوغنده بمنح التأشيرات حتى بدون تأكيد البرنـــامج العلمـــى قبل السفر ..

ومن حسن الحظ وبتوفيق الله وبمساعدة السفير المصـــرى فى اثيوبيا كما سيرد فيمابعد، تم الاتفاق ونحن فى الطريق علـــى تنظيم بر امج الزيارة فى هذه الدول عـــن طريـــق الاتصـــالات الدبلوماسية التى تكفلت بها السفارة المصرية فـــى أثيوبيـــا بكـــل كفاءة.

وعندما اكتمل إعداد جوزات السفر بالتأشيرات اللازمـــة، وتدبير الميزانيةالكاملـــة للرحلـــة التـــى بلغـــت بأســـعار ذلـــك الوقت.٣٥٢٠ جنيها مصريا جاءت ٣٠٠٠ جنيه منها من مؤسســـة الأدوية ومؤسسة الأهرام بنصيب متساوٍ من كل منهما وســـاهمنا بالباقى بمعرفتنا . وقمنا بعد ذلك بالاجراءات المضنيـــة لتدبـــير مايلزمنا من العملة الصعبة وكانت مثل هذه الاجـــراءات تحتـــاج وقتها لخطوات معقدة بين إدارة النقد والبنوك .

ثم حملنا مع معداتنا الشخصية أوراق المحاضرات التـــى أعددنا برنامجها مطبوعا، ليختار منه مضيفونا فـــى كـــل دولـــة مايناسب الظروف، كما حملنا معنا أعلاما تذكارية تحمـــل شـــعار الجامعة وكلية طب الاسكندرية وعبـــارات تشـــير إلـــى طبيعـــة

الصداقة التى تستهدفها زيارةالبعثة لنهديها إلى الكليات والجامعات والمؤسسات التى نزورها فى كل دولة •

وتم التنسيق مع مؤسسة الأهرام التى قررت إيفاد محررها الأستاذ سامى دسوقى معنا •

ثم توكلنا على الله متجهين إلى مطار القاهرة الدولى لنستقل طائرة شركة الطيران العربية المتجهة عند منتصف الليل إلى مطار الخرطوم •

كانت مشاعرنا تفيض بالحماس والنشوة ونحن مقبلون على مهمة بها الكثير من طبيعة المغامرة المجهولة، ولكننا جميعا كنا على يقين تام بأننا نقوم بعمل تاريخى غير مسبوق •

وقبل أن نركب الطائرة المصرية دعنى أقدم لك أيها القارىء الكريم أعضاء البعثة المصرية الرائدة من كلية طب الاسكندرية لمجموعة دول شرق افريقيا الستة، لتتعرف بشكل ما على طبيعة شخصياتهم فى هذه الفترة التاريخية من حياتهم عام ١٩٧٠، والتى كانت ترتبط باختيارهم ثم نجاحهم فى هذا العمل •

الأستاذ الدكتور محمد لطفى دويدار أستاذ ورئيس قسم الجراحة بالكلية وهو فى الأصل خريج كلية طب قصر العينى ثم انتقل للاسكندرية عند إنشاء جامعة الاسكندرية، أستاذ يتسم بالوقار فى مظهره وجوهره، جراح مرموق بالاسكندرية متخصص فى

جراحة الصدر والقلب، رجل منظم التفكير مرتب العبارة في محاضراته ودروسه، شديد الدقة في عمله، يقدس النظام ويلتزم به ويلزم به من حوله. وقد تولى رئاسة البعثة كما سبق أن بينت بناء على تكليف من العميد الأستاذ أحمد السيد درويش وتوجيهات وزير التعليم العالي بضرورة أن يرأس البعثة أستاذ من الكلية وحظى من أعضاء البعثة جميعا بالاحترام والمحبة والترحيب برئاسته لنا[1].

<u>الدكتور محمود فريد مصطفى :</u> أستاذ مساعد جراحة التجميل، رجل متزن (ثقيل بمعنى الكلمة الدارج) ويحرص دائما على الظهور بهذا المظهر، حاج ملتزم بتعاليم الدين يصر على صيام أيام رمضان كلها (ويرفض رخصة السفر حتى في جو الخرطوم البالغ الحرارة) معتز بنفسه وبتقاليد أهل الريف وأصالتهم [2]

<u>الدكتور عمر شافعي :</u> أستاذ الجراحة المساعد ومتخصص في جراحة الجهاز الهضمي والكبد، جراح متمكن في تخصصه، وإلى جانب علمه يمتاز بروح مرحة، ويستطيع إشعاع السرور والمرح

---

(١) بعد انتهاء البعثة الأولى مباشرة تم تعيين الأستاذ دويدار عميدا للكلية خلفا للأستاذ درويش الذى تولى منصب وزير السياحة ، ثم انتقل إلى رئاسة الجامعة وفى عهده تمت البعثة الثانية لدول غرب أفريقيا .

(٢) تولى الأستاذ فريد مصطفى رئاسة الجامعة .

فى أى مَجلَس أولقاء، وقد لعبت هذه الصفات دورا حاسما فـــى أن يكون الدكتور عمر الشخصية المتكررة فـــى البعثـــات الافريقيـــة الثلاثة، فهو مدير ممتاز للعلاقـــــات العامـــة ومخطـــط للـــبرامج السياحية بكفاءة، وله القدرة على تكوين الصداقات مـــع مضيفينـــا الأفريقيين بسرعة خارقة٠

<u>الدكتور محمد جمال الدين عزب :</u> أستاذ مساعد جراحـــــة المـــخ والأعصاب زميل الدراسة لى منذ دخولنا معا المدرســـة الثانويـــة حيث كان والده رحمه الله أستاذا لنا بنفس المدرسة وكان يتعـــــامل معى كما لو كنت ابنا له، والدكتور جمال فى ذلك الوقـــت شـــاب متحمس دائما، متمكن من علمه وفنه ومؤمن بتخصصه ولايـــرى فى الدنيا سوى جراحة الأعصاب، طيب القلب إلى أقصى درجـــة، وكان شغله الشاغل طوال الرحلة أمور أسرته التى انقطـــع عنـــها (حتى اضطر قرب نهاية الرحلة إلى اختصار جزء منها والعـــودة مبكرا) ٠

<u>الدكتور جلال الدين عـــارف :</u> أســـتاذ مســـاعد التخديـــر زميـــل دفعتى أيضا ورفيق الدراســـة طـــوال ســـنوات كليـــة الطـــب – يميل إلى المرح، صحبته دائمـــا تبعـــث الســـرور فـــى النفـــس ومداعباته لنا جميعا وعلـــــى وجـــه الخصـــوص مـــع الدكتـــور

جمال عزب أضفت جوا لطيفا من التآلف، بالإضافة إلى تمكنه من فنون العناية المركزة إلى جانب علوم التخدير •

<u>الدكتور أحمد السيد قــرة :</u>أستاذ مساعد جراحة العيون، دقيق للغاية على النحو الذى ربما يميز كل جراحى العيون، يمارس هذه الدقة المتناهية التى ربما تكون قد انتقلت إليه بصورة أكبر عن طريق الزواج من سيدة ألمانية لطيفة المعشر، وهو يمارس هذه الدقة فى كل أمور الحياة وليس فى ممارسة الطب والجراحة فقط •

<u>الدكتور رفيــق زاهــر :</u> أستاذ مساعد الأمراض الباطنة وأخصائى أمراض الكبد، الرجل الجنتلمان شكلا وموضوعا، يمتاز إلى جانب الكفاءة فى العلم بالخلق الرفيع وحسن العلاقة مع جميع أنواع البشر، ولذا كانت صحبته فى السفر تبعث السرور وتشيع الهدوءفى نفوس كل من يرافقونه[1]

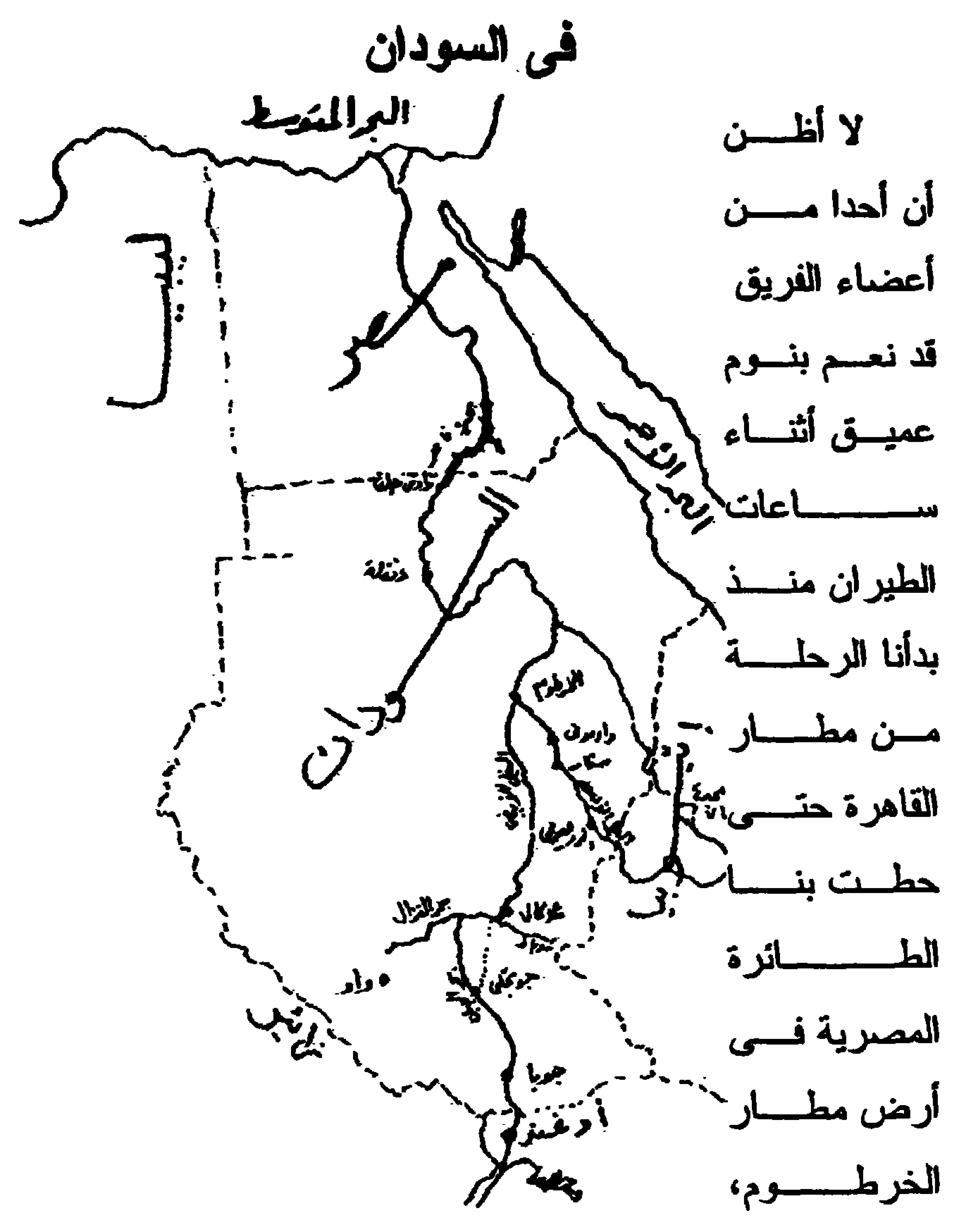
---

(١) تولى الدكتور رفيق زاهر عمادة كلية الطب بعد ذلك ورأس البعثة الافريقية الثالثة عام١٩٨٣، ثم أصبح نائبا لرئيس الجامعة .

وأخيرا الدكتور مرسى عرب : أستاذ مساعد الأمـــراض الباطنـــة (المؤلف) متخصص فى مرض السكر ويـــهوى دراســـة تـــاريخ الطب،يرى فى نفسه أنه رجل مجتهد، يحاول أن يكـــــون متعـــدد العطاءات فى مجالات العلم والخدمات العامة فى الوقت نفسه، لـــه قدرة وافية على التخطيط والإدارة،ملتزم فى عمله أشد الالـــتزام – صاحب فكرة البعثات الافريقية ومنظمها فى مراحلها الثلاث(٢).

(٢) تولى الدكتور مرسى عرب رئاسة قسم الأمراض الباطنة فى الفترة ٨٤-١٩٩٠

فى السودان



لا أظـــن أن أحدا مـــن أعضاء الفريق قد نعـــم بنـــوم عميـــق أثنـــاء ســـــاعات الطيران منـــذ بدأنا الرحلـــة مـــن مطـــــار القاهرة حتـــى حطـــت بنـــا الطـــــائرة المصرية فـــى أرض مطـــار الخرطـــــوم،
فقدكان الانفعال الشديد يسيطر علينـــا جميعـــا وعندمـــا وصلـــت الطائرة فى الصباح الباكر إلى الخرطوم كان فى اســـتقبالنا وفـــود من وزارة الصحة السودانية وجامعة الخرطوم.

وكان الاستقبال حارا وأخويا بصورة بعثت في نفوسنا الطمأنينة وأزالت الكثير من التوتر، ولا أذكر أن السفير المصرى كان من بين المستقبلين كما حدث فى استقبالنا بعد ذلك فى مطارات العديد من الدول فى المراحل التالية من رحلاتنا، واعتقد أن السفير المصرى وقتها لم يكن موجودا بالخرطوم لسبب ما، إلا أننى بوجه عام لا أذكر أن السفارة المصرية قد لعبت دورا كبيرا أو كان لها حضور يذكر طوال مدة الزيارة، ولا يعلق بذهنى أى اسم من الأسماء أو حدث من الأحداث يعطى انطباعا باهتمام السفارة المصرية بمثل ماكانت عليه الصورة المعاكسة تماما فى دور السفير المصرى بأثيوبيا كما سأفصح فيما بعد،وأغلب الظن أن العلاقات بين مصر والسودان لم تكن فى نظر السفارة فى هذا الوقت بحاجة إلى مثل هذه البعثة التى نقوم بها فقد كانت هذه العلاقات أقوى ماتكون والرئيس جعفر نميرى فى قمة السلطة هناك، وتبادل الزيارات وحضور وفود مصرية من مختلف الفئات إلى السودان كان أمرا شائعا وليس به جديد .

المهم أن روح المودة والإخاء الطاغية وحرارة اللقاءات مع المسئولين وغير المسئولين فى السودان لم تترك لنا وقتا لنتأمل فيه الدور الباهت أو ربما المختفى للسفارة المصرية،كما أننا لم نكن بعد قد تعاملنا مع الدور البارز للسفارة المصرية فى

أثيوبيا حتى تظهر أمامنا أهمية التفاعل الدبلوماسى للاستفادة من مهمتنا •

واستمرت إقامتنا فى السودان محطة رحلتنا الأولى سبعة أيام نزلنا خلالها فى فندق جراند أوتيل بالخرطوم، ومجرد الإقامة فى هذا الفندق ببنائه التقليدى العريق وقاعاته التى شهدت أحداث العهد الاستعمارى والنفوذ البريطانى كانت فى حد ذاتها تلهب الخيال وتثير المشاعر. وكان وصولنا إلى السودان خلال شهر رمضان المبارك والجو شديد الحرارة وبصورة لم نتعود عليها، وكان لنا الحق الشرعى فى رخصة الإفطار ونحن على سفر، ولذلك فإنهم كانوا يقدمون لنا وجبات للغداء ثم يدعوننا فى المساء إلى مآدب الافطار التى تسابق الاخوة السودانيون فى تقديمها لأعضاء البعثة •

ثم بدأ نشاطنا المكثف فى السودان على شكل علاقات تمت فى محاور ثلاث وهى وزارة الصحة ثم كلية طب الخرطوم ثم زملاء المهنة من الأطباء السودانيين •

بدأنا بزيارة كبار المسئولين وكما ذكرت من قبل كان على رأس الدولة الرئيس جعفر نميرى وقد تقابلنا معه عندما دعينا لحفل افتتاح معرض تقيمه القوات المسلحة يحضره الرئيس وهو عن معارك الجنوب والأسلحة التى تمت مصادرتها من

المتمردين هناك (ولم تكن تلك الحرب فى الجنـــوب قـــد بلغـــت مابلغته الآن من خطورة واستمرارية مؤسفة) وحرص الرئيـــس نميرى على تحيتنا بحرارة وأخذ صور تذكارية معنا تكفلـت إدارة الاستعلامات السودانية بعد ذلك باهداء كل منا نسخة خاصة له٠

والمسئول الذى لا أنسى اسمه على الإطلاق كان وزيــر الصحة الدكتور محمد طه بعشر الذى استقبلنا بحرارة فى الـوزارة وألقى أمامنا خطابا مليئا بالمودة والترحيب مؤكدا أهمية التعـــاون الصحى بين البلدين الشقيقين ومتعجبا فى الوقت ذاته لأنه بـــالرغم من عمق العلاقات فإنه لايوجد برنامج مكتوب لهذا التعاون الـــذى يمكن أن يشمل تبادل الخبرات فى الأبحاث الطبية وتصنيع الـدواء والتعليم الطبى وغير ذلك ٠

وكانت زيارتنـــا التاليـــة بـــالطبع إلـــى إدارة جامعـــة الخرطوم وكلية طب الخرطوم ثم أقسام الكلية المختلفـــة، وهنـــاك تكررت كلمات الترحيب وتبادلنا مع المسئولين على لسان رئيـــس البعثة الأستاذ دويدار التعبير عـــن الشـــكر والايمـــان بـــالمصير المشترك وأهمية تنمية العلاقات العلمية والانسانية والمهنيـــة بيـــن شعبى وادى النيل ٠ وكان من المثير أن نتقابل مع بعض الأســـاتذة المصريين الذين كانوا يعملون هناك وأذكر منهم الأستاذ الدكتـــور محمد رشدى عميد كلية الصيدلة السابق وكثير من الشباب الذيـــن

كانوا يعملون بوجه خاص فى الأقسام الأكاديميـــة بكليـــة الطـــب هناك٠ وفى تناغم تام مع تلك الزيارات والمجـــاملات واللقـــاءات الأخوية قام أعضاء البعثة بنشـــاطهم المكثـــف حســـب البرنـــامج والأهداف المخططة فألقيت عدة محـــاضرات فـــى التخصصـــات الطبية المختلفة وأخرى عن طبيعة الخدمات الصحية فـــى مصـــر وتطوير التعليم الطبى بها،كما قام الزمـــلاء الجراحـــون بـــاجراء عمليات دقيقة فى الأعصاب والجهاز الهضمى والتجميل وجراحـــة العيون كللت جميعـــها بالنجـــاح التـــام وشـــارك فيـــها الزمـــلاء السودانيون ٠

كانت كلية طب الخرطوم وقتها تضم مئات من الطـــلاب وكانت قد أنشئت عام ١٩٢٤ ليعمل بالتدريس فيها أطباء انجلـــيز ليسوا أساتذة بالمعنى المعروف وكانت تســـمى مدرســـة كتشـــنر الطبية وتتبع وزارة الصحة٠ وقد بدأت بستة طلاب لاغـــير ثـــم صارت الكلية تابعة للجامعة منذ ١٩٥٢، وقد كانت الكليـــة قبـــل ذلك مجرد صورة باهتة لذر الرماد فى العيـــون فكيـــف يتســـنى لمدرسة طبية تقوم على تخريج أعداد محدودة للغاية من الطـــلاب أن تقدم أعداد الأطباء اللازمين للخدمة فى هذا البلـــد الشاســـع ٠ وفى وقت زيارتنا عام١٩٧٠ كانت الكليـــة تخـــرج ١٢٠ طبيـــب سيرفعون فورا إلى ١٨٠ طبيب سنويا وهو أمر كان لايزال أيضـــا

بعيدا عن توفير احتياجات السودان من الأطباء، ولاحظنا إقبال الفتاة السودانية على دراسة الطب فقد كانت نسبة الطالبات حوالى ١٠% من مجموع الطلاب ٠وكانت الكلية على ضعف إمكانياتها تقبل عددا محدودا من الدارسين من الدول الافريقية الأخرى كأوغنده ونيجيريا بل ومن بعض البلاد العربية وخاصة السعودية (لم يكن التقدم فى تعليم الطب وقتذاك فى الدول العربية قد بلغ مابلغه من نمو) ٠

ولاحظنا أثناء هذه الزيارة أن التنظيم المهنى خارج الجامعة تقوده الجمعية الطبية السودانية وقد حرصت هذه الجمعية على تنظيم لقاءات علمية مع أعضاء الوفد الزائر وعلى دعوتنا إلى مأدبة إفطار رائعة أعقبتها جلسات مليئة بدفء العلاقات مع الأطباء السودانيين الذين كان الكثيرون منهم قد درسوا الطب فى مصر وكان أشهرهم الدكتور عثمان الحضرى الذى كان سفيرا للسودان فى القاهرة وكان أول طبيب سودانى تخرج من جامعة الاسكندرية ٠وكان منهم أيضا زميلان من دفعتى حرص الأول (الدكتور أبو عبيدة المجذوب)على اصطحابى لزيارة منزله فى أم درمان وإهدائى زيا سودانيا وعمامة والتقطنا معا صورة تذكارية بهذا الزى الأبيض اللطيف المناسب تماما لجو السودان الحار ٠ وحرص الثانى (الدكتور منيربيرم) وكان متخصصا فى أمراض

العيون على اصطحاب الدكتور قره فى كل مكان ومساعدته فـــى إجراء جراحات العيون ثم إهدائه العضويـــة الشــرفية للجمعيــة الرمدية السودانية.وفى بيوت الزملاء السودانيين بالغ القوم هنـــاك فى إكرامنا فأكلنا أطيب الطعام وتعرفنا على الأصناف الســـودانية التقليدية الكِسرة والمِلاح الأكلة الشعبية الشـــهيرة (الكســـرة مـــن عجين الذرة على شكل يشبه الرقاق والملاح من اللحـــم المفـــروم المعصج بالبصل والبامية المطحونة وقد يضاف لها الملوخية بدل البامية)، والحلو والمر (يصنع من الكركدية وتمر هنـــدى مـــع كزبرة وقرفة وحبهان و ملح وسكر ٠٠٠٠)

رحلة إلى الجنوب :مديرية أعالى النيل (٧٠/١١/١٧)

ولعل أكثر الأحداث إثارة في زيارة السودان الأولى كان بلاشك هو السفر إلى مدينة ملاكال عاصمة مديرية أعالى النيل في جنوب السودان بصحبة وزير الصحة الدكتور محمد طه بَعشر ، فعند استقبالنا لأول مرة قال الوزير أنه سوف يغادر الخرطوم في اليوم التالى للسفر بالطائرة لتفقد الأحوال الصحية في مديرية أعالى النيل بالجنوب، وأنه يرحب باصطحاب من يرغب منا للسفر معه ولكن في حدود شخصين فقط لأن الطائرة التي سوف يستقلها صغيرة وتتسع لعدد ١٢راكبا فقط، ولباقى الضيوف أن يتوجهوا إلى رحلة موازية بالسيارات إلى واد مدنى لتفقد المنشآت الصحية ومشروع الجزيرة الاقتصادى الزراعى هناك في نفس الوقت. وسرعان ما اندفعت لأستأذن في أن أكون أحد المرافقين للوزير في زيارة جنوب السودان التي كنت أعلم أنها تختلف تماما عن الشمال فهى قلب افريقيا التي نتطلع لزيارتها، وكنت أسمع من قبل عن مشروعات أعالى النيل للاستفادة من مياهه وفيها مشروع قناة جونجلى في الجنوب . وكان كرما من جميع الزملاء أن تركوا لى تلك الفرصة التي رغبت فيها بشدة، وسرعان ما تقدم الدكتور عمر شافعى طالبا أن يكون المرافق الثانى في هذه الرحلة وقد تحقق له ذلك

بالفعل٠لكننا كنا من المكر والدهاء بحيث حصلنا على الفرصتيـــن معا، أى زيارة ملاكال فى الجنوب ثم زيارة واد مدنى فى اليـــوم التالى بعد عودتنا من ملاكال، لأن زيارة واد مدنى كـــانت لمـــدة يومين فلحقنا فى اليوم التالى بزملائنا الذين سبقونا إلى هناك ٠

كانت الرحلة إلى ملاكال غاية فى الإثارة حقا وقد غادرنا الفندق فى الخامسة صباحا لنستقل مع وزيـــر الصحـــة الطـــائرة الصغيرة فى مطار الخرطوم الساعة ٦ صباحا وعندمـــا ارتفعـــت الطائرة إلى الجو كانت قمة الإثارة فى أن صغر حجم الطائرة هـو الذى كان يعطى الشعور لراكبها بأنه يطير بالفعل، وليس الحـــال هكذا فى الطائرات الكبيرة التى تحس وأنت بداخلها أنك فى غرفـة مقفلة، والنظر من نافذة الطائرة ونحن نحلق فوق الخرطـوم قبـل الاتجاه جنوبا أتاح لنا شهود شروق الشـــمس المثـير مـن وراء الأفق، كما أتاح الرؤية الكاملة للعاصمة المثلثة المكونة من مدينـــة الخرطوم وأم درمان والخرطوم بجرى كما تبـدو فـــى الخرائـــط الجغرافية، ويتخللها التقاء النيل الأزرق بالنيل الأبيض فى مشـــهد بالغ الروعة، ومياه النيل الأزرق بلونها الداكن تتقابل مـــع ميـــاه النيل الأبيض بلونها الرائق عند منطقة المقرن ومع احتفاظ الميـــاه فى كل منـــهما بعـــد الالتقـــاء بلونـــها لمســـافة طويلـــة شـــمال الخرطوم٠وعندما أخذت الطائرة تتجه جنوبا فـــوق ميـــاه النيـــل

الأبيض كان النيل الأزرق يتجه فى خط متعرج بعيدا بــــالتدريج نحو أثيوبيا، كنت أنظر إليه وهو يبتعد وكأننا نتواعد علــــى لقــاء قريب عند زيارتنا لأثيوبيا بعد بضعة أيام ٠ وكان إشراق الشـمس وانعكاسها على النيل الأبيض الذى التزمنا بالطيران فوقه يعطيــــه لمعانا شديدا فيشبه حبلا من الفضة الخالصة، وكانت الأرض فيمــا بين النهرين تبدو مقسمة إلى أحواض مستطيلة ومربعات ومثلثـات تشير إلى مشروع الجزيرة والأراضى التى تم إعدادها للزراعـــة فيه، ثم تلاشت بعد حوالى ثلث ساعة من الطيران تلك التكوينــات المنتظمة لتحل محلها الأراضى الشاسعة التى لم تمتد إليــها يــد الاعداد للزراعة ٠

وأخذت أتطلع إلى النيل الأبيض والأراضى المحيطة بــه ثم إلى الخريطة السياحية التى حصلنا عليها لأتعرف على مــانمر عليه،أولا مناطق زراعة القطن التى تختفى بعد ذلك لتحل محلــها الأراضى التى تنتشر فيها الطيور وتعيش فيها القبــائل البسـيطة وتمرح فيها التماسيح حتى أخذنا نقترب من مدينة ملاكال ٠

وبعد طيران حوالى ساعتين بدأت الطائرة تحط بنا فــى ملاكــال بعد أن قطعنا نحو ٦٠٠ كيلومترا من الخرطوم إلى هناك ٠

وملكال هذه وسكانها حوالى ٥٠ ألف نسمة هى عاصمــة إحدى المديريات الجنوبية الثلاث مديرية أعالى النيــل (العاصمــة

ملكال) ومديرية بحر الغزال (العاصمة واو) والمديرية الاستوائية (العاصمة جوبا) وتقع ملكال على النيل الأبيض قرب أقصى جزئه الجنوبى عندما يبدأ النيل رحلته إلى الشمال بعد قليل من استقبال بحر الغزال وفرع السوباط ٠

استقبلنا فى مطار ملكال استقبالا عسكريا ولكنه بسيط،واتجهنا مع الوزير الدكتور طه بعشر إلى دار الضيافة وجلسنا معه جلسة لطيفة حكى لنا فيها ذكرياته لأنه عمل سابقا فى هذه المنطقة، وقد علقت بذهنى قصته مع طبيب أجنبى اسمه فاندنبرج عمل معه هناك وكانا يقتسمان العمل بينهما هو للأمراض الباطنة وفاندبنرج للجراحة، وعندما ذهب فاندنبرج فى رحلة لصيد فيل أصيب بذبحة صدرية ونقل إلى مستشفىجايز بانجلترا وغاب ٦ شهور،وعندما عاد كان الدكتور طه قد تولى الأمراض الباطنة والجراحة معا فقرر الآخر أن يكتفى فقط باجراء التخدير لظروفه الصحية٠ ومن غرائب الصدف أننى كنت قد قابلت منذ تسع سنوات سابقة أثناء وجودى بلندن فتاة هولندية اسمها عايدة فاندنبرج وعندما سألتها عن سر تسميتها بهذا الاسم المصرى قالت إن والدها كان يعمل طبيبا فى السودان وقد ولدت وهو يمر بمصر فى طريقه لمقر عمله هناك فسماها ذلك

الاسم المصرى الشهير ...!! (وما من شك فى أنها هــى ذاتــها بنت ذلك الطبيب الذى حكى عنه الوزير).

قام الوزير ليمر على جميع المصـــالح الحكوميــة فــى المدينة : الجيش والبوليس والمواصلات والأشغال العامة والسـجن – وهى قاعدة عامة متبعة بواسطة أى وزير من الــوزراء عنــد زيارتهم للمناطق المختلفة – لتنتهى بنا الجولة إلى زيارة مستشـفى ملكال . والمستشفى مقام علـــى مســاحة شاســعة مــن الأرض والمبانى بسيطة وعلى شكل عنابر تشــبه المعســكرات والأثــاث بسيط والنوافذ كلها مغطاة بالسلك والممرضات يتفنن فــى تزييــن العنابر بستائر بيضاء عليها قصاصات من ورق ملــون وزهــور جبلية حمراء، ومن المرجح أن كل هذه المظاهر لم تكن روتينيــة وإنما هى من قبيل فرش الرمل والزهور عند زيارة المســئولين لأحد المواقع كما يحدث عندنا .

وفوجئت فى مستشفى ملاكال بوجود أحد تلاميــذى مــن الأطباء السودانيين المتخرج من كليــة طــب الاســكندرية الــذى عرفنى على الفور وأخذ يسأل عن طريقة التقدم لدراســة الدبلــوم لأنه يريد العودة لاستكمال دراسته هناك فى مصر .

ورأينا فى ذلك اليــوم مــن الحــالات المرضيــة فــى المستشفى مالايمكن أن يتاح لنا رؤيته فــى أمــاكن أخــرى مــن

أمراض المناطق الحارةالاستوائية، وأمراض سوء التغذية للأطفال (الكواشيوركور) وكانت عنابر الأطفال بها سرير للطفل بينما تجلس الأم على الأرض بجوار طفلها، فأمر الوزير بإعداد كراسى للأمهات للجلوس عليها بجانب أطفالهن وتخصيص حجرات أيضا لخدمتهن .

وهناك كان يعمل فئة من مساعدى الأطباء على درجة واضحة من الكفاءة ويعتمد عليهم بدرجة كبيرة فى الكشف والعلاج لأنهم مؤهلون ببعض الدراسات العملية .

وكان من الضرورى أن نزور تفتيش الرى المصرى لأعالى النيل فى مدينة ملاكال وهو أحد المراكز العديدة لمهندسى الرى المصريين الذين يعملون بالسودان بمقتضى اتفاقية مياه النيل وهم مع زملائهم فى جوبا وفى مدينة واو مهمتهم قياس تصرف النهر فى المواعيد والمواقع المختلفة . واستراحة الرى المصرية مكان جميل ومنسق تنسيقا بديعا يفوق فى أناقته مكاتب كبار المسئولين الحكوميين،وهو تقليد جميل من مهندسى الرى شاهدته فى أماكن أخرى من قبل فى مصر فى القناطر الخيرية وفى أسوان وغيرها . ومهندسو الرى المصريون يتمتعون بعلاقات طيبة جدا مع كل الناس.

قابلنا هناك أيضا ناظر المدرسة المصرية وهو شاب نشط وعلى علاقة طيبة جدا بالأهالى، وعندما صحبنا فى جولة بالمدينة ورغبنا فى شراء جلد تمساح على سبيل التذكار من أحد المحلات وجدنا بفضله من صاحب المحل إكراما كبيرا ومعاملة طيبة وكان واضحا المودة الكبيرة بينه وبين الأستاذ رفعت ناظر المدرسة .

وعندما كنا نتجول فى طرقات المدينة كان مثيرا أن نتقابل مع السكان من أفراد القبائل الجنوبية وخاصة قبيلة الشيلوك،وتميزهم علامات خزام جلدية على شكل حزام حول الرأس من الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى ممتدا فوق الحاجب وهناك طائفة منهم تلبس زيا أحمر اللون وبعضهم يضع ريشة بيضاء فى رأسه، بعضهم يحب التصوير والبعض يخاف منه،ولم نشاهد على الإطلاق فى المدينة مظاهر من العرى أو سيدات بغير غطاء لصدورهن .

وقبل أن نغادر ملكال كان لابد لنا أن نستعلم عن المشروع الذى كان قائما وقتئذ لشق قناة من جونجلى فى الجنوب إلى قرب ملاكال فى الشمال وتسهدف القناة تحويل مسار مياه النيل بعيدا عن منطقة مستنقعات بحر الجبل بطول ٢٦٠ كيلو مترا لتوفير الفاقد من المياه بما يتيح التنمية الاجتماعية والاقتصادية

ويحيل منطقة السدود ذاتها إلى أرض مزروعة مساحتها تقرب من مليون فدان ٠

وكم كان بودى أن أسافر جنوبا لأشهد الأعمال الجارية لشق قناة جونجلى هذه قبل أن تملأها مياه النيل عندما يتم انشاؤها (ومن المؤسف أن حفر القناه لم يتم على الإطلاق وتوقف بسبب الحرب الأهلية فى جنوب السودان)٠

وعندما انتهى ذلك اليوم الحافل بالمشاهدات المثيرة عادت بنا الطائرة إلى الخرطوم لنصل إليها قبل موعد الإفطار مباشرة، وما إن تناولنا وجبة الافطار بالفندق حتى جاءت مفاجأة أخرى سارة فقد وقفت أمام الفندق سيارة نزل منها ضابط سودانى شاب اندفع نحو مجلسنا ليتلقانى بالعناق والأحضان وتبين لى أنه الدكتور محمد بلال الذى كان تلميذنا أيضا من خريجى كلية طب الاسكندرية وعمل معى طبيب امتياز قبل أن يصبح نائبا للجراحة ثم دارسا فى انجلترا وهو وقتئذ برتبة مقدم طبيب بالجيش السودانى ٠ وقد أصر على اصطحابنا إلى منزله للتعرف على المنزل السودانى فتمتعنا هناك بكرم الضيافة وبجلسة ممتعة مع مجموعة من الأطباء والمهندسين والمدرسين٠

زيارة واد مدنى ومشروع الجزيرة (١٨/١١/٧٠)

وبالرغم من سهرتنا بعد العودة من ملاكال فقد حرصنا أنا والدكتور عمر شافعى على الاستيقاظ مبكرا للسفر إلى واد مدنى بسيارة من وزارة الصحة قطعت بنا الطريق فى حوالى ساعتين فى طريق شبه صحراوى ٠

يقترب الطريق من مسار النيل الأزرق فى بعض المناطق أو يوازيه مارا ببعض التجمعات السكانية والمدن الصغيرة فى الطريق (الكاملين – رفاعة) حتى وصلنا إلى واد مدنى حيث توجد منطقة إدارة مشروع الجزيرة الشهير ٠ وتقع واد مدنى فى منتصف الطريق تقريبا بين الخرطوم فى الشمال وموقع خزان سنار على النيل الأزرق فى الجنوب ٠

وقد استمعنا إلى تاريخ انشاء مشروع الجزيرة الذى بدأ التفكير فيه عام ١٩٠٤ عندما بدأت شركة أجنبية فى تجربة زراعة القطن، وبعد أن نجحت هذه الزراعة فى إمداد مغازل لانكشاير البريطانية بالقطن طويل التيلة رؤى التوسع فى المشروع بانشاء خزان على النيل الأزرق عند سنار وكان ذلك عام ١٩١٣ ولكن بسبب قيام الحرب العالمية الأولى تأخر التنفيذ حتى عام ١٩٢٥ . والمنطقة بين النيل الأزرق والنيل الأبيض وتعرف بالجزيرة أصحبت بفضل المشروع تروى عن طريق

شبكة واسعة من الترع والمصارف التى تخرج من النيل الأزرق و تمتد فى السهل المثلث الخصيب (الذى تتكون رءوسه من الخرطوم وسنار على النيل الأزرق وكوستى على النيل الأبيض) وهى مساحة ضخمة حوالى ٥ مليون فدان زرع منها مايقرب من مليونين ويقدر الجزء الممكن ريه بحوالى ٣مليون فدان، وقد تم تأميم مشروع الجزيرة بعد استقلال السودان عام ١٩٥٦ . ويلعب مشروع الجزيرة دورا هاما جدا فى اقتصاد السودان حتى إنه يكاد يوفر مايقرب من نصف الموارد المالية للدولة .

ومدينة واد مدنى ثانية مدن السودان من حيث تعداد السكان بعد أم درمان وبها١٠٠ ألف تقريبا ويوجد بها بعض المهاجرين الإفريقين من الدول المجاورة الذين استقروا هناك ويسميهم السودانيون " الفلاتة ".

وبعد زيارة مركز إدارة المشروع وأراضيه والتعرف على طبيعة الحياة فى واد مدنى وظروفها كان علينا زيارة مستشفى واد مدنى لنتعرف على الظروف الصحية، وقد صاحبنى الدكتور عبد الرحمن موسى أستاذ الأمراض الباطنة ليعرفنى على طبيب شاب (الدكتور صلاح على طه) الأخصائى الباطنى الذى عرض علينا الكثير من حالات الأمراض الإستوائية والليشمانيا

وأنواع من البلهارسيا والكواشيوركور لم نكن على دراية بها،وكان شخصا مرحا ورقيقا حاصلا على شهادة الزمالة والتخصص من لندن وعلمنا أنه قد نجح فى تنظيم مؤتمر على المستوى الدولى حضره علماء من الخرطوم وباقى الدول الافريقية ومن الانجليز وأدهش الجميع بكفاءته فى تنظيم المؤتمر على أعلى مستوى من الاتقان.

أما زملاؤنا الآخرون فقد أبلوا بلاءا حسنا فى خلال يومى الزيارة، فالأستاذ دويدار أجرى فى واد مدنى عملية استئصال جزء من الرئة لمريض أثارت إعجاب الجراحين خاصة وأنه استخدم ماكان متاحا فقط من الآلات الجراحية، قال لى الأستاذ دويدار أنه لاحظ أن أهالى واد مدنى يحملون مودة فائقة لإخوانهم المصريين والبعض منهم لايزال يرفع الأعلام السوداء حدادا على وفاة الزعيم جمال عبد الناصر وأن الأهالى قرروا إنشاء جامعة تحمل اسم عبد الناصر وتبدأ بكلية للطب ولهم أمل فى أن ترتبط هذه الكلية بكلية طب الاسكندرية ببرنامج للتعاون الوثيق، وعلمت أيضا من زملائى أنهم عندما وصلوا إلى مكان إقامتهم فى فندق الكونتيننتال علموا أن أطباء مستشفى واد مدنى رفضوا أن تتولى وزارة الصحة تحمل تكاليف إقامة الضيوف المصريين فى واد مدنى وأصروا على أن يقوموا هم أنفسهم بذلك

فضلا عن إقامة وليمة إفطار فخمة يقال أن الدكتور جلال عـــارف قد التهم وحده فيها حوالى نصف خروف مشوى !! وقـــد فـــاتتنى هذه الوليمة على أى حال بسبب رحلة مالاكال ...

فى طريق العودة من واد مدنى إلى الخرطوم كنت أشــعر بأننى فى قمة السعادة لأن النتائج التى كنت أحلم بتحقيقها من هـــذه الرحلة جاءت سريعة وعميقة وبقدر كان يجاوز ما كانت تتطلــــع إليه الأحلام ٠

زيارة خزان جبل الأولياء

فى صباح اليوم الخامس من زيارتنـــا للســـودان والتـــى استمرت لمدة أسبوع دعينا إلى رحلة قصيرة إلـــى خـــزان جبـــل الأولياء الذى يقع على النيل الأبيض على بعد حوالـــى ٤٥ كيلـــو مترا جنوب الخرطوم ٠

وهذا الخزان أنشأته الحكومة المصرية وبدىء التفكير فيه عقب الفيضان الشحيح جدا فى ١٩١٣ وانتهى انشاؤه بعد توقـــف لفترة من الوقت عام ١٩٣٣ وبدأ تشغيله عام ١٩٣٧ وكانت نتيجـة ذلك توفير ٢٫٥ مليار متر مكعب من المياه بالاضافة إلـــى الحـــد من تسرب نبات ورد النيل الذى يبدد مياه النهر ٠ (بعـــد إنشـــاء السد العالى لم تعد مصر محتاجة إلى التخزين فى جبل الأوليـــاء وبعد أن جرت مباحثات بين الحكومة المصرية والسودانية فـــترة

من الوقت لبيعه للسودان بسعر رمزى تقرر نهائيا التنـــازل عـــن ملكيته بالكامل لحكومة السودان بلا مقابل وتم ذلك فيما بعـــد فـــى عام ١٩٧٧)

ختام رحلة السودان

أمضينا فى الخرطوم وتجولنا فى ربوع السودان بقدر مـــا أتاحت لنا الظروف أسبوعا حافلا بالمشاعر الأخويـــة، رفضـــت حكومة السودان ممثلة فى وزارة الصحة أن تكلفنا قرشـــا واحـــدا من تكاليف الإقامة، وتسابق زملاؤنا وتلاميذنا السودانيون الأطبـــاء فى منافسة الوزارة فى تحمل نفقـــات اســـتضافتنا وبـــالغوا فـــى إكرامنا،وشاهدنا فى السودان وتعلمنـــا الكثـــير وازدات خبراتنـــا ومعلوماتنا عن الشئون الافريقية، وتحقق لنا أن الهدف الذى مـــن أجله بدأنا هذه الرحلة قد استوى على أول طريق النجاح .

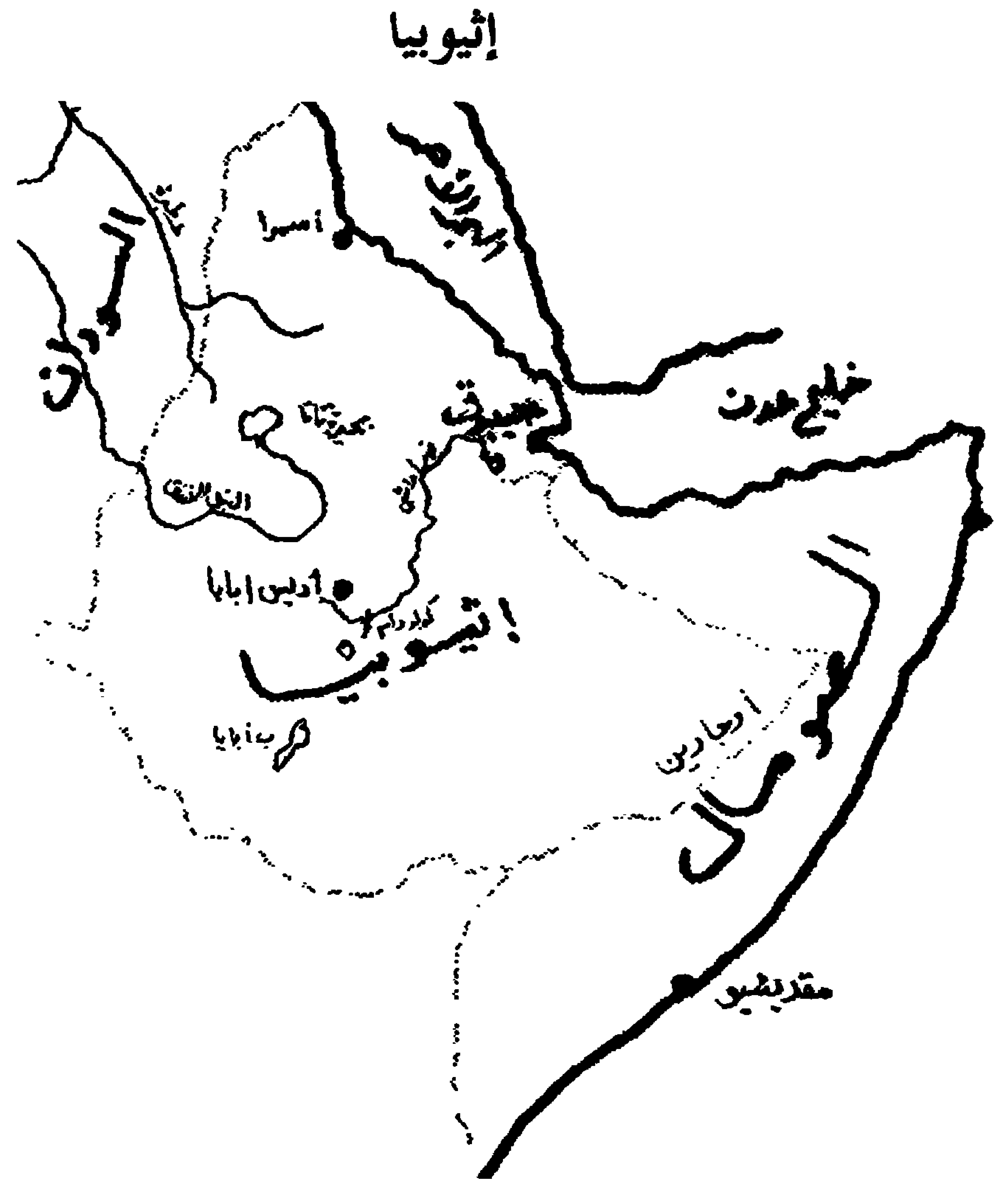
وكان علىّ أن اقطع بعض الوقت ونحن فـــى الخرطـــوم لإعادة الاتصالات مع الجهات المسئولة فى الـــدول التاليـــة مـــن مسيرة الرحلة وهى اثيوبيا وكينيا وأوغنده، لنضع بعـــض النقـــاط على الحروف ونستكمل الإعداد لبرنامج نشط ومثمر فى كل مـــن هذه الدول .

و غادرت بنا الطائرة الروســـية المؤجـــرة مـــن شـــركة الطيران الروسية إلى شركة الطيران العربية مطار الخرطوم فـــى

طريقها إلى اديس أبابا بعد وداع حافل شارك فيه سكرتير السفارة المصرية ومندوبو وزارة الصحة وجمع وفير من الأطباء السودانيين ·

ومن نافذة الطائرة الاليوشن ألقيت نظرة للمرة الثانية من الجو على العاصمة المثلثة من تحتنا قبل أن تتجه الطائرة فى مسار فوق النيل الأزرق فى هذه المرة فى طريقها إلى اثيوبيا، وسرعان ما اختفت المعالم كلها تحت السحب الكثيفة وتطلعنا بشغف للمرحلة القادمة من رحلتنا المثيرة ·

إثيوبيا



فى الطائرة بين مطارى الخرطوم وأديس أبابـــا شــغلت نفسى بالتزود ببعض المعلومات عن تاريخ إثيوبيا مـــن الكتيبـات التى كانت بصحبتى لأضيف الخلفية المناسبة لما تعيه ذاكرتى مـن معلومات متفرقة مصدرها الثقافة العامة وقد حان الوقت لصقلــها،

فقد ارتبط اسم إثيوبيا أو بالأصح بلاد الحبشةِ فـــى ذهنـــى عـــن طريق الدين من قصة غزو ملك الأحباش أبرهة لبيت الله الحـــرام وهزيمته المنكرة التى حكتها لنا صورة الفيل فى القرآن الكريـــم، ثم قصة هجرة بعض المسلمين الأول عند بدء ظهور الإسلام إلـــى بلاد الحبشة حيث أكرم وفادتهم النجاشـــى ملـــك الحبشـــة، ثـــم معلوماتنا الجغرافية بعد ذلك المرتبطة بالنيل مصدر حياتنا فـــى مصر وأن الجزء الملىء بالخير الذى يجىء به الفيضان من ميـــاه النيل يأتى لنا من الأمطار التى تســـقط علـــى هضبـــة الحبشـــة الاثيوبية، وأن الديانة الغالبة فى الحبشة - مع وجود نسبة مـــن المسلمين - هى المسيحية المرتبطة بالكنيسة المصرية القبطيـــة الأرثوذكسية، وإلى جانب كل هذا كانت هناك الهمسات التى تعلـــو من وقت لآخر عن التوتر فى العلاقات السياسية الذى يظهر مـــن وقت لآخر بين مصر واثيوبيا، وعن تغلغل النفوذ الصهيونى فى اثيوبيا وانعكاس ذلك على شكل قلق فى المحيط السياسى وتخوف من تأثير النفوذ الأجنبى علـــى العلاقـــات الأخويـــة والمصـــالح المشتركة بين دول ترتبط حياتها معا بنهر النيل وتتشابك علاقـــات كل منها بالدول الأخرى التى تشكل حوض النيل العظيم وتنظـــم العلاقات فيما بينها جميعا اتفاقيات دولية، وتـــدور فيـــها أفكـــار مستقبلية للاستفادة القصوى من مياهه لصالح شعوبها المختلفة .

فى عام ١٩٧٠ كان الامبراطور هيلاسلاسى سليل أسرة الأمبراطور جون الثانى الذى اعتلى العرش عام ١٨٧٨ بعد عدة صراعات داخلية وبعده منليك الذى فرضت ايطاليا فى عهده حمايتها على اثيوبيا، ثم انتزعت اثيوبيا فيما بعد نصرا منحها الاستقلال لفترة من الوقت، ثم أعادت إيطاليا سيطرتها على اثيوبيا فى عهد موسولينىعام ١٩٣٥ وكان هيلاسلاسى قد تولى العرش عام١٩٣٠ فاضطر إلى الذهاب إلى المنفى فى بريطانيا التى ساعدته على استعادة العرش مرة أخرى ١٩٤١ أثناء الحرب العالمية الثانية بعد أن جاء إلى القاهرة وتزود بقوة بريطانية مسلحة تسلل على رأسها عن طريق السودان إلى بلاده ليستعيد سلطته بعد طرد الايطاليين منها ٠٠٠٠٠

* * *

توقفت الطائرة فى مطار أديس أبابا، وكنا ندرك أن المسئولين فى السفارة المصرية هناك على علم بموعد وصولنا وكنا لذلك نتوقع استقبالا منهم، لكننا فوجئنا بأن الاستقبال كان على صورة لم تكن فقط تطابق ذلك التوقع وانما تجاوزت كل تصوراتنا وهزت مشاعرنا تماما منذ أول وهلة بعد دخولنا إلى اثيوبيا ٠

كان على رأس المستقبلين السفير المصرى، رجل ممشوق القوام منظره وحديثه ينطق بأنه خلق ليكون سفيرا، يدل كل مافيه على الثقة والتمكن والعظمة، لأنه يعلم أنه يمثل دولة عظيمة وعريقة، ولكنه يصوغ ذلك كله فى إطار من التواضع وسمو الأخلاق – هكذا كان انطباعنا منذ اللحظة الأولى وحتى اللحظة الأخيرة من زيارتنا لاثيوبيا عن سفيرنا المرموق هناك الأستاذ حسن عصمت سرى •

استقبل السفير الوفد عند باب الطائرة ثم اصطحبنا إلى مدخل كبار الزوار،وأحسست أن سلطات المطار تعاملنا كما لوكنا وفدا سياسيا رسميا من الدرجة الأولى،ولم يكن ينقص مظاهر الاستقبال حقا إلا أن يصطف حرس شرف ويعزف السلام الوطنى لكل من مصر واثيوبيا ••••

نظرت إلى استاذنا الدكتور دويدار فرأيته سعيداً جدا، ولم لا وهو يعامل معاملة تليق برئيس دولة أو رئيس حكومة، ولم تكن جميعا أقل سعادة ونحن نتمتع بهذه المظاهرة التى أكدت لنا أن زيارتنا لاثيوبيا ستحقق أهدافنا بمشيئة الله•

استقر بنا المقام فى الفندق المحجوز لنا واطلعنا على برنامج الزيارة الذى استطاع السفير أن يعتمده والذى كان يشمل زيارة عدة مستشفيات كبيرة هى مستشفى هيلاسلاسى ومستشفى

سان بول ومستشفى منيليك بالاضافة إلـى مقـابلات مـع مديـر الجامعة الاثيوبية وعميد وأساتذة كلية الطب ثـم احتمـال زيـارة للقصر الامبراطورى والمتحف القومى فى أديس أبابا، واستقبالات رسمية للوفد فى السفارة المصرية ثم رحلة سياحية خارج أديـس أبابا إلى منطقة كوكا دام على بعد ١٠٠ كيلومتر جنـوب شـرق أديس أبابا على نهر الأواشى٠

كانت زيارتنا الأولى لمستشفى هيلاسيلاسى الذى يضـم ٢٥٠سرير والذى بدأ العمل مع بدء ولاية الامـبراطور وتوليـه القيادة لإدخال وسائل تحديث البلاد ومقاومـة الأفكـار المتخلفـة والعمل على إمداد البلاد بالأطباء، ومع ذلك فلم يكن هناك حتـى ذلك الوقت أكثر من ٤٠٠ طبيب فى البـلاد كلـها أغلبـهم مـن الأجانب ولايزيد عدد الاثيوبيين منهم على خمسين، وكـان أحـد هؤلاء الأطباء الأجانب هو الدكتور فردريك الألمـانى الجنسـية الذى استقبلنا بالمستشفى بحفاوة وحكى لنا كيف أنه أمضـى فـى خدمة هذا المستشفى ٢٠ سنة بعد أن عمل خارج وطنه فى ايـران وكوريا والشرق الأوسط كما كان بصحبة القوات الألمانيـة التـى دخلت مصر أثناء الحرب العالمية الثانية! وقد دعانا هذا الطبيـب الألمانى لزيارة منزله فى وقت لاحق ٠وفى زيارة لقسم الأمـراض الباطنة كان رئيـس القسـم أسـتاذا انجليزيـا خريـج ليفربـول

(بروفيسور ليتهيد) أما الأستاذ المساعد فكان الدكتور جمال عبد القادر الذى درس فى بيروت والباكستان ثم انجلترا ٠

وعلمنا أن الأمراض الشائعة هناك هى الدرن بأنواعه المختلفة وأمراض تليف الكبد التى تنشأ فى الأغلب من الكحول وليس بدرجة كبيرة من البلهارسيا التى قد توجد فقط منتشرة حول منطقة بحيرة تانا، كما تحدث أمراض عديدة من التسمم بالفطريات وبعضها من أكل اللحوم نيئة وهم يقولون أنها ألطف فى الطعم وأسهل فى الهضم !! كما أن الأمراض المعوية الأخرى من التيفويد والملاريا والحمى الراجعة والتيفوس والأمراض الفيروسية المتعددة تنتشر بصورة كبيرة، أما الغريب فإن أمراض قصور الشريان التاجى المعروفة فى المجتمعات الغربية والأوروبية إنما هى نادرة الحدوث ٠هذا المستشفى ساهمت فى إنشائه مع اثيوبيا كل من انجلترا والسويد ونظام العلاج به علاج خاص على شكل نوع من التأمين الصحى ومع ذلك لم يكن بالمستشفى طبيب متخصص فى التخدير وكانت مسئولية التخدير تقع على الجراح نفسه٠ وقد شكوا لنا أن الشباب الاثيوبيين فى ذلك الوقت لم يكونوا يقبلون على تعلم الطب ويفضلون عليه وظائف أكثر فائدة لهم٠والمستشفى مع ذلك كان مجهزا تجهيزا

جيدا والأطباء أغلبهم من الألمان وتتفق عليه منحة من الحكومة الألمانية .

وقد دعينا للغذاء عند الدكتور ليتهيد Leethead وقابلنا زوجته الانجليزية وأطفاله .

وفى زيارة أخرى لمستشفى سان بول الذى يضم ٤٥٠ سريرا والعلاج به أغلبه شبه مجانى،كان المستشفى مع ذلك على مستوى عال جدا ورئيس القسم الباطنى فيه Dr Telaheen حكى لنا عن صناعة الخبز الوطنى من مواد تحتوى على كمية كبيرة من الحديد قد تكون سببا فى زيادة نسبة أمراض تليف الكبد (إلى جانب الكحول) وأمراض الالتهابات الكبدية الأخرى- أما البلهارسيا فأكد لنا هو أيضا أنها قليلة الانتشار .

وفى اليوم الثالث زرنا مستشفى منيليك وكان يبلغ من العمر وقتئذ ٧٠سنة وهو أقدم مستشفى ويضم ٤٠٠ سرير ويستخدم كمستشفى تعليمى يتبع وزارة الصحة ويديره مدير يوغوسلافى وبه ٢٠% من الأسرة مجانى وموظفو الحكومة يدفعون ٥٠% من تكاليف علاجهم به .

استقبال الجامعة وكلية الطب

كان استقبالنا فى الجامعة وفى كلية الطب استقبالا مليئا بالمودة، ومدير الجامعة شاب إثيوبى ربما لايتجاوز عمره ٣٥

عاما كان يشغل هذا المنصب منذ خمس سنوات ولكنه كان يتـــوق للعودة للتدريس،وكان العميد الانجليزى الذى سبق أن أبدى شــــيئا من المعارضة للزيارة قد تخلى تماما عن هـــذا الموقـــف وأخـــذ يتحرك بخفة لتعريف أفراد البعثة بباقى أفراد الكلية الذيـــن كـــان بعضهم بالفعل قد درس فى القاهرة وكانت قفشاته المرحة تتجاوب مع قفشات ونكات زميلنا الدكتور عمر شافعى الذى كان يملأ جـــو الحفلة بالمرح والصداقة المتبادلة وكأن القوم كانوا يعرفوننا منـــذ زمن طويل.

وتبادل رئيس البعثة الأستاذ دويدار مع العميد برفيســـيور هابل Hubble كلمات المجاملة والترحيب كمـــا تبـــادل الجميـــع التأكيد بضرورة الاستمرار فى تنمية العلاقات العلمية والطبية بيـــن البلدين، ولاحظت أن العميد الانجليزى يخاطب الأســـتاذ دويـــدار بمستر دين أى السيد العميد، وكأنه كان يتنبأ للأستاذ دويدار بأنـــه سيصير عميد كلية الطب، وهو ماحدث بعد بضعة شـــهور فـــور العودة من الرحلة !! وامتلأت هذه اللقاءات بالأحاسيس الانســـانية، ومن ذلك أيضا ما تصادف من أن أحد أساتذة الجامعة بروفيســـور صمويل كان على معرفة سابقة بالأستاذ دويدار وقد تذاكـــرا فـــى كلماتهما المتبادلة بسابق مقابلاتهما فى ايران . وأعجبنـــى تلـــك اللمحة الذكية من الأستاذ دويدار وهو يذكر اعـــتزازه بشـــخصية

مصرية إثيوبية الأصل عمل معها طويلا وهـــى الآنســة مــارى رئيسة عمليات المستشفى الجامعى التى كانت شـــخصية كســبت احترام جميع الأساتذة الجراحين بشخصيتها الممتـــازة وكفاءتـــها النادرة، وكنت أيضا أحمل نفس مشاعر التقدير والاعزاز لشـقيقتها الأصغر الآنسة جوزفين التى كانت رئيسة فى الأمراض الباطنـــة ولاتزال أختهم الصغرى تعمل معىحتى الآن.

لقد كانت الكلمات المعبرة فى اللقاءات العديدة تتجـــاوز بوضوح مجرد الترحيب بضيوف فى زيارة عابرة، فقد امتــــلأت بالقناعة بفكرة البعثة الطبية الجامعية المصريـــة وبأهدافـــها التـــى يجب أن تستمر فى طريقها للتنمية والتقدم وبالقناعة الواعية أيضـــا فىالوقت ذاته بوجود بعض الصعاب وربما الخلافات فى الـــرأى ولكن المفيد للجميع هو استنباط وسائل لدعم التعاون فى مجـــالات التعليم والصحة وتنمية الجامعات وتبادل الخبرات وامتداد ذلك كله إلى آفاق أخرى فى مجالات التجارة والصناعة وغيرها، ثم أخـيرا الإيمان بأن رابطة نهر النيل يجب أن تكون دعمـــا لكـــل شـئون الحياة فى البلدين.

* * *

وكان الاقبال على المحاضرات التـــى أعددناهـــا رائعـــا وألقى بعضها فى اجتماعات عامة وبعضها فى اجتماعات محـدودة

فى الأقسام المتخصصة داخل الجامعة، ولكننى فوجئت بأن واحدة من المحاضرات التى أعددتها لنفسى وهى التى تختص بتاريخ الطب المصرى القديم قد قرروا أن يقدموها فى قاعة كبيرة خارج الجامعة حيث قدّروا أن الاقبال على حضورها سيكون كبيرا وسيتجاوز الاهتمام بها أساتذة كلية الطب، وهذا ماحدث بالفعل، وقد أحسست بالمسئولية الكبرى إزاء هذا الوضع المميز لموضوع كان علىّ أن أقدمه بصورة جيدة ليكون على مستوى ذلك التقدير والاهتمام، وأحمد الله على أننى كنت - بالرغم من تناولى لموضوع تاريخ الطب كهواية وليس هو تخصصى الأساسى- كنت قد أعددت هذه المحاضرة بصورة ممتازة مدعمة بالوثائق والصور والشرائح الملونة . ومع ذلك فما إن انتهيت من محاضرتى حتى انهالت علىّ الأسئلة والاستفسارات، وأذكر أن أحد الأساتذة الأجانب الحاضرين وأظنه كان ألمانيا - كان يلقى الأسئلة والتعليقات بصورة جعلتنى أشعر أننى أمام عالم فى المصريات يعرف من أسرار التاريخ المصرى الفرعونى القديم أضعاف أضعاف مايعرفه الكثير من المصريين .ولهذا كنت حذرا فى إجاباتى حتى لاأتجاوز حدود معرفتى فأدعى العلم بمالا أعرفه جيدا، وكنت قد تعلمت هذه الحكمة من مشاهدتى لعظماء الأساتذة المتحدثين فى اللقاءات الدولية .

* * *

وكان مضيفونا حريصين على أن يتيحوا لنـــا الفرصـــة للتجول فى البلاد خارج العاصمة أديس أبابا فـأعدوا لنـا رحلـة سياحية إلى منطقة سدكوكا دام على نهر أواشى علـــى بعـد ٦٠ ميلا(حوالى ١٠٠ كيلومتر) من أديس أبابا والذى أدت إقامته إلـى قيام زراعة ناجحة لقصب السكر وإنتاج مايزيد على ١٤٠ ألـــف طن من السكر سنويا بينما يقوم سد آخر تنداهـــو Tendaho علـى نفس النهر على بعد ٢٠٠ ميل من أديـس أبابـا بتوفـير الميـاه لزراعة القطن وانتاج مايقرب من ٢٠ ألف طـن منـه سـنويا ٠ وهما يشكلان معا نموذجا للنهضة الاقتصادية الزراعية الصناعيـة فى وادى أواشنتى. وفى الطريق إلى موقع السد نزلنا فـى أحـد الفنادق الفخمة فندق جاليلى بالاس لتناول طعـام الغـداء وسـط مناظر طبيعة خلابة كانت فى الواقع أول مقدمة لمشاهدة الطبيعـة الافريقية التى رأينا الكثير منها بعد ذلـك فـى أوغنـده وكينيـا وتنزانيافى المراحل التالية من الرحلة ٠

وجاءت قمة أخرى من قمم الاثارة فى زيارتنا لأديـس أبابا عندما اتصل بنا السفير المصرى ليخبرنا بأنه قـد نظّـم لنـا زيارة للقصر الامبراطورىقصر أسد اثيوبيـا هيلاسلاسـى الأول، وكنا قد شاهدنا ونحن فى الطريق خارج أديس أبابا منظرا يوحـى

بالرهبة التى تحيط به إلى درجة التقديس من جانب الشعب، فقد مرت سيارته الحمراء اللون (تشبه ماكان عليه الأمر من قصر استخدام هذا اللون على السيارات الملكية فى مصر) ومع أنه لم يكن يحيط بها موكب حراسة ضخم فقد اندفع الناس الذين كانوا على الطريق الزراعى يخلون الطريق ويركعون على الأرض .

وعندما ذهبنا إلى قصر الامبراطور سجلنا بالطبع أسماءنا فى سجل التشريفات واستقبلنا المسئولون بترحيب كبير وكان بصحبتنا السفير حسن عصمت الذى كان بادى السعادة لأن السماح بهذه الزيارة للقصر كان اعترافا بتقدير الدولة لمهمة البعثة .

وقرر مضيفونا أن نمضى سهرة مع دعوة للعشاء فى منزل اثيوبى تقليدى لنتعرف على الحياة الاثيوبية عن قرب، وهكذا كان فقد دعينا إلى زيارة أسرة اثيوبية فى منزل عريق كان كل مافيه له طابع قومى من الأثاث إلى المفروشات وحتى السجاجيد الصغيرة على الأرض كان بعضها مصنوعا من جلد القرود (مما دعانا بعد ذلك إلى الحرص على شراء بعض هذه السجاجيد المستديرة المصنوعة من جلد القرود) وكانت الموسيقى تملأ المكان بنظم سريع واهتزازات عصبية،أما الطعام فقد كان كله طعاما اثيوبيا من الخبز المكون من ثلاث طبقات مستديرة

فوق بعضها وعلى كل مدعو أن يقطع جزءا منه ويستعمله كوعاء يغمس فيه الطعام المكون من لحم مخلوط بالصلصة الحامية جدا والدجاج والخضروات وخليط من الكبدة ولحم الكرشاه والجبنه البيضاء.

ومن التقاليد الهامة أن تقوم سيدة البيت بإكرام الضيوف واحدا واحدا بنفسها بأن تتناول كتلة من الطعام تعجنها بيدها ثم تكورها وعليك أن تفتح فمك لتدفع السيدة إليه بهذه الكرة ثم تنتقل بعد ذلك إلى ضيف آخر، ولم يكن هذا بالأمر السهل قبوله، ومن ناحية أخرى فإن رفض قبول هذا التكريم يعتبر إهانة لصاحبة البيت . وعندما حل دورى استطعت أن أتخلص من كتلة الطعام دون ان يلحظنى أحد، أما الدكتور رفيق زاهر الذى كان بجوارى فما إن تناول كرة الطعام فى فمه حتى وجدت لونه شاحبا جدا وكان موقفا عصيبا انتهى بسلام بعد ذلك والحمد لله. أما القهوة فقد وضعوا لنا بها سكرا ولكننا عرفنا أنهم فى الأرياف قد يتناولونها بعد إضافة الملح بدلا من السكر، وعلمنا أنه فى بعض مناطق الجنوب ينمو شجر البن كنبات شيطانى !!

وفى لقاءاتنا المتعددة مع المسئولين من أعضاء السفارة المصرية فى اديس أبابا كان واضحا أنهم يكونون فريقا مدركا تماما لمهمته ويعملون معا تحت قيادة ممتازة وناجحة، وكان لافتا

للنظر شخصية مستشار السفارة "صلاح بسيونى " الذى كان يمــلأ الدنيا حركة ونشاطا وفكرا واعيا، وكـــان يــأمل فــى أن يقــوم المصريون بانشاء مستشفى مصرى، بل إنه أطلعنا علـــى بعــض الخرائط التى قام باعدادها كنواة لهذه الفكــرة التـــى كـــان شـــديد التحمس لها، ولا أدرى ماإذا كان ذلك قد تحقق بالفعل أم لا،ولكـــن ما أعلمه تماما هو أن هذا الدبلوماسى المتمرس قد ســـطع نجمـــه بعد ذلك وتولى أخطر المهام الدبلوماسية فيما بعد، وهذا ماكــــانت تبشر به أعماله وأفكاره بالفعل عندما كنا هناك •

ولا أريد أن اختم هذا الفصل عن زيارتنا لاثيوبيا دون أن أسجل نص الحديث الذى أدلى به السفير حسن عصمت، وقد قمت بتسجيله على شكل حوار مع الدكتور عمر شــــافعى، لأنـــه فـــى نظرى أوقع دليل على قيمة البعثة الطبية التى قمنا بها وأثرها :

د • عمر شافعى : سيـــادة الســـفير نوجه شكرنا لكل ماقامت بـــه السفارة المصرية من خدمات وتذليل الصعاب حتى تحقـــق لـــهذه البعثة ما نعتقده نحن من نجاح كبير •••

ولهذا نرجو من السيد السفير أن يحكى لنا عن انطباعاتـــه عن الرحلة وعن الصعوبات التى قابلته •

السفير حسن عصمت : أنا متشكر جـــدا، والواقـــع أنـــا سمعت بطريق الصدفة عن حضور البعثـــة إلـــى اديـــس أبابـــا،

وقد اتصل بى د٠ميكونيـن وكيـل الجامعـة وأثـار الموضـوع وأبدى رأيا بأنه بسبب وجود مرض الكولـيرا فـى أديـس أبابـا فقد يكون مـن الأفضـل تـأجيل الزيـارة أو أن تغـير البعثـة سيرها بحيث تكون أديس أبابا فـى نهايـة الزيـارات للمنطقـة – فأنا قلت أن هذا غير ممكن لأن البعثـة موجـودة حاليـا فـى الخرطوم ولايمكن تغيـير خـط السـير وأنـا لا أقبـل تعديـل البرنامج – وإذا صـح التكـهن الـذى قالـه خـبراء الصحـة العالمية بأن وباء الكوليرا سوف يسـتفحل فـى الأيـام القادمـة فإننى أستطيع أن أؤكد نيابة عن أعضـاء الوفـد مـن الأسـاتذة الأطباء أنهم سـوف يتعـاونون مـع الأطبـاء الاثيوبيـين فـى مكافحة هذا الوباء٠ ولهذا تـم الاتفـاق علـى تنفيـذ البرنـامج كما هو مرسوم فى الاسكندرية ٠وأنـا انطبـاعى الخـاص فـى الواقع أن وصول بعثتكم حقق أكـبر نجـاح واعتقـد شـخصيا أنه سوف يكون له ثقـل سياسـى إلـى جـانب الثقـل العلمـى الواضح – وأن ذلك قد فتح لنا هنـا فـى السـفارة طريقـا كنـا ننتظره من مدة طويلة واعتقد أنـه لـو اسـتمر هـذا التجـاوب بيـن الجامعـات الـذى بدأتـه جامعـة الاسـكندرية ويـاحبذا لوتبعته أيضا جامعة القاهرة مع جامعة اثيوبيـا هنـا فـإن ذلـك سيسـاعدنى جـدا هنـا علـى فتـح البـاب علـى مصراعيـه

لاستعادة الثقة بين الدولتين . لقد كان للمحاضرات التى ألقيت هنا وقع عظيم جدا وكذلك العمليات الجراحية التى أجريت فإنه منذ وصول الوفد وحتى الآن أسمع إشادة مستمرة من الأساتذة الاثيوبيين وتعليقات منهم بأنه شيء لم يكن ينتظرونه أو يتصورونه على الاطلاق .

إن وصولكم هنا لاديس أبابا سيساعدنا فى المستقبل القريب جدا على أداء مهمتنا على الوجه الأكمل واعتقد أنكم لو استطعتم فى المراحل التالية فى كينيا وأوغنده أن تقوموا بمثل هذا النشاط الجبار الذى قمتم به هنا فسوف يكون لهذا نتائج طيبة جدا فى العلاقات السياسية بين كينيا والجمهورية العربية المتحدة. وأنا فهمت من الأستاذ دويدار رئيس الوفد أنه يعتزم توجيه دعوة لكلية الطب جامعة اثيوبيا لزيارة الاسكندرية وأنا واثق أن ذلك سيكون ذو أثر عظيم جدا للعلاقات بين الدولتين .

وفى اجابة على تساؤل من الدكتور عمر قال السفير أيضا : "فى اعتقادى أنه لوتم دعم العلاقات حتى على المستوى العلمى البحت فإن ذلك ذو أثر كبير على العلاقات السياسية بين الدولتين – وأهم شيء بيننا وبين اثيوبيا فى الوقت الحاضر هو استعادة الثقة – وذلك يمكن أن يأتى بالعلاقات الثقافية وتقديم منح علمية وخلافه – وأنا أركز على الناحية العلمية وأنها الطريق

الوحيد الذى نكتسب فيه إلى جانبنا اثيوبيا، ولعلكم قد لمســـتم فـــى زيارتكم هنا أن هناك تيارات مختلفة لا أريـــد أن أتعــرض لـــها تفصيلا ".

وأتمنى لكم النجاح الكامل والله يوفقكم فى مهمتكم التـــى اعتقد أنها من أخطر المهمات التى قام بها وفد مصـــرى حتـــى الآن .... !!

فى أوغنده وكينيا

أزمة فى الطريق

عندما غادرنا أديس أبابا فى طريقنا إلى أوغنده كان فـــى وداعنا أعضاء السفارة المصرية ولكن قبل أن نغادر إثيوبيا كــانت هناك بوادر لأزمة داخلية بين أعضاء البعثة كان لابد لى أن أتخــذ فيها موقفا محددا، فقد لاحظت أن مرافقنا الصحفى الأستاذ ســامى دسوقى مندوب جريدة الأهرام أخذ يتجول وحده بصفة مستقلة عنـا ليجمع المعلومات اللازمة لموضوع صرح لنا بأنه يقوم بــــاعداده عن التغلغل الصهيونى فى افريقيا بدءا من واقع مشــــاهداته فـــى إثيوبيا، ولم يكن ثمة خلاف بينى وبينه فى الرأى على وجود هــذا التغلغل ولم يحجب السفير المصرى أو أعضاء الســفارة عنــا أى معلومات عن هذا الموضوع، ولكن الجميع كانوا يتنـــاولون هــذا الموضوع بالحذر المعروف عن الدبلوماسيين، كمـــا أننـــى مــن ناحيتى كمخطط للسياسة العامة ولهدف البعثــــة الأساســـى كنــت حريصا على أن تضع البعثة نصب أعينها بالطبع الهدف السياســى الاستراتيجى المطلوب ولكن دون التعرض المباشـــر لذلــك فـــى أسلوب العمل، والتركيزعلى الإطار العلمى والثقافى لمهمتنا حتـــى لانعطى الفرصة لأى جهة معادية أن تصطاد فـــى المـــاء العكـــر

وتفسد علينا أهدافنا باتهام البعثة بأنها تقوم فـــى الأصـل بعمـل سياسى متخفية فى دور ثقافى علمى وهو ماكـــان كفيـلا بنسـف الجهد الأكبر من مهمتنا ٠

وكنت فى أثناء تجوالنا فى الأيام الأخيره مـــن وجودنـا بأثيوبيا قد ناقشت الزملاء فى الموضوع فوجدتهم متفقيـــن معـى جميعا فى الرأى، وعندما فاتحت مرافقنا الأستاذ الصحفى ســامى الدسوقى فى الموضوع وأبديت له رأينا، وجدت منه إصرارا على متابعة مهمته الصحفية بالصورة التى يراها هو، وكان من رأيـى أنه على العكس من ذلك فإنه كعضو فى البعثـة لابـد أن يلـتزم بمنهج العمل الذى حددته البعثة ذاتها، ولكنه من وجهة نظره كـان يعتبر أن رئاسته التى توجه عمله هـى فقـط مؤسسـة الأهـرام بالقاهرة وليس لأحد منا سلطان على تصرفاته ٠

ولاشك أننا كنا نتفهم وجهة نظره، والحاسـة الصحفيـة التى تدفعه إلى الكتابة فى الموضوع السياسى، غير أننا كنا نعتقـد أنه من الأفضل أن لاتنشر هذه الموضوعات السياسـية المباشـرة أثناء أو فى الفترة الزمنية القصيرة التى تعقب أداء البعثة لمهمتها.

وبلغ التوتر بين الجانبين مبلغا يهدد بالخطر، الأمر الـذى جعلنى أتشاور مع المستشار صلاح بسيونى أثناء توديعه لنا فـى مطار أديس أبابا وأسعدنى أنه يوافقنى على هذا الـرأى تمامـا ٠

وبعد عرض الأمر على رئيس البعثة قررنا إرسال خطاب عــاجل إلى الأستاذ أحمد السيد درويش عميد الكلية يحتوى علــى نتــائج عملنا فى السودان وإثيوبيا ثم وجهة نظرنا فى موضــوع مرافقنــا الصحفى،ورأينا بأن يتدخل لدى مؤسسة الأهرام بأن لاتنشـــر أى شىء سياسى مباشر يضر بالصورة التى نرى أن تكــون مــهمتنا ملتزمة بها.

والحقيقة أن هذا الموضوع قد شــغل تفكــيرى بصــورة كبيرة، حتى أننى لم أستطع أن أخفى عن الأستاذ دويــدار رأيــى بأنه كان عليه أن يتخذ مع زميلنا الصحفى موقفــا شــديد الحــزم باعتباره هو المسئول عن قيادة البعثة وضمان تحقيــق أهدافــها . وقد أدى هذا الاختلاف فى الرأى إلى تبادل العبارات الساخنة مــع الأستاذ سامى فى بعض المواقف حتى أننى لأذكر أنه قد ألمح لــى بقدرة الصحافة بسطوتها علىأن ترفع أو تخفض من أقدار النــاس، وقد عارضته فى صحة هذه المقولة بشدة....

وعندما نشرت الأهرام تقريرها عن الرحلة، وجــدت أن صور جميع أعضاء البعثة قد نشرت فيما عدا صورتى، كمــا أن فكرة البعثة ذاتها لم تنسب لصاحبها الأصلى . ولا أظن أن ذلــك التصرف قد هزنى كثيرا فقد كان الدوى الــهائل الــذى أحدثتــه الرحلة الأولى ثم الرحلات التالية لإفريقيا أقوى من أن ينال منــه

مثل هذا التصرف، كم أن نسبة الفكرة الأصلية للأستاذ درويش لـم تكن تثير فى نفسى أى اعتراض لأننى كنت مؤمنا تماما بأنه لولاه هو لما كانت قد قامت لفكرتى أى قائمة فى مجال التنفيذ،ولم يكـن هو رحمه الله من القادة الذين ينسبون فضل معاونيهم لأنفسهم بـل كان على العكس من ذلك تماما وكانت كل تصرفاته معنـا تؤكـد هذه الناحية العظيمة من أخلاقه •

* * *

فى الطائرة التى عبرت بنا خط الاستواء قبل أن تتوقـف فى مطار نيروبى، كنت أحاول أن أطرح عن فكرى تلك المشـاكل العابرة لأركز على خطتنا فى إنجاح الزيارة التالية إلى كـل مـن أوغنده وكينيا، خاصة وأننا قد خرجنا من القاهرة دون أن يكـون هناك برنامج معروف لما سوف نقوم بـه فـى هـاتين الدولتيـن المهمتين جدا، ولهذا كانت هناك جهود متواصلـة مـن جانبنـا ساعدنا فيها بقدر عظيم رجـال السـفارة السـودانية والاثيوبيـة للاتصال مسبقا بالمسئولين فى وزارة الصحـة بـأوغنده وكينيـا لوضع برنامج علمى للزيارة •

ووسط الإغراق فى هذه الأفكار التنظيمية أعلـن كـابتن الطائرة أننا الآن نمر بخط الاستواء وأنه لذلك سوف يمنـح لكـل راكب منا شهادة تذكارية بذلك الحدث الفريد مدون بـها السـاعة

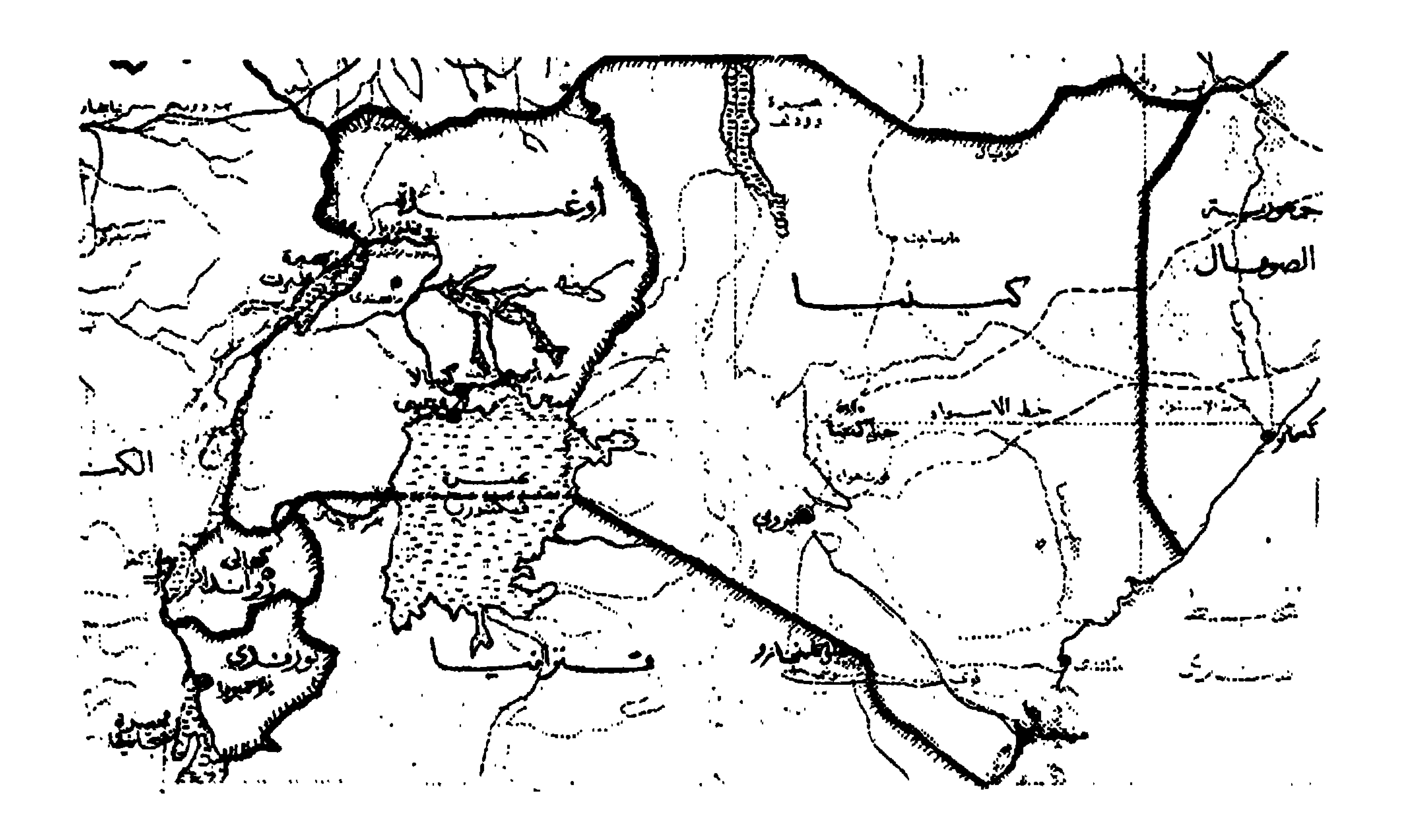
والتاريخ ٠وبعد فترة وجيزة هبطت الطائرة فى مطـــار نـــيروبى حيث قضينا بعض الوقت فى الترانزيت قبل أن نواصل الرحلــــة إلى مطار عنتيبى فى أوغنده ٠وفى مطار نيروبى قابلنا منـــــدوب من وزارة الخارجية والسفير المصرى الأستاذ نبيل عبـــد الفتـــاح وقدموا لنا تحياتهم وتواعدنا على اللقاء فى كينيا بعد زيارة أوغنـــده أولا٠

* * *

وعندما حطت بنا الطائرة فى مطار عنتيبى القريب مـــــن العاصمة الأوغندية كمبالا كان فى اســـتقبالنا الســفير المصـــرى الأستاذ صلاح صابر ورجال السفارة وممثـــل شـــركة الطـــيران العربية (الأستاذ أحمد رجب) الذى تولانا بعـــد ذلـــك برعايتـــه وكرمه طوال إقامتنا فى أوغنده حيث كان للشركة المصرية نشـــاط كبير ووجود قوى هناك ٠ كما كان فى استقبالنا أستاذ مصرى هـــو الدكتور حامد السعيد أستاذ السيكولوجى فى كلية المعلمين وكـــــان منتدبا وقتئذ من جامعة أسيوط المصرية٠

وكان مما أثلج صدورنا أن نستقبل فى مطـــــار عنتيبـــى استقبالا رسميا ونكون موضع تكريم وتتم اجراءات دخولنا فـــــى قاعة استقبال كبار الزوار، ثم انطلقت بنا الســـيارات مـــن مدينـــة عنتيبى إلى كمبالا حيث نزلنا بفندق جراند أوتيل وكان ذلـــك فـــى

٣٠ نــوفمبر ١٩٧٠ ، كان الجو السائد فى أوغنده عام ١٩٧٠هو بقايا نمط الحياة السائد فى المستعمرات البريطانيـــة ذى الطـــابع الفيكتورى بالرغم من أن أوغنده كانت فى هذا الوقت تحت حكـم الرئيس ميلتون أبوتى الذى كان قد تولى زعامة بـــلاده بعــد أن قادها إلى الاستقلال فى عام ١٩٦٢ (ولكن أبوتى أقصـــى عــن الحكم بعد ذلك لفترة طويلة علـــى يــد الجــنرال عيــدى أميــن عـــام١٩٧٢ كمـــا ســـيرد ذكـــــر ذلـــــك


أوغندا
كينيا
جمهورية
الصومال
خط الاستواء
نيروبي
رواندا
بوروندي
تنزانيا

فى الفصول الخاصة من رحلتنا الثانية لافريقيا) ثم أعيـــد لحكـــم البلاد لفترة أخرى تالية.

وفى خلال اليومين التاليين لوصولنا قمنا بتنفيـــذ برنـــامج مزدوج أتاح لنا الجزء العلمـــى منـــه الفرصـــة لزيـــارة جامعـــة ماكريرى العريقة ومعهد السرطان التابع لها ومستشفى مولاجـو، أما البرنامج السياحى فقد كان بالغ الروعة والإثارة فقد تمكنا فيـــه من الوقوف على ضفاف بحيرة فيكتوريا وزيـــارة مدينـــة جنجـــا وخزان سد أوين على نيل فيكتوريا ثم مساقط مرتشيزون وزيـــارة الأماكن المثيرة فى أرض البارا لـــودج حيـــث تمـــرح التماســـيح وأفراس النهر فى مياه النيل قرب بحيرة ألبرت .

الزيارات العلمية فى أوغنده

فى مستشفى مولاجو الجامعى الشـــهير اســـتقبلنا مديـــر الدكتور سيمامبو وأخذ يحكى لنا تاريخ هذا المستشفى الذى أنشىء فى عام ١٩١٣ كمركز لعلاج أمراض الزهرى والســـيلان التـــى كانت شائعة، وبعد الحرب العالمية الأولى بدأ التوسع فيه وتحويلـه إلى مدرسة تكنولوجيه بدأ التدريس بها فى عام ١٩٢٣ وكان يقـــو بذلك أطباء من البعثات التبشيرية، وعندما بدأ تخريـــج الأطبـــا عام ١٩٢٨ كان عددهم قليلا جدا ثم أخذ يزداد حتى وصـــل فـــ عام الزيارة إلى حوالى ١٠٠ طبيب، وبالرغم من وجود دراســـا

عليا به فإن الأساس هو تخريج الطبيب العام، وقد بدأت هذه المدرسة الطبية تابعة لحكومة أوغنده ثم أصبحت تنتمى إلى مجموعة دول شرق افريقيا، وهيئة الأطباء بعضهم تابعون للجامعة والبعض تابعون للحكومة. وبعد أن يتخرج الأطباء يستمر الأوغنديون فى التدريب العملى بالمستشفى أما الوافدون من كينيا وتنزانيا فيتمون التدريب فى بلادهم.

وتساهم الحكومات الثلاث أوغنده وكينيا وتنزانيا فى تكاليف المستشفى، وقد شاهدنا به أيضا مدرسة لتدريب الممرضات ، وبوجه عام فقد كانت مرافق المستشفى على مستوى عال .

وفى زيارتنا لمعهد السرطان ذى الشهرة العالمية قابلنا الطبيب الأمريكى ڤوجل وهو من أصل ألمانى والأستاذ شالواز وغيرهما من الباحثين .

وعلمنا أن نسبة كبيرة من الأمراض المنتشرة يسببها التسمم بمادة الأفلوتوكسين التى تتولد بسبب انتشار الفطريات السامة فى أغلب الأغذية، ثم شاهدنا العديد من حالات الاصابة بأورام كاپوسى Kaposi sarcoma والنوع المنتشر منه فى أفريقيا يتواجد بكثرة متوطنا فى حزام من المرتفعات الاستوائية مصيبا السكان السود فقط دون البيض أو الأسيويين وبخاصة فى الأعمار

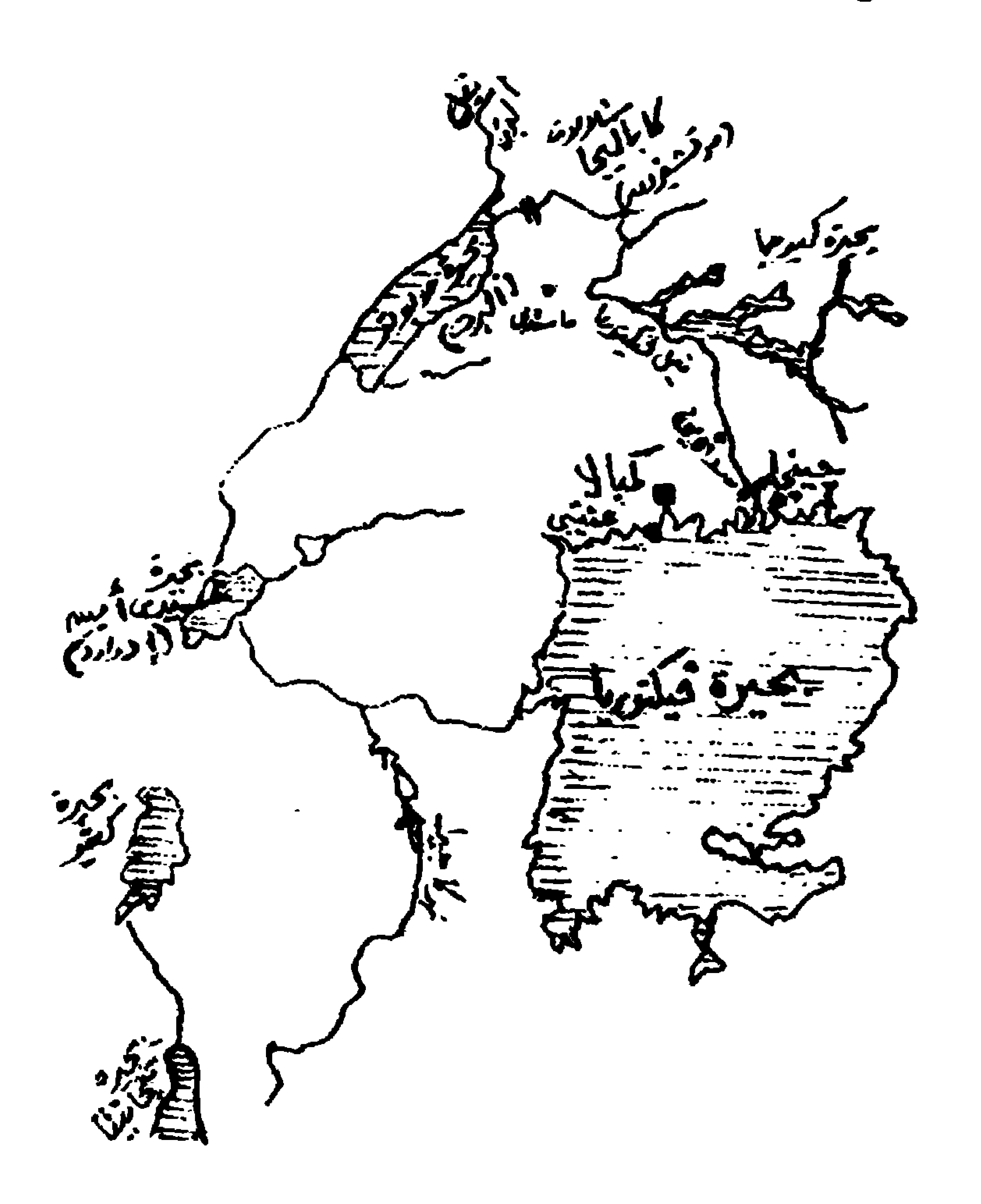
الصغيرة ويأخذ فى أطفال أوغنده صورة ممـــيزة • فــى هــذا المعهد بالذات تمت الأبحاث التاريخية الشـــهيرة التــى أظــهرت العلاقة بين الاصابة بهذا النوع من الأورام وبين الفيروسات (EBV أو فيروس أبيشتاين) وهذا الفيروس أيضــــا (EBV) يوجــد فــى المصابين بمرض أورام بركيت الليمفاوية والنوع الافريقـــى مــن هذه الأورام ينتشر بين أطفال أوغنده ويظهر علــــى شــكل أورام حول منطقة الفك وينتقل إلى الداخل ليصيب نخاع العظام وأغشــية المخ • وكان أول من وصف هذا المرض هنا الدكتـــور بركيــت (Dr. Burkitt)عام ١٩٥٨ فى الأطفال الأوغنديين ومنذ ذلك التـــاريخ ظل هذا المعهد الذىكنا نزوره مركــــزا هامـــا جــدا للدراســات الاكلينيكية والوبائية والمعملية البالغة التقدم حول هذا المرض•

جامعة ماكريرى فى كمبالا :

عند زيارتنا لجامعة ماكريرى الشهيرة جدا على مســتوى دول شرق افريقيا استقبلنا بترحاب مديرها كــاليموزو(FK.Kalimuzo) وأخذ يقص علينا تاريخها العريق منــذ بــدأت فــى عــام ١٩٢٢ كمدرسة تكنولوجيه ثم تحولت فى عام ١٩٤٩ إلى كلية ثـــم إلـــى جامعة فى عام١٩٧٠وحتى أوائل الستينيات كانت هذه الكلية هـــى المعهد الجامعى الوحيد فى دول شرق ووسط افريقيا – وهى تضم الآن إلى جانب كلية الطب كليات عديدة للعلوم والهندسة والطـــب

البيطرى والتربية والحقوق وغيرها، وحتى أوائل الستينيات كـــان مايقرب من نصف الوزراء فى دول شرق افريقيا الثلاث أوغنــدا وكينيا وتانزانيا من خريجى هذه الجامعة، فهى تسبق فى الإنتمــاء الجامعى كل من الكلية الملكية للتكنولوجيا فى نــيروبى (١٩٥٨) والكلية الجامعية فى دار السلام (١٩٦٢)

زيارة منابع النيل -بحيرة فيكتوريا -خزان أوين



سوف أتحدث الآن عن زيارتنا لمنابع النيل فـــى رحلتنـــا الأولى لإفريقيا، وكثيرة هى المعلومات التى أخذت أعيد ترتيبـــها فى ذهنى لتجيب عن السؤال : أين ينبع نهر النيل ومن أين يبـــدأ

النيل الذى تتوقف حياتنا فى مصر عليه، وهو سؤال ظـــل يحـــير الناس سنوات طويلة حتى تمت الاستكشافات العظيمة فى القـــــرن الماضى وماسبقه لتتكامل الصورة المعقـــدة والمتشـــابكة لمنطقـــة منابع النيل فى الهضبة الاستوائية ٠

والخريطة المرفقة تبين المواقع الهامة التى قمنا بزيارتـــها فى أوغنده٠ ولقد كان من الصعب علينـــا اســتيعاب نســبة هـــذه المواقع بعضها للبعض الآخر دون الرجوع إلى الخرائط والكتـــب التى تصف مسارات الأنهار والفروع المختلفة التى تخرج مـــن أو تصب فى بحيرات النيل ذات الأسماء المشهورة التى أطلقها عليـها المستكشفون الأول ثم تغير بعضها أخيرا إلى أسماء إفريقية نتيجـة للتغيرات السياسية التى حدثت فى السنوات الماضية ٠

غادرنا فندق الجراند أوتيل بعد الغداء فى طريقنـــا إلـــى مدينة جنجا على ساحل بحيرة ڤيكتوريـــا وإلـــى محطـــة توليـــد الكهرباء على خزان "سد أوين"٠ اتجهت بنا السيارة الميكروبـــاس من كمبالا شرقا إلى مدينة چنچا على مسافة ٨٠ كيلومـــترا مـــن كمبالا، وجنجا هذه بلدة تنبأ لها ونستون تشرشل فى أوائل القـــرن الماضى بأنها ستكون قلب الاقتصاد فى أوغنده، وهـــو مـــاحدث بالفعل فقد أصبحت هذه المنطقة قلب أوغنـــده الصنـــاعى٠ عنـــد الطرف الجنوبى الغربى للمدينة يبدأ نهر النيل ميلاده من بحـــيرة

فيكتوريا فى نقطة قرب منتصف ساحلها الشمالى، وعلى جـــانبى الخليج الصغير الذى يمتد من البحيرة يبدأ المجرى ثـــم يضيــق تدريجيا حتي يصبح نيل ڤيكتوريا فتبدأ أول مرحلة مـــن مجــرى النيل شمال بحيرة فيكتوريا – وعلى الجانبين منه توجد العديد مــن المنشآت الصناعية ثم على بعد يقل عن كيلو مترين بعـــد ميــلاد النهر من بحيرة ڤيكتوريا كانت تقع منطقة شلالات أويـــن التـــى اختفت تحت المياه بعد أن تم بناء خزان أوين الضخم الذى قمنـــا بزيارته.

وهذا الخزان قامت الحكومة المصرية ببنائه عـــام ١٩٥٣ وافتتح فى العام التالى لتنظيم حركة خروج الميـــاه مـــن بحـــيرة فيكتوريا بما يخدم أغراض الرى فى مصر وذلك لقاء أن تســـتخدم الطاقة الكهربائية المولدة منه (حوالـــــى ١٥٠ ألـــف كيلـــووات) بواسطة أوغنده للأغراض الصناعية . ولقد قامت بالفعل بفضـــل هذه الطاقة فى منطقة جنجا صناعات للنسيج والنحـــاس والحديــد وبعض الصناعات الغذائية المحدودة. وقد قابلنا فى هذه المنطقـــة وفى محطة توليد الكهرباء وعند مقياس النيل هنـــاك عـــددا مـــن مهندسى الرى المصريين المقيمين (م/ على أبو السعود، م/ فـــؤاد الشيشينى).

وانتقلنا بعد زيارة چنچا وخزان أوين إلى شاطىء بحيرة فيكتوريا لنتطلع إلى تلك المساحة الهائلة من المسطح المائى (٦٩ألف كيلو مترمربع)الذى يقع على ارتفاع ٦ آلاف قدم عن مستوى سطح البحر، وكان علينا أن نتأمل فى أن نقطة المياه التى نشاهدها هنا الآن عليها أن ترحل قبل أن تصل إلينا فى الاسكندرية مسافة لاتقل عن ٧ آلاف كيلو متر وتهبط أيضا إلى مستوى أدنى مالا يقل عن كيلومترين حتى تصل إلى مستوى البحر عندنا وتستغرق فى رحلتها هذه مالا يقل عن خمسة شهور.

ووقفنا عند مكان اللوحة المقامة على شاطىء البحيرة عند مخرج النيل والتى تشير إلى المكتشف سبيك Speke وتقول أنه هنا اكتشف منبع النيل عام ١٨٦٢. وإياك أن تصدق هذا الكلام بحذافيره فنهر النيل ميلاده الأول لايبدأ فى الواقع هنا، وانما يبدأ قبل بحيرة فيكتوريا ذاتها كما ثبت بعد ذلك، وميلاده الحقيقى يبدأ من عند نهر كاجيرا الممتد فى جمهورية بوروندى وعلى ارتفاع يزيد عن ٦٥٠٠ قدم فوق سطح البحر قبل أن تدخل مياهه بحيرة فيكتوريا ذاتها.

ولرحلتنا الاستكشافية الثانية فى زيارتنا الأولى لأوغنده ١٩٧٠/١٢/١ غادرنا فندق جراندأوتيل عند الظهر بسيارة

ميكروباس قام باعدادها لنا إعدادا ممتازا الأستاذ أحمد رجب مدير فرع شركة الطيران المصرية وزودهـا بـالوفير مـن الأطعمـة والفاكهة والمشروبات استعدادا لرحلة استغرقت حوالى ٧ سـاعات على طريق أوله مرصوف والباقى منه وعر ملـىء بالمطبـات، متجهين نحو الشمال حتى وصلنا إلى مدينة "ماسندى" Masendi ثـم انطلقنا بعد ذلك لنصل إلى منطقة الناشيونال بارك التى تقـع بـها شلالات مرتشيزون (أطلق عليها فيما بعـد اسـم كباليجـا بـدل مرتشيزون)ثم توجهنا إلى فندق البارالودج للمبيـت والاسـتعداد للجولة الصباحية المثيرة التى كانت فى انتظارنا .

والفندق يقع فى المنطقة الشاسعة التى أطلقوا عليها اسـم پارالاند أى أرض فرس النهر حيث يوجد بها الجـزء مـن نيـل فيكتوريا المتاخم لبحيرة ألبرت والذى تعيش فيه أفواج هائلة مـن فرس النهر (سيد قشطة) بالاضافة للتماسيح وحيث توجـد الحيـاة البرية الافريقية فى الأرض الممتدة على اتساع كبير ...

كانت الاقامة فى هذا الفندق فى حد ذاتها قمة أخرى مـن قمم الاثارة، فكل ما بالفندق يسوده الجو الإفريقى من الأثاث إلـى رؤوس الحيوانات المعلقة على الجدران فى كل مكان،والحجـرات تطل نوافذها على البارك الشاسع والحيوانات البرية تصـل إلـى ماتحت هذه النوافذ،وعليك أن تأخذ التحذيـرات التـى يصدرهـا

الفندق مأخذ الجد.... والفندق نفسه ملىء عن آخـــره بالســـياح الأوربيين .

غادرنا الفندق فى الصباح المبكر جدا لنتجول فى البـــارك ونشهد قطعان الفيلة وهى تتجه إلى مجارى المياه والقـــردة علـــى الأشجار وقطعان الغزلان والزراف والجاموس الـــبرى والطيـــور المختلفة حتى وصلنا إلى منطقة شلالات مرتشيزون لمشـــــاهدتها عن قرب.

عند هذه الشلالات التى حملت أصلا اسم رئيس الجمعيـــة الجغرافية الملكية فى لندن وقت استكشافها بواسطة السير صمويـل بيكر عام ١٨٦٤ يضيق مجرى النيل (نيل فيكتوريا بعد أن يـــترك بحيرة كيوجا ويتجه غربا إلى بحيرة ألبرت) حتى يصبح عـــرض المجرى حوالى ٧ أمتار فقط ويزداد عنف التيار بشدة ثـــم يـــهوى ساقطا من ارتفاع ٤٥مترا فى منظر يخلب العقول مـــــن روعتـــه وجماله، ويتضافر صوت المياه الهادر وارتفاع الرذاذ فـــى الجـــو إلى مئات الأمتار وانكسار أشعة الشمس الذى يظهر علـــى شـــكل قوس قزح كل هذا فى منظومة سمفونية من الألوان والأصـــــوات تفوق كل خيال .

وبعد ذلك كان علينا أن نستقل لانشا للتجـــول فـــى نيـــل فيكتوريا حيث المنطقة غنية جدا بالحياة البرية المائيـــة وتســـتطيع

وأنت داخل اللانش أن تشاهد مئات من أفراس النهر من مختلف الأحجام والأعمار وهى قابعة فى مجرى النهر فى تكاسل،وفى منطقة أخرى تشاهد أعدادا هائلة من التماسيح التىقد يقترب بعضها ليكون على بعد مسافة بسيطة جدا من المشاهدين فى اللانش .

هذه المناظر عن الحياة البرية فى مجرى النيل بالذات لم نشاهدها بعد ذلك فى البلاد الافريقية الأخرى-وهى تجعل من أوغنده مكانا مميزا فى سياحة السفارى التى تجمع بين الحياة البرية على الأرض وفى النهر.

ولقد كنت طول الوقت أتساءل لماذا لم يتعرف المصريون على هذه الأماكن السياحية الجميلة فيأتون إليها بدلا من الاقتصار فقط على السياحة فى أوروبا بينما هنا فى قلب افريقيا توجد تلك المناظر الخلابة .

والغريب أننى حتى بعد مرور ثلاثين عاما على هذه الرحلة مازلت أسأل العديد من المصريين نفس السؤال فلا أحصل على جواب مقنع ...وعندما انتهت تلك الزيارة الرائعة كان علينا أن نستقل السيارة لتعود بنا إلى كمبالا .

* * *

ملاحظة عن الحياة فى أوغنده

فى الفترة القصيرة التى قضيناها فى مدينة كمپالا، ومـــن خلال تأملى فى نمط الحياة وسلوكيات الناس، داخل الفندق وفـــى الطرقات والمحلات التجارية التى دخلناها،كان واضحا أن أوغنـده المستقلة وعضو الكومنولث مازالت تعيش فى الجو المتأثر بـالنمط الاستعمارى Colonial، وفئات المجتمع واضحة الانقسام إلى ثلاثــة مجموعات هى :الافارقة والأسيويون من هنود وباكستانيين علـــى وجه الخصوص ثم الأوروبيون، وأنه لايوجد بين الفئات الثلاثـــة اختلاط اجتماعى يذكر إلا فى التجمعات الرسمية ، ولفت نظـــرى بوجه خاص أن الهنود والأسيويين بشكل عام يســـيطرون علـــى التجارة والاقتصاد ويتولون الأعمال ذات المـــهارة اليدويـــة أمـــا الأوروبيون فـــهم المـــهنيون والموظفـــون وأصحـــاب الأعمـــال الصناعية، تاركين للافريقين إلا فيما ندر الأعمال الزراعية مـــاعدا القليل من سكان المدن الكبرى الذين يعملون فى وظائف الحكومـــة أو الجامعات والمدارس، وكان الاكثر من ذلك أنه انتابنى شـــعور قوى بأن الأسيويين هناك يمارسون نوعا من السيطرة الاقتصاديـــة التى لاتهتم بدرجة كافية بمصلحة البلاد، فقد لاحظت فى كثير مـــن المتاجر تصرفاتهم المريبة وهـــم يغـــرون المشـــترين باســـتبدال

عملاتهم الصعبة خارج النظم الرسمية وبصـــورة توحـــى بأنـــهم يقومون أولا بأول باستنزاف الثروة وإخراجها من البلاد ٠٠٠٠

ولهذا فإننى لم أدهش بعد ذلك عندما قـــامت فـــى العــام التالى مباشرة بعد عودتنا من أوغنده حركة عيـــدى أميـــن بعـــد استيلائه على السلطة وما قام به من طرد الأسيويين بالجملة مـــن أوغنده، ومن تطاوله بعد ذلك حتى على الملكة الـــيزابيث وعلـــى مجموعة الكومنولث ٠٠٠ ولهذا وقفة أخرى سوف أتعرض لـــها عند وصف زيارتنا الثانية لأوغنده عام ١٩٧٣ فى عهد الجـــنرال عيدى أمين ومقابلتنا له شخصيا

* * *

فى اليوم الثالث من ديسمبر ١٩٧٠ بعد انتهاء جولتنا فـــى مدينة كمبالا أقام لنا السفير المصرى حفل غداء بفندق جرانـــد أوتيل ثم اتجهنا إلى مطار عنتيبى وكان فى وداعنا رجال الســفارة ورجال مصر للطيران (الطيران العربية المتحدة)وأصر رئيـــس المكتب الأستاذ أحمد رجب علـــى ألا يتقـــاضى منـــا مـــا دفعـــه لاستئجار الميكروباس الذى استخدمناه فى رحلتنا إلـــى شـــلالات مارتشيزون والبارالودج، وكان كريما غاية الكرم معنا .

الرحلة إلى كينيا

ومن مطار عنتيبى سافرنا إلى كينيا واستقبلنا فى مطـــار

نيروبى القائم بأعمال السفارة الأستاذ نبيل عبد الفتاح والمستشــــار محمود فتحى وقد تولوا مشكورين حجز أماكن الإقامة لنا بفنـــدق الامباسادور فى قلب مدينة نيروبى.

وبالرغم من عدم وجود برنامج مسبق لزيارات رســـمية لنا فى نيروبى فقد دعينا بمجرد وصولنا لحضور مؤتمر لجراحـــى دول شرق إفريقيا كان منعقدا بمبنى مدرسة التمريض، وكان اليوم

الثالث من أيام المؤتمر وتم التعارف بيننا وبين الحاضرين، وبالطبع كان لزملائنا الجراحين الحظ الأول فى النشاط والمقابلات، وقد فوجئنا مفاجأة سارة عندما أشار رئيس الجلسة عند افتتاحها إلى وجود وفد مصرى فى القاعة، وكانت مجاملة لطيفة أعقبها تحية بالتصفيق من أعضاء المؤتمر شجعت أعضاء الوفد على المشاركة فى المناقشات الدائرة،وبذلك أصبح لنا حضور فى النشاط العلمى، وكان المؤتمر فى الواقع على مستوى عال، وكان يحضره جراحون بريطانيون معروفون لنا مثل مستر تانر جراح المعدة الشهير .

كانت كينيا فى وقت رحلتنا الافريقية الأولى تحت حكم الرئيس جوموكينياتا وكان لدينا فى مصر معلومات كثيرة عن هذا الرجل ذى الشخصية الفذة والذى ارتبط اسمه بحركات التحرير الافريقية وبمنظمة الماوماو التى كثيرا ماسمعنا عنها .

وكان جوموكينياتا أول رئيس وزراء لكينيا بعد الاستقلال عام ١٩٦٣ وكان الرجل صاحب تاريخ حافل منذ أن بدأت الحركة السياسية للاحتجاج على الاستعمار البريطانى منذ عام ١٩٢١ على يد رابطة شرق افريقيا، وقد حفل تاريخه بمقاومة الجهود الاستعمارية لاحتواء دول شرق افريقيا . وأثناء دراسته فى بريطانيا لم يتخلف عن المشاركة فى الحركة التحريرية فى

بلاده فشارك مع زعماء افريقيين آخرين فى عقد مؤتمر فى١٩٤٥ ثم عاد إلى كينيا ١٩٤٦ لتنظيم حركة شعبية ثم قبض عليه ١٩٥٢ وسجن لمدة ٧سنوات بتهمة قيادة الماوماو ولكن الزعماء الوطنيين فى ١٩٦٠ انتخبوه رئيسا للاتحاد الأفريقى الكينى بالرغم من وجوده بالمنفى ٠وبعد مفاوضات مع الانجليز استطاع أن يحصل لبلاده على الاستقلال وأصبح رئيسا للوزراء ورئيسا للدولة بعد ذلك ٠

واستطاع جوموكينياتا فى فترة حكمه أن يجعل كينيا أكثر الدول الافريقية استقرارا وأكبر دولة افريقية تجتذب الاستثمارات الأجنبية وتعمل على التقدم فى مجالات الزراعة والصناعة وفى السياحة بوجه خاص ٠

وبحكم الطبيعة والجو المناسب فى أغلب المناطق استطاعت كينيا أن تحافظ على المحميات الطبيعية للحياة البرية وتستخدم هذه الامكانيات فى تنمية السياحة بشكل خطير، فهى تجتذب السياح الأجانب أكثر من أى دولة افريقية أخرى فى رحلات السفارى٠وقد استأثرت باهتمام العديد من الكتاب الذين وضعوا المؤلفات الشهيرة عن الحياة البرية فى إفريقيا لعل أقربها إلى معرفتنا وأشهرها هو كتاب ارنست هيمنجواى عن "سهول كينيا الخضراء " .

وقد حافظت كينيا فى الوقت نفسه على الموروثات الثقافية ذات الطابع الإفريقى المميز • وقد أتيح لنا فى هذه الزيارة مشاهدات واسعة عند زيارة الناشيونال بارك فى نيروبى،وقد استخدمنا فى هذه الزيارة سيارات أعدتها لنا كل من السفارة المصرية ووزارة الصحة الكينية •

امتلأت رحلتنا المثيرة فى أحراش السافانا بالقرب من نيروبى ونحن نشاهد آلاف القطعان من الحيوانات – المسالمة منها كالغزلان والزراف والقرود أوالمتوحشة العداونية التى كان علينا أن نأخذ جانب الحذر منها بعدم مغادرة السيارات، وكان ذلك كله فى جو من الإثارة ووسط قفشات ومداعبات الزملاء،وكان الدكتور عمر شافعى على وجه الخصوص يملأ الجو بتعليقاته المرحة، وأذكر أنه عندما يئسنا من مشاهدة أى أسد فى الغابة بعد عدة ساعات من البحث والتجوال أنه تذكر أن يوم الزيارة كان من أيام الآحاد، فكان يفسر غياب الأسد بأنه يوم الاجازة الرسمية لملك الغابة وعلى من يرغب فى مقابلة جلالة ملك الغابة الحضور فى أحد الأيام الأخرى من أيام الأسبوع!!

* * *

ولاشك أن رجال السفارة المصرية، بالرغم من جميع الظروف المعاكسة، قد نجحوا فى كسر الجمود لتنمية العلاقة

بيننا وبين المسئولين فى وزارة الصحة،وعندما دعينا لحفل غـــداء بمنزل القائم بالأعمال كان هناك العديد من الأساتذة مـــن جامعـــة نيروبى ومنهم بعض الانجليز تعرفت منهم شخصيا على الأســـتاذ Fulton أستاذ الأمراض الباطنة بجامعة نيروبى ٠

* * *

وفى جولاتى بمدينة نيروبى كان يخيل إلىّ فـــى بعــض الأحيان أننى فى أحد شوارع ضواحى لندن، فالشوارع فى وســـط المدينة واسعة ومركبات الأتوبيس ذات دورين مثل مايوجد منـــها فى لندن والمحلات مملوءة بالبضائع والأدوات الكهربائية الحديثـة، وقـــد أتيـــح لنـــــا أن نشـــــترى كـــــاميرات وآلات تصويرسينمائيةحديثةلنستخدمها فى تسجيل مشاهداتنا فىالرحلة٠

وقد لاحظت انتشار سلاسل المحـــلات المعروفـــة مثـــل متاجر وولورث وانتشار الآلآت الأوتوماتيكيـــة لبيـــع الســـجاير وكثير من المحلات كان على مستوى كبير ونظيف للغايـــة٠ولكننى لاحظت نفس الملاحظة عن انتشار الهنود فىالمحـــلات التجاريـــة وسيطرتهم على هذا الجـــانب مـــن الاقتصادوحرصـــهم الشـــديد علىالحصول على العملات الصعبة ومن الواضح أنهم يحولـــون جانباكبيرا منها لخارج البلاد٠

عندما غادرنا نيروبى كـــان جميـع أعضـــاء الســفارة المصرية فى وداعنا وكان واضحا أن زيارتنا قد أحدثت أثرهـــا، فقد كان فى وداعنا أيضا منــدوب مــن وزارة الصحــة وجــرى توديعنا فى المطار من البـــاب المخصــص للرســميين وكبـــار الشخصيات ..

وقد تأخر قيام الطائرة التى كانت سوف تقلنا من مطـــار نيروبى إلى دار السلام، وكانت فرصة لنا لمشاهدة حشود هائلـــة من مختلف الجنسيات فى مطار نيروبى، وكانت تعليقات وقفشـــات الدكتـــــور عمــــــر شـــــافعى ومداعباتـــــــه لباقى الزملاء السبيل الوحيد لتخفيف التوتر المصاحب لتأخير قيـام الطائرة .

تانزانيا



في اليوم العشرين من بدء رحلتنا كانت الطائرة الضخمـة التي أقلتنا من نيروبي تهبط بنا في مطار دار السلام بتانزانيـا . وتحققت تنبؤات سفير تانزانيا بالقاهرة عندما أكد لي أننا سـوف نستقبل هناك بترحاب كبير ....ولقد كان الاستقبال بالفعل حـافلا بمجرد وصولنا إلى مطار دار السلام،فكان على رأس المسـتقبلين

السفير المصرى (السفير / زكى محمد الأمين) وعدد كبير من أعضاء السفارة ومندوب من وزارة الصحة فى تانزانيا، وعدد كبير آخر من المصريين المقيمين هناك،وفوجئنا أيضا بعدد ضخم من المصورين الصحفيين يلتقطون لنا الصور، وأحاطنا الجميع بمظاهرة رائعة من حسن الاستقبال ...

ونزلنا فى دار السلام بفندق على شاطىء المحيط الهندى يملكه رجل يونانى هوفندق "بالم بيتش" .

* * *

عند زيارتنا لتانزانيا فى عام ١٩٧٠ كان على رأس الدولة الرئيس چوليوس نيريرى الذى تولى الحكم منذ ١٩٦٤ وتانزانيا هى الدولة الثالثة من مجموعة ثلاثى دول شرق أفريقيا الذى كان يضم كلا من كينيا وأوغنده وتنجانيقا تحت الحكم البريطانى وكانت مترابطة مع بعضها فى كثير من المرافق والخدمات والشئون الاقتصادية مع إلغاء الحواجز الجمركية فيما بينها، ولو أن كثيرا من هذه الروابط قد تخفف إلى حد كبير بعد استقلال هذه الدول .

وقد نشأت دولة تانزانيا بعد ذلك من اتحاد تنجانيقا التى كانت فى الأصل مع رواندا وبورندى ضمن المستعمرات الألمانية

قبل أن تنتقل إلى الوصاية الدولية وإلى النفوذ الاستعمارى البريطانى ٠

وتم الاتحاد بين تنجانيقا المستقلة والدولة التى كانت قائمة على شكل سلطنة فى جزيرة زنجبار (أو زانزبار) وجزيرة صغيرة أخرى مجاورة هى جزيرة بومبا لتنشأ منها جمهورية تانزانيا المتحدة ٠

والرئيس جوليوس نيريرى كان معروفا تاريخه لدينا باعتباره أحد قادة تحرير إفريقيا وقد رأس الوزارة فى دولة تنجانيقا المستقلة عام ١٩٦١ تحت إطار الكومنولث البريطانى ثم أصبح رئيسا للجمهورية فى عام ١٩٦٢ فرئيسا للدولة المتحدة ١٩٦٤ – وقد تخرج فى جامعة ماكريرى بأوغنده ٠

وفى عهده صدر الدستور الذى أبقى لزانزبار الاستقلالية فى ادارة بعض الشئون الداخلية، كما بدأ البرنامج الاشتراكى المعتمد على تنظيم المجتمعات القروية التعاونية وقام بتأميم واسع للبنوك وشركات التأمين وكثير من الصناعات الرئيسية والتجارة الخارجية ٠

وكان واضحا مع هذه الخلفية التاريخية والسياسية أن القوم هناك فرحون بصدق لاستقبال وفد مصرى، ونشرت الصحف فى صباح اليوم التالى أخبار وصول الوفد وأهدافه،

ونظمت لنا وزارة الصحة زيارة للمستشفيات الكبرى فى العاصمة دار السلام ولكلية الطب، واستقبلنا بحفاوة عميد الكلية بروفسور مونجى Mungi وهو رئيس قسم الأمراض الباطنة فى نفس الوقت، وعلمت منه أن الجامعة بدأت عام ١٩٦١ أى أنها أقدم من جامعة كينيا (أقدمهم جميعا فى شرق افريقيا ماكريرى ١٩٢٢) وكانت فى الأصل تتبع كلية طب شرق افريقيا٠ وتجولت مع الدكتور رفيق زاهر فى القسم الباطنى بصحبة العميد فوجدنا أغلب الأطباء هناك من الانجليز، وعرفنا فى هذه الجولة مايقال عن الأمراض الناشئة من الإفراط فى أكل نبات الكاسافا (وهو يشبه البطاطا) ويظنون أن سبب ذلك هو احتواؤه على نسبة من مادة السياناميد الضارة ٠وزار زملاؤنا الجراحون باقى الأقسام، وقد قابلنا أيضا طبيبة مصرية متخصصة فى أمراض النساء والتوليد (د٠فوزية البشلاوى) ٠

ورافقنا مندوبو وزارة الصحة فى زيارة مستشفى يوهمبيلى Yohimbilil التابع للحكومة وهذا المستشفى به مختلف التخصصات ٠ وطائفة كبيرة من أطبائه متخرجون من جامعة مكريرى والكثير منهم أيضا وافد من يوغسلافيا أو من الهند٠ ولكن الأغلبية تدربوا فى انجلترا،وكان من أطباء الرمد من تدربوا فى إسرائيل ٠ وقد لاحظنا أن عدد الأساتذة كان قليلا جدا (واحد

فقط أستاذ باطنى، وفى الأقسام الأخرى فقط أطباء بدرجات أقل) بل إنه فى بعض التخصصات لم يكن لديهم إلا القليل جدا من الأخصائيين (كجراحة الصدر والأنف والأذن)٠

وفى مستشفيات أخرى تعمل بعثات تبشيرية وخاصة فى الأقاليم، وهى تتبع طوائف مسيحية مختلفة، كما يوجد مستشفى أغاخان وهو مستشفى اسلامى خاص ٠

وأغلب الأطباء الخصوصيون كانوا من الهنود، ولم يكن مسموحا للأطباء الحكوميين بالعمل الخاص ٠

أما الأمراض الأكثر شيوعا فهى الملاريا ومرض النوم (الذى تسببه ذبابة تسى تسى) والبلهارسيا – والأونكوسركا (التى تسبب العمى) ثم الدرن وشلل الأطفال – والدوسنطاريا المعوية والتيفويد والجدرى ٠

* * *

ولايمكن أن أنسى وقفتنا قرب الغروب على شاطىء المحيط الهندى أمام الفندق فى جو معفم بالهدوء الحالم، ثم جولتنا فى الطريق بعد ذلك إلى داخل المدينة وتوقفنا لنشرب عصير جوز الهند الذى يقدمونه على قارعة الطريق مباشرة من ثمار جوز الهند غير الناضجة تماما٠

والزائر لتانزانيا يلاحظ عمق الجذور فى التقاليد والعادات الافريقية التى اختلطت قرب الساحل ببعض العادات المنقولة من الأعراق العربية الوافدة وحيث تنتشر هناك أيضا اللغة السواحيلية انتشارا كبيرا،وكثير من مفردات هذه اللغة مطابق للغة العربية •

والواقع أن حوالى ثلث سكان تنزانيا من المسلمين والثلث الآخر من المسيحيين ولكن المسلمين يكوّنون حوالى ثلثى أهل المدن الساحلية ويكاد يكون كل سكان جزيرة زانزبار من المسلمين •

ولم يتح لنا فى هذه الزيارة لتانزانيا الذهاب إلى جزيرة زانزبار (التى زرتها بعد ذلك فى عام١٩٩٨)

والمسلمون فى تانزانيا ينتمى بعضهم إلى طوائف السنّة والآخرون للشيعة ولكن المسلمين الأسيويين أغلبهم من طائفة الإسماعيلية (أتباع أغاخان)

* * *

وفى دار السلام توفرت لنا الفرصة للتعرف على الفنون الشعبية والصناعات التقليدية وفى مقدمتها صناعة الحفر على الخشب (الماكوندو) وهو يمثل إنتاجا رائعا من الأشكال شبه الكاريكاتورية ثم الزرامو وهو تصوير الشخصيات والحيوانات

بأعمال خشبية غاية فى الدقة والجمال،ومازلت أحتفظ بكمية لابأس بها من هذه الأعمال الرائعة .

* * *

وحرص المصريون المقيمون فى دار السلام على المبالغة فى الترحيب بنا فلبينا دعوة من الدكتور عبد التواب المهندس المعار لمنظمة الأغذية والزراعة هناك والمتزوج من سيدة أمريكية ٠

كما لبينا بالطبع دعوة السفارة المصرية لحفل عشاء كبير فى فندق بالم بيتش دعوا إليه المسئولين فى الجامعة وفى وزارة الصحة، وأمضينا وقتا طيبا مفعما بجو الصداقة والأمل فى استمرارالاتصالات القوية فيالمستقبل٠ ومن بين الأطباء المصريين الذين سعدنا بهم جدا وبالغوا فى ضيافتنا ومساعدتنا أذكر الدكتور أحمد مختار الذى كان معارا لمستشفى يوهمبيلى والدكتور محمود أبو السعود الطبيب الباطنى ٠

* * *

وكان لابد لنا أيضا من التجول خارج العاصمة بقدر مايسمح به لنا الوقت، فأعدوا لنا رحلة إلى منطقة سياحية اسمها "بوجومويو" على ساحل المحيط الهندى على مسيرة ٤٠ كيلو مترا شمال دار السلام، وقد ذهبنا إلى هناك بسيارات أعدتها لنا السفارة

المصرية، واستغرقت الرحلة عدة ساعات ولكن الطريق كان سيئا للغاية ولو أن الشاطىء هناك كان فى غاية الروعة والجمال .

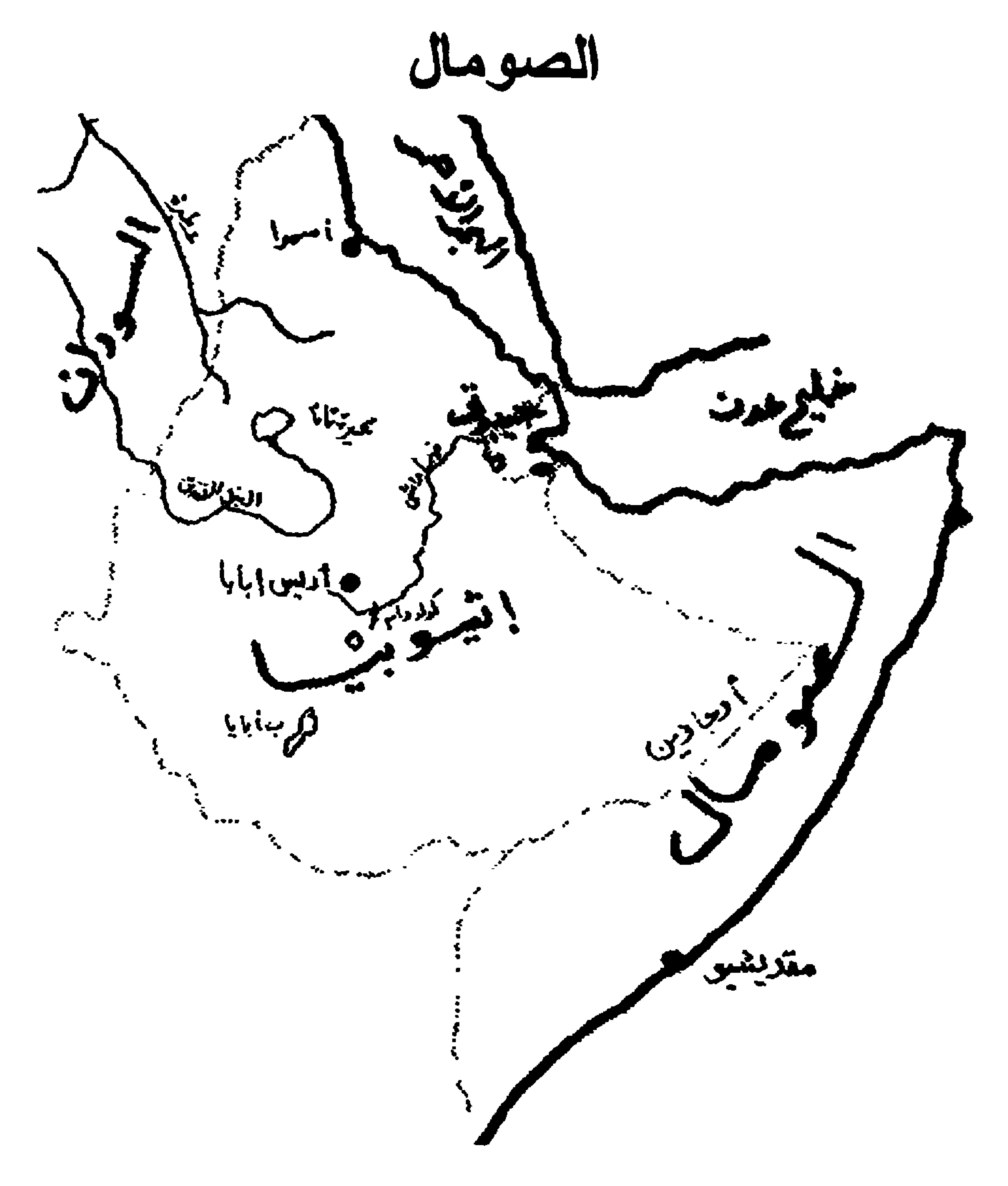
وفى الطريق زرنا متحفا لأعمال الحفر الماكوندو على الخشب وهم يصنعون أيضا من الخشب نماذج من الآلات الموسيقية،كما كان المتحف يضم نماذج من المساكن الريفية التى تستعملها القبائل المختلفة .

وفى بوجومويو متحف يضم صورا عديدة عن تاريخ تجارة الرقيق، وهناك أيضا الموقع الذى بقيت فيه جثة ليفنجستون فترة من الوقت بعد أن مات فى أثناء بعثاته لاكتشاف منابع النيل.

أزمة فى نهاية الرحلة فى تانزانيا .

تفجرت الأزمة الداخلية الثانية والأخيرة بحمد الله فى الأيام الأخيرة من وجودنا فى دار السلام، فقد تزايدت رغبة زميلنا الدكتورجمال عزب فى قطع الرحلة والعودة إلى مصر بعد أن استبد به الحنين إلى أسرته، وكنا جميعا لانوافقه على هذا الرأى ونطلب منه الالتزام بخطة البعثة إلا أننا كنا نقدر ظروفه الخاصة ونحترم رغبته، وقد أدى ذلك الموقف إلى غضب الأستاذ دويدار الذى أخذ يوجه لنا بصورة جماعية انتقادا حادا، ولم يكن ذلك غريبا على الرجل الذى عرف عنه الالتزام والنظام الشديد فى

عمله،ومع أن بعـض الزمـلاء سـاندوا الأسـتاذ دويـدار فـى تأنيبه الشديد الذى كان موجها لنا جميعـا، إلا أننـى لـم أتقبـل ذلك بسـهولة باعتبـار أن النقـد يجـب أن يوجـه لأى عمـل فردى يخرج عن النظام وليس للمجموعـة بوجـه عـام، فنحـن مجموعة قد خططت ونظمـت وأدت حتـى الآن عمـلا شـديد الإحكام، ونتطلع إلـى إنجـاز أعمـال أخـرى فـى المسـتقبل تكون أعظم وأروع ٠٠٠٠ولقد كـان الأسـتاذ دويـدار كريمـا إذ تقبل هذا الاعتراض مـن جـانبى بغايـة السـماحة والـهدوء ٠٠ وانتهت الأزمة بسلام بعـودة الدكتـور جمـال وحـده إلـى مصر وواصلت البعثة بعـد ذلـك طريقـها المرسـوم بعـد أن أدت مهمتها فى تانزانيا بنجـاح، وأخذنـا نسـتعد للسـفر إلـى الصومـال٠



فى الطائرة الصومالية التى أقلتنا من دار السلام إلى مقديشيو عاصمة الصومال (فى ١٩٧٠/١٢/١١) كنا فى حالة نفسية طيبة للغاية بعد أن قطعنا من رحلتنا الجانب الأكبر – وفى هذا الجو النفسى الطيب توفرت لنا الفرصة

لأن نتأمل شكل المضيفات الصوماليات فى الطـــائرة فقـد كـان الفرق بينهن وبين الافريقيات الأخريـــات فـــى مختلـف الـدول التى زرناها واضحــا جـداء فتيـات طـوال القامــة رشـيقات القوام لـــهن تقــاطيع دقيقــة وجمــال أسـمر هــادىء وشـعر ناعم،وبالجملة فقد كـــن أبعـد مــايكون عـن الشـكل الزنجـى التقليدى وأقرب إلى صور ملكــات الفراعنــة المصريــات فــى قالب أسمر رقيــق• ولــهذه الملاحظــة بوجــه خــاص قصــة مكملة لها وحدثت على شكل موقـــف طريــف سـوف أرويـه فى مرحلة لاحقـــة••••

* * *

وهبطت الطائرة فى مقديشيو فوجدنا فى اسـتقبالنا وفـدا ضخما من السفارة المصريـــة، ومندوبــا عــن وزيــر الصحــة الصومالية وعددا كبيرا من الأطباء المصريين وجمـــهورا كبـيرا من رجال الإعلام، وبعد استراحة فى قاعة كبار الـــزوار خرجنــا فى موكب مهيب من السيارات الحكومية الرسمية وانتقلنا مباشــرة إلى منزل السفير المصرى (السيد /طلعت الشــافعى) للـــترحيب بنا،وكانت فرصة للتعرف على أحوال البلاد بوجه عام ولمعرفــــة مدى العلاقة الوثيقة بين مصر والصومال التى كانت فــى أطيــب أحوالها •

وكان من المحتم أن نتذكر أن العلاقات بين مصر والصومال قد نشأت منذ آلاف السنين فى عهد الملكة حتشبسوت التى أرسلت بعثة تجارية إلى مملكة يونت فى أرض الصومال ....

وفى وقت زيارتنا كانت الصومال تحت حكم الرئيس زياد برى الذى بدأ فى عام ١٩٦٩ بحركة عسكرية بعد ٩سنوات من الحكم البرلمانى فى جمهورية الصومال المستقلة التى تكونت عام ١٩٦٠ من التوحد بين محمية الصومال البريطانى والصومال الإيطالى الذى كان تحت وصاية الأمم المتحدة ٠ وتحت قيادة الرئيس زياد برى كان يدير شئون البلاد مجلس قيادة الثورة ....

وتوجهنا من منزل السفير إلى فندق شيبلى Shibeliالمسمى على اسم أحد أكبر الأنهار القليلة فى الصومال وهو أفخم فنادق المدينة فى ذلك الوقت٠وعلمنا أن هناك برنامجا حافلا معدا لإنجازه فى خلال ثلاثة أيام لزيارة الجامعة ومقابلة وزير الصحة ووزير التعليم العالى ثم زيارة المستشفى العام والمستشفى العسكرى ومستشفى البوليس ومستشفى ديمارتينو كما كان مرتبا لنا رحلة إلى مدينة جوهر خارج مقديشيو ومصنعا للسكر بالقرب منها ثم حضور عدة حفلات تقيمها الجامعة ووزارة الصحة

والسفارة المصرية، هذا بالطبع إلى جانب تقديم عدد من المحاضرات والندوات العلمية ٠

وفى مقابلتنا لوزير الصحة بحضور السفير المصرى كانت كلمات الترحيب الحارة والمجاملة وتأكيد العلاقات الطيبة بين البلدين كما عرضوا علينا مشكلاتهم الصحية، وكان من بينها فى ذلك الوقت قلة عدد الأطباء وانشغالهم فى برنامج التطعيم ضد الكوليرا ٠ ولكن التأكيد الشديد ظل يدور حول الحاجة لاستمرارية برنامج التعاون والزيارات فى المستقبل، وبالطبع كان ردنا هو الاستعداد الكامل لتقديم المشورة والمساعدة فى جميع الشئون الصحية فى مجالات التعليم والتدريب الطبى والتمريض ٠

وفى مقابلتنا مع وزير التعليم أيضا أشاد الوزير بالعلاقات الحميمة بين الشعب العربى والصومالى وأكد لنا أن الغالبية العظمى من المثقفين والشباب الصوماليين يعتنقون مبادىء عبد الناصر، وأن هذه الزيارة ليست غريبة على هذا البلد، وأن الجامعة الصومالية الناشئة تتطلع إلى معونة من الجامعات المصرية على غرار إنشاء فرع لجامعة القاهرة فى الخرطوم مثلا، وقد شرحنا لهم أن فرع الخرطوم يشمل كليات نظرية فقط وأن النموذج المناسب هو المزمع من إنشاء فرع لجامعة الاسكندرية فى بيروت يشمل كلية للطب – وكانت الفرصة أيضا

متاحة لمناقشة مشكلة اللغة الصومالية التى لم تصبح لغة مكتوبة بعد،وأن التعليم الابتدائى يتم باللغة العربية ثم حصول عدد كبير من الطلاب على شهادة الثانوية باللغة العربية (كانوا حوالى ٦٠٠ هذا العام)و لايمكنهم بعد ذلك من استكمال دراساتهم الطبية بسهولة عند إرسالهم إلى الدول الأجنبية، وقد شرحنا لهم أن الموقف المشابه فى مصر يتم التغلب عليه بأن الطلاب المصريين الحاصلين على الشهادة الثانوية يكونون على إلمام أيضا باللغة الانجليزية فى المرحلة الثانوية ويواصلون التعليم الطبى بعد ذلك بالانجليزية فى الجامعة، ولهذا يجب عند تخطيط برامج إرسال طلاب صوماليين لدراسة الطب فى جامعات مصر تأهيلهم لفترة من الوقت فى اللغة الانجليزية للالتحاق بسهولة بعد ذلك بكليات الطب فى مصر .

وعقب هذه المقابلات التمهيدية لزياراتنا بدأنا برنامج هذه الزيارات.

كان من المعروف أن دولة الصومال من الدول الفقيرة فى القارة الافريقية وأن لها مشاكل كبيرة بسبب تخلف النمو الاقتصادى، لذلك فإنها تعتمد فى كثير من الأمور على مساعدات خارجية من إيطاليا ذات النفوذ الاستعمارى السابق ومن كل من

الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى الوقت ذاته وهو أمر شديد الغرابة .

وقد لاحظنا ذلك بوضوح عند زيارتنا لمختلف الأنواع من المستشفيات التى قمنا بزياراتها، وكان أول هذه المستشفيات هو المستشفى العسكرى الذى كان يرأس مجلس إدارته أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة (وقد تم بناؤه حديثا فى سنة١٩٦٨) بميزانية عسكرية وبتجهيزات من الاتحاد السوفيتى، والأطباء فى المستشفى أغلبهم من الروس والطبيب الصومالى الوحيد فى الجيش كان هو مدير المستشفى وأغلب الأطباء تدربوا فى روسيا ولاحظنا أن الأطباء الروس يؤدون عملا طيبا، أما الممرضات فكلهن صوماليات .

وكانت الزيارة الثانية لمستشفى للبوليس وكان مبنيا ومجهزا هذه المرة بواسطة الايطاليين على شكل مبانى صغيرة متفرقة جاهزة التركيب تم تجميعها،ولكنه كان مجهزا تجهيزا جيدا وتديره مجموعة من الراهبات، والأطباء أغلبهم صوماليون ويتحملون مسئوليات كبيرة بالرغم من صغر أعمارهم نسبيا، ويدير المستشفى طبيب شاب هو د.خليف مولانا صوفى تخرج من روسيا ويتحدث عدة لغات الانجليزية والروسية والايطالية والعربية والصومالية والسواحيلية .

وزرنا أيضا مستشفى ثالث هو مستشفى ديمارتينو وقد بناه منذ ٥٠ سنة جنرال ايطالي وهو من طراز قديم ويعمل به أطباء صينيون كانوا متحفظين جدا في لقائهم معنا ولم يوافقوا على مصافحتنا إلا بعد أن تأكدوا أننا مصريون، وعلمنا أنهم يعيشون إلى جانب عملهم حياة منعزلة ولا يتصلون مطلقا بالأغراب عنهم ٠

* * *

وأثناء زياراتنا للجامعة والمستشفيات قمنا بالكشف الطبي على العديد من المرضى ومن بينهم بعض أقارب كبار الضباط في الجيش، وألقيت ثلاثة محاضرات بواسطة أ٠د دويدار، د٠عمر شافعي د٠فريد مصطفى وعقدت ندوة عن نظم التعليم الطبي والجامعي شاركت فيها شخصيا ٠

وكان هناك الكثير من المشاهدات والمواقف الطريفة الانسانية التي تستحق التسجيل ٠ ومن ذلك مثلا أن الصوماليين يتمتعون بتجانس عرقي بالرغم من سيطرة التقاليد القبلية بشدة على شئون حياتهم،واللغة الصومالية كانت دائما مصدرا للوحدة فيما بينهم، وهي لغة حتى ذلك الوقت لم تكن لغة مكتوبة، وقد قامت منذ مدة طويلة محاولات عديدة لتحويلها إلى لغة مكتوبة بل إن أحد أهداف الثورة المعلنة عند قيامها في١٩٦٩ كان هو ذلك،

وتمت محاولات لاستخدام الحروف اللاتينية والعربية والعثمانية (نسبة إلى اسم مبتكرها وليس نسبة للدولة العثمانية)٠أما اللغات الأخرى السائدة فالعربية هى لغة التعليم فى المدراس الابتدائية والانجليزية فى مراحل التعليم الأعلى من ذلك إلى جانب اللغة الايطالية٠

أما الدين فهو الاسلام دين الدولة، والأغلبية هم من السنيين الشافعيين مع سيطرة لبعض المذاهب الصوفية (الصالحية والقادرية) ٠ولاحظنا أن بعض السيدات الصوماليات يستخدمن الحجاب ولكنه فى الأغلب تقليد مستورد منقول عن العرب والباكستينيين ٠

وهنا يجدر أن أروى عن حدث طريف وقع لنا ونحن نتجول فى الطريق حول الفندق الذى نزلنا به وكنا منذ أن لفت نظرنا جمال المضيفات الصوماليات فى الطائرة نرى باستمرار مايؤكد هذه الصورة اللطيفة للفتاة الصومالية وهى تسير فى الطريق ممشوقة القوام فى زى طويل محتشم وبكل حسن نية قام بعض منا بالتقاط بعض الصور لنضمها إلى مجموعة الصور التى تمثل أشكال الناس المتباينة فى مختلف الدول الافريقية التى قمنا بزيارتها،وكان من المؤكد أننا سنهتم بتأكيد ملاحظتنا عن رقة التقاطيع وحلاوة الشكل للفتاة الصومالية،وفجاة وجدنا من

يقتادنا إلى نقطة البوليس التى كانت بالصدفة على بعد خطوات،باعتبار أن ماقمنا به من تصويز للفتيات فى الطريق هو عمل خارج على القانون،وكانت مصادرة الكاميرات هى الإجراء المتوقع على الأقل فى أحسن الظروف،ولكن الله سلم، فعندما تبين للضابط المسئول أننا مصريون ألغى على الفور الاتهام وخرجنا من نقطة البوليس بعد اعتذار كان فيه شيء كبير من المجاملة، ولكننا أصبحنا أكثر حذرا فيما بعد ٠٠٠٠

وشاهدنا هناك من الأطباء المصريين نماذج رائعة من النجاح، ومن هذا النوع طبيب اسمه الدكتور جمال الباز كان قد أعير للعمل بالصومال منذ عام ١٩٦٢ وهو أخصائى فى جراحة المسالك البولية وانتهت اعارته بعد ست سنوات عرف عنه خلالها التفانى فى تقديم خدماته والعمل الشاق دون ارتباط بمواعيد محددة، فتعلق الناس هناك به تعلقا شديدا حتى أنه أرسلت لوزير الصحة توقيعات تتجاوز الألف توقيع تطالب بعدم الموافقة على انهاء إعارته فاستمر يعمل فى الصومال،وهو يقول أن البلد أتاحت له الهدوء النفسى بالرغم من عدم توفر وسائل الراحة أو الكسب المادى الكافى ٠وغير هذا الطبيب قابلنا مجموعة أخرى من الأطباء المصريين الأخصائيين فى الأشعة وجراحة العظام وأمراض النساء٠

أما الصوماليون فقد كانت اللقاءات الاجتماعية معهم تظهر مدى تعلقهم ومحبتهم للمصريين،ولم يدخر المسئولون منهم جهدا في إظهار الترحيب بنا والبساطة في التعامل معنا، فلبينا دعوة من مدير الجامعة للغداء تكريما للوفد في فندق شيبلي حضرها وزير الصحة نفسه وكان يتصرف ببساطة شديدة وهو طبيب جراح متزوج من سيدة ايطالية، وقد روى لنا قصة طريفة كيف أن مريضا أحضر له شبلا صغيرا على سبيل الهدية فاحتفظ به لفترة طويلة حتى كبر وأصبح خطرا فاضطر للتخلص منه ٠

وأصر الأطباء المصريون على أن يقوموا هم أيضا بالاحتفاء بنا فنظموا مأدبة كبيرة حضرها السفير المصري وأعضاء السفارة والعديد من الأطباء الصوماليين ٠

* * *

وفي الرحلة التي قمنا بها إلى مدينة جوهر سافرنا بالسيارات لمدة ساعة في طريق لا بأس به وعندما وصلنا إلى المدينة دعينا لتناول الغداء في نادي العاملين بمصنع السكر ثم قمنا بعد ذلك بزيارة مصنع السكر قبل أن نعود إلى مقديشيو لحضور حفل العشاء في منزل السفير طلعت الشافعي تكريما للوفد وكان الحفل فرصة للتأكد من المكانة

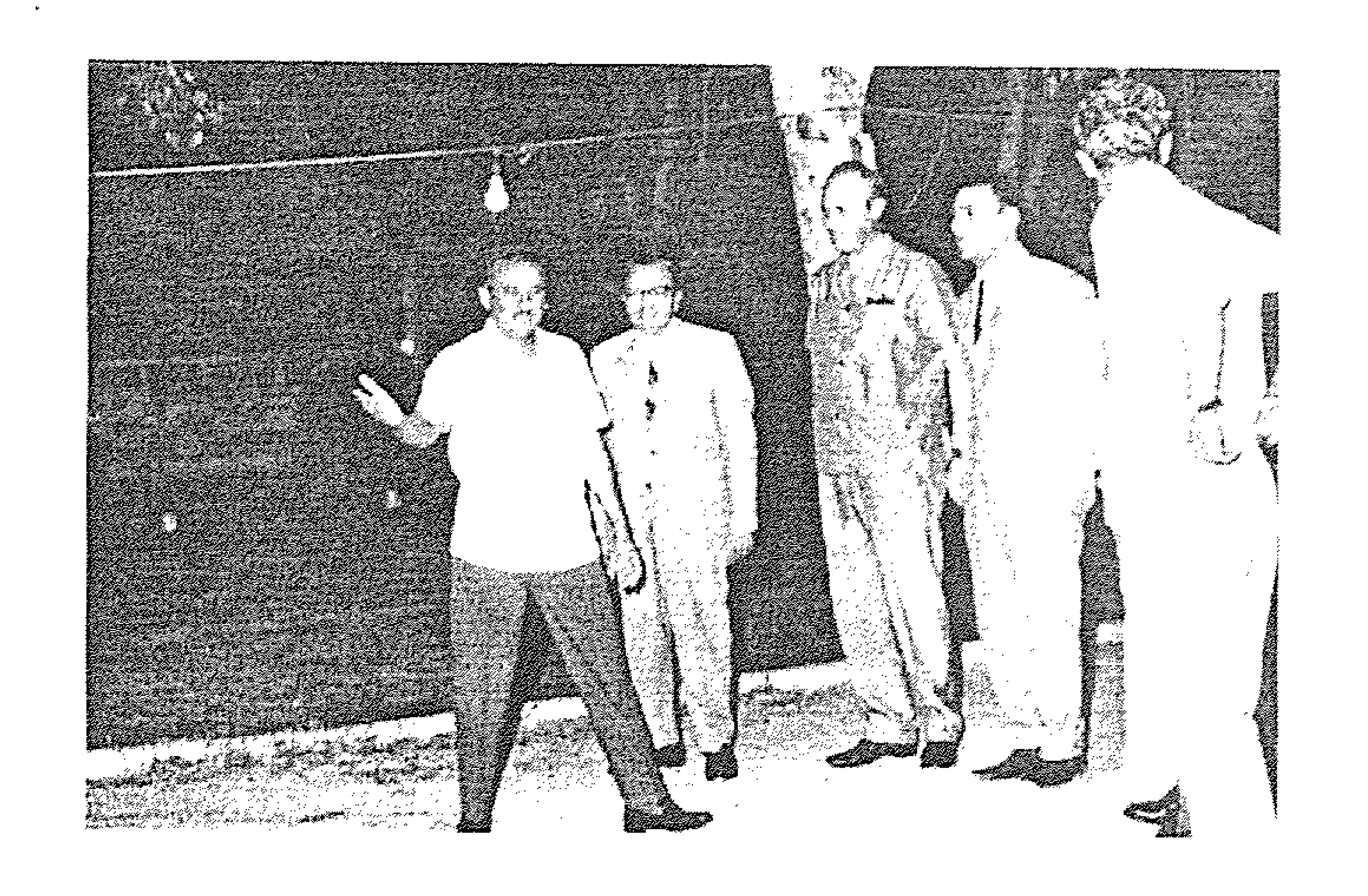
الممتازة التى يحتلـــها الســفير فـــى المجتمـــع فـــى الصومـــال ....

وقد تأكد لنا النفوذ الكبير للسفير المصرى مـــن حادثـــة طريفة وقعت لنا فى نهاية اقامتنا فى الصومال المحطة الأخـــيرة من رحلتنا الإفريقية المثيرة، فقد كان علينا أن نعود من مقديشـــيو إلى مصر عن طريق عدن بواسطة شركة الطـــيران المصريـــة ورأى بعضنا أن يعودوا بدل من هذا الطريق عن طريـــق جـــدة ليؤدوا العمرة فى مكة المكرمة، وكان لزاما عن كل من يرغـــب فى الدخول إلى المملكة السعودية قادما مـــن إفريقيـــا الخضـــوع لفحص طبى وتحليل عينة من البراز للتـــأكد مـــن عـــدم حملـــه ميكروب الكوليرا .. وهكذا كان، ولكن المفاجأة حدثت عندمـــــا ذهبنا إلى مطار مقديشيو فقد أتت نتائج الفحص ايجابية بالنســـبة لثلاثة من أعضاء الوفد من المسافرين إلـــى الســـعودية فـــأبلغت سلطات المطار عن طريق وزارة الصحة لحجزهم فـــى الحجـــر الصحى، وعبثا حاولنا اقناع المسئول عن الصحـــة بأنـــهم غـــير مصابين بأى مرض وأنهم أطبـــاء مســـئولون، ولكـــن يبـــدو أن تعليمات السلطات الصحية السعودية كانت صارمة وبالمثل كـــانت السلطات الصحية فى الصومال بالرغم مـــــن فيـــض المشـــاعر المتبادلة بيننا وبينهم فى خلال أيام الزيارة. وهنا جاء دور السفير

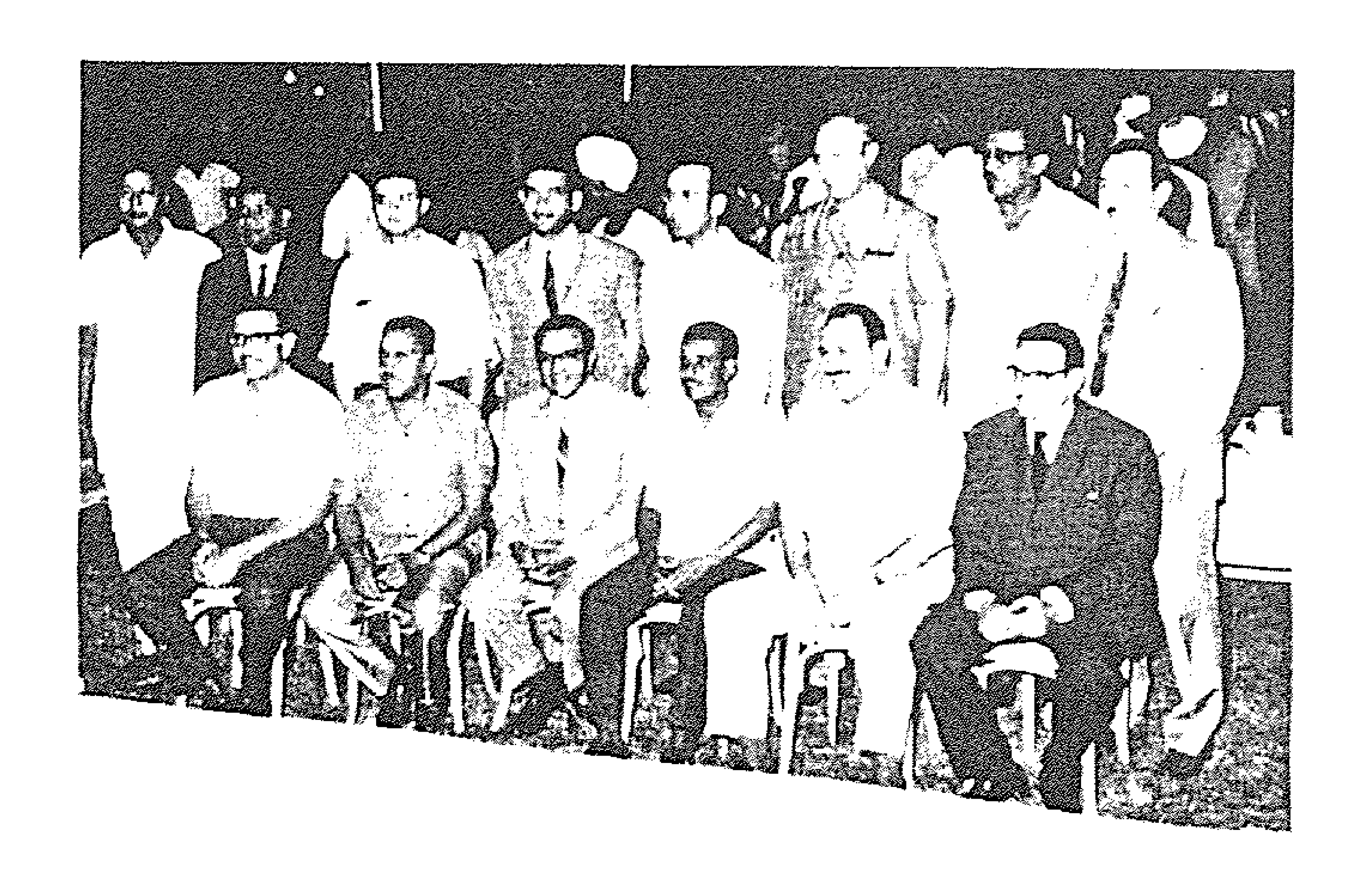
المصرى الذى تدخل بصورة حازمة وهدد بعدم قيـــام الطـــائرة المصرية إلا بالوفد المصرى بأكمله، ولكننا آثرنا إنهاء الأزمــــة بالتخلى عن مشروع زيارة المملكة السعودية نهائيا وتوجهنا كلنـــا إلى عدن ٠

* * *

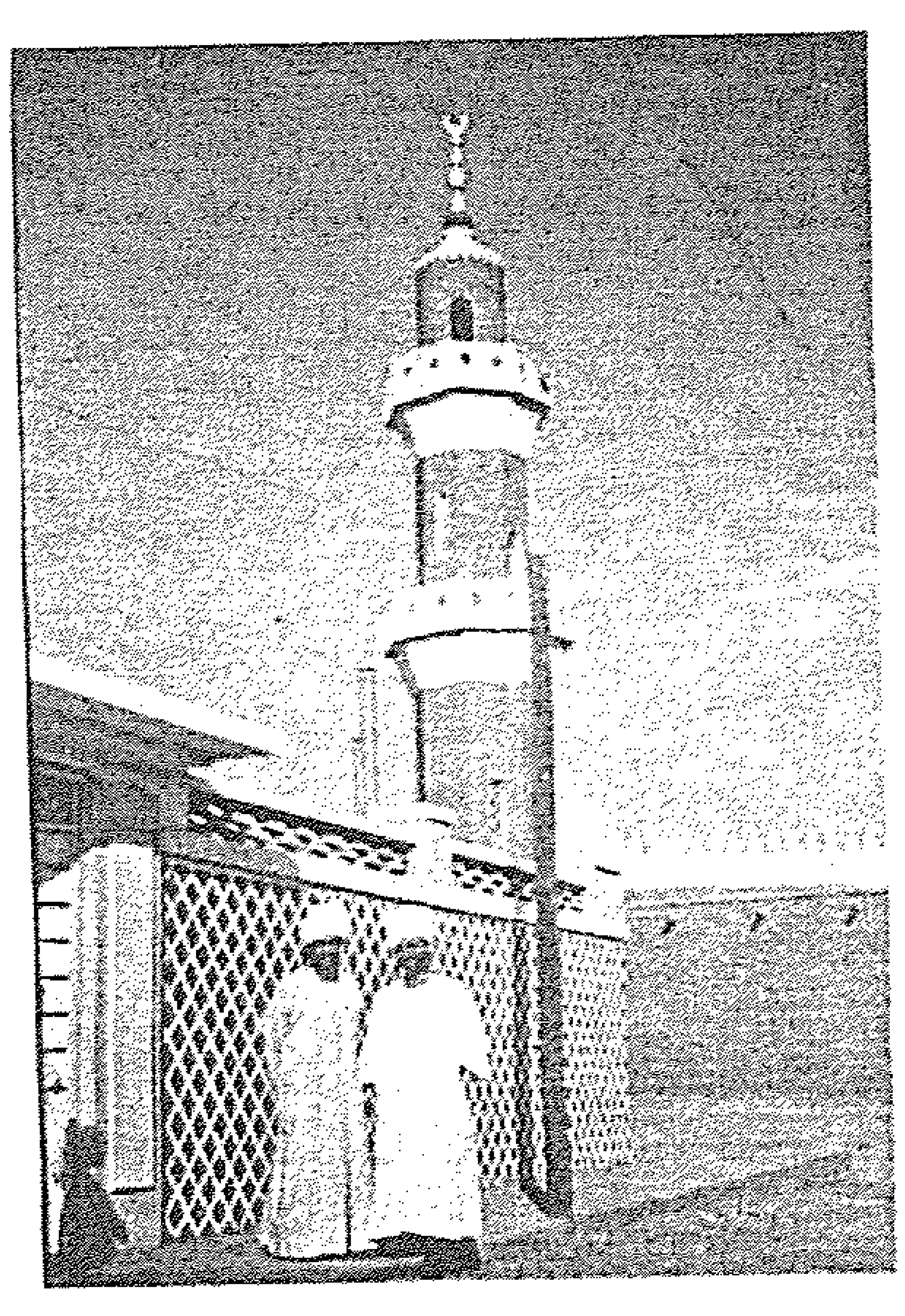
وكانت إقامتنا فى عدن لمدة ليلة واحــــدة علـــى ســـبيل الترانزيت قبل أن نركب الطائرة المصرية لتعود بنا إلى القـــاهرة فى ٧٠/١٢/١٧ بعد أن استغرقت رحلتنا التاريخيــــة مـــدة ٣٤ يوما٠



مع وزير الصحة السودانى فى الخرطوم (١٩٧٠)



لقاء فى الجمعية الطبية السودانية (١٩٧٠)



فى أم درمان ـــ المؤلف بالملابس السودانية مع زميل سودانى(١٩٧٠)



زيارة مشروع الجزيرة ـــ واد مدنى (١٩٧٠)



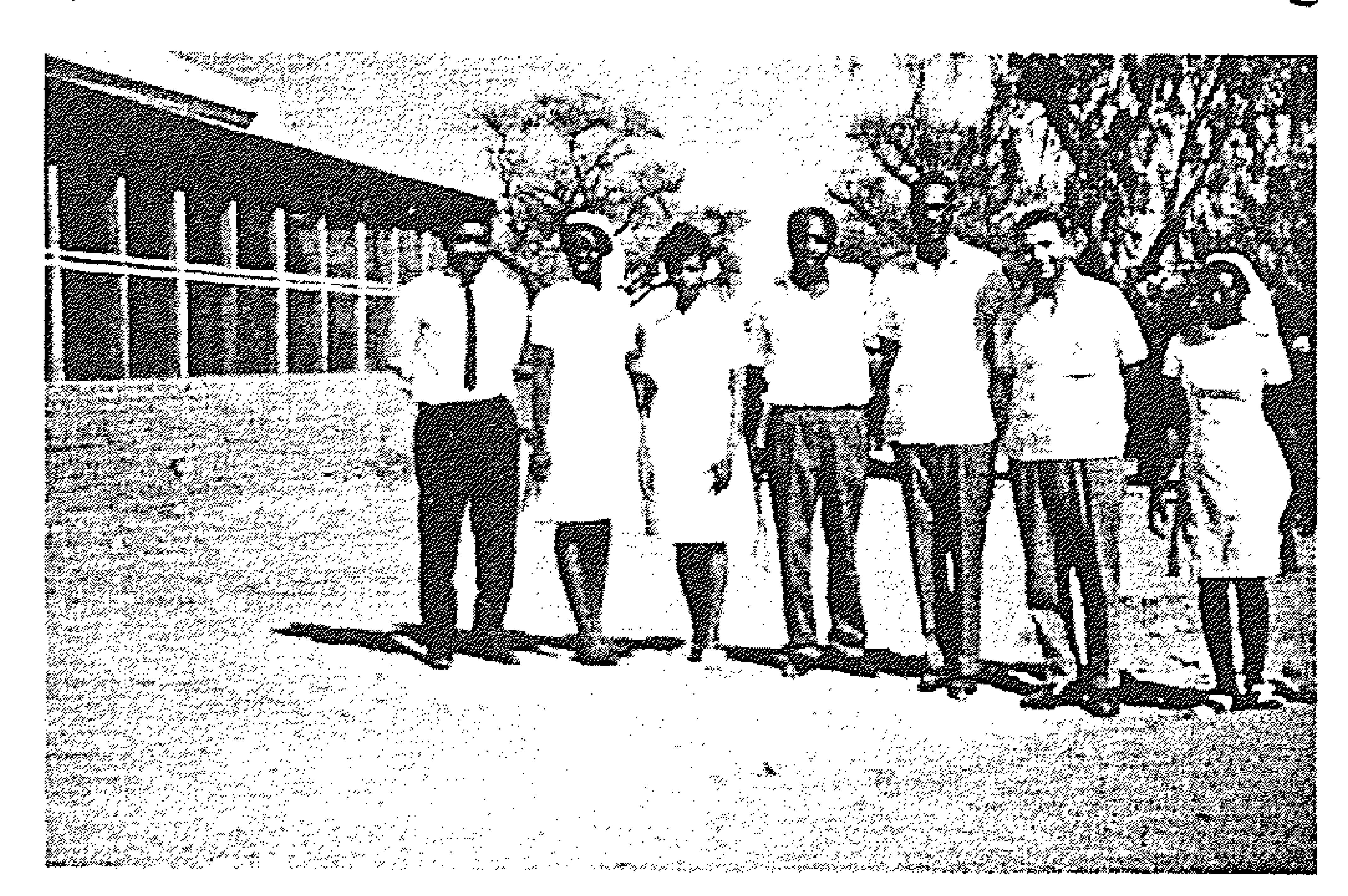
مع الزميل د. أبو عبيدة فيأم درمان (١٩٧٠)



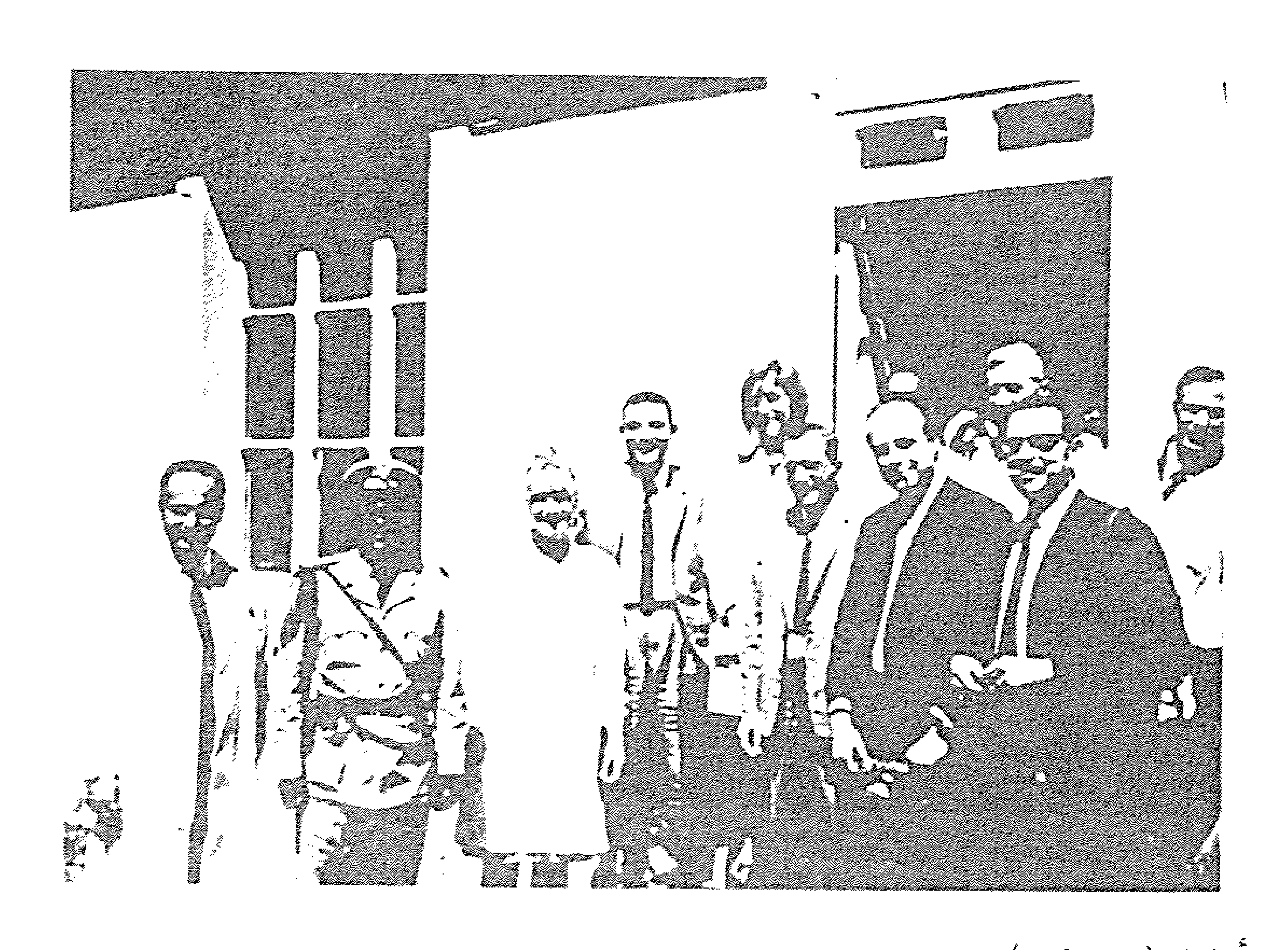
مع مواطن سودانى من الجنوب ملاكال (١٩٧٠)



نموذج من الحالات المرضية فى المناطق الاستوائية بالجنوب (١٩٧٠)



فى مستشفى ملاكال جنوب السودان (١٩٧٠)

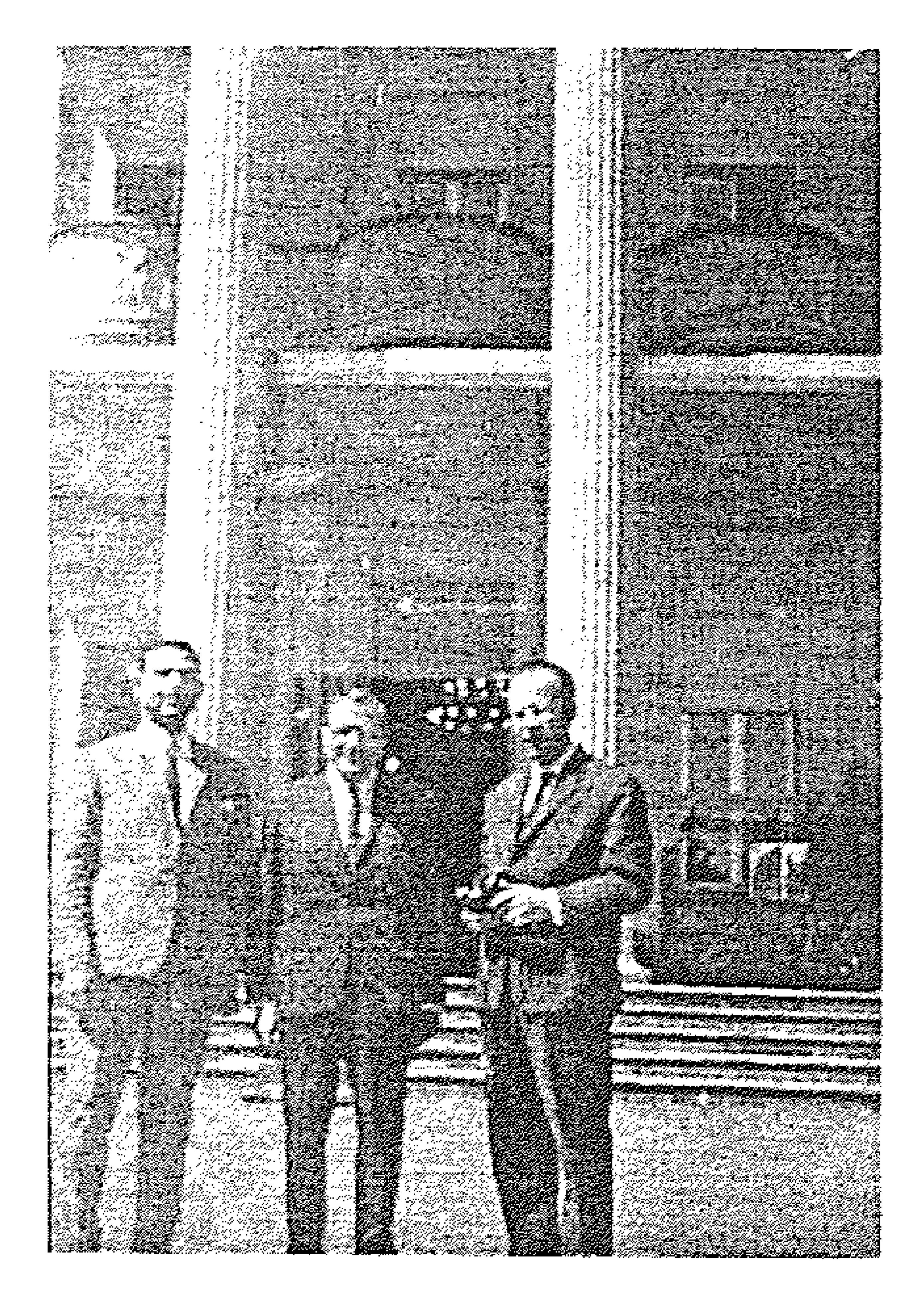


أديس أبابا (١٩٧٠)

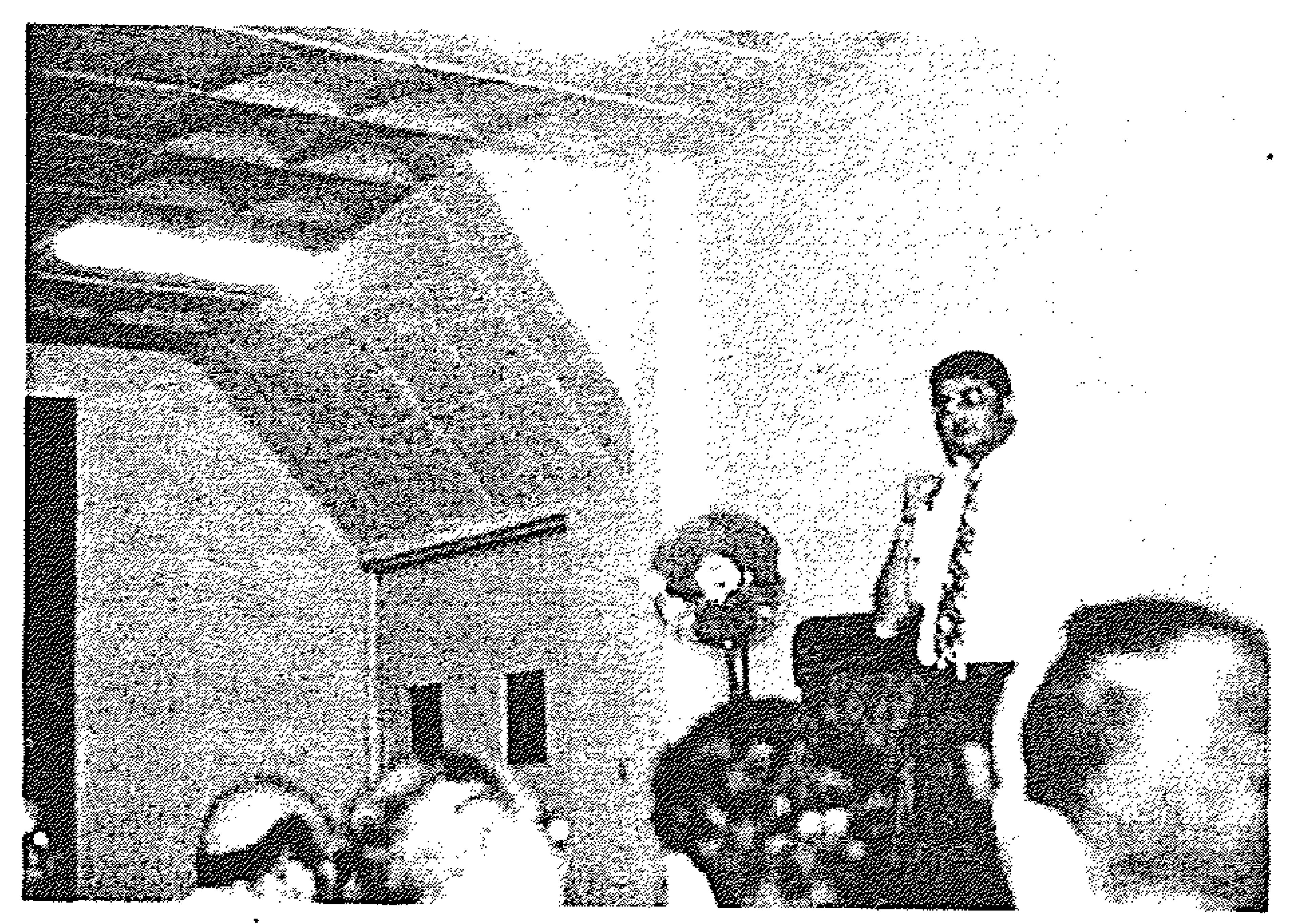
فى كلية الطب

والمستشفى الجامعى

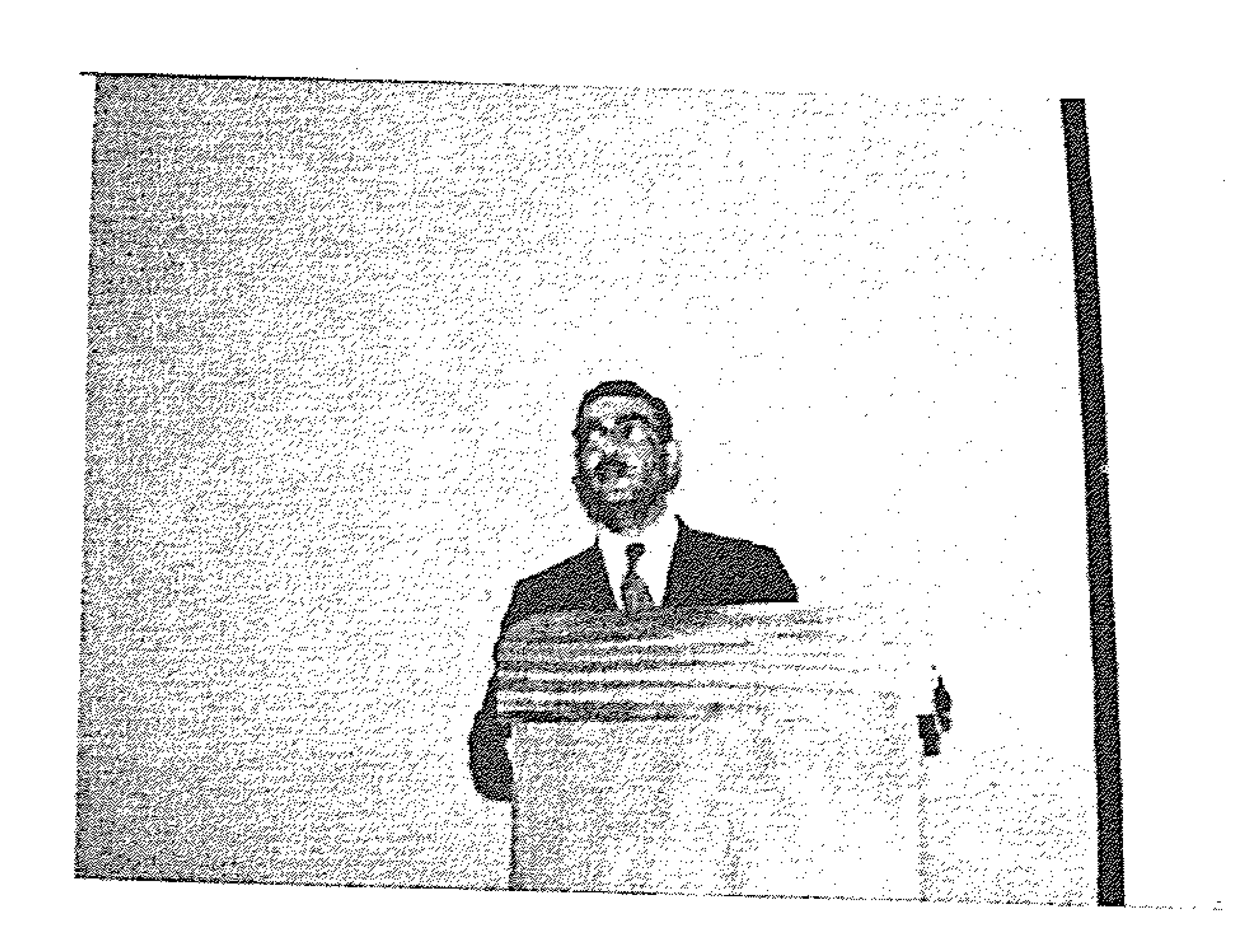




أمام قصر الإمبراطور هيلاسى لاسى أديس أبابا (١٩٧٠)



محاضرة فى أديس أبابا د. أحمد قرة (١٩٧٠)



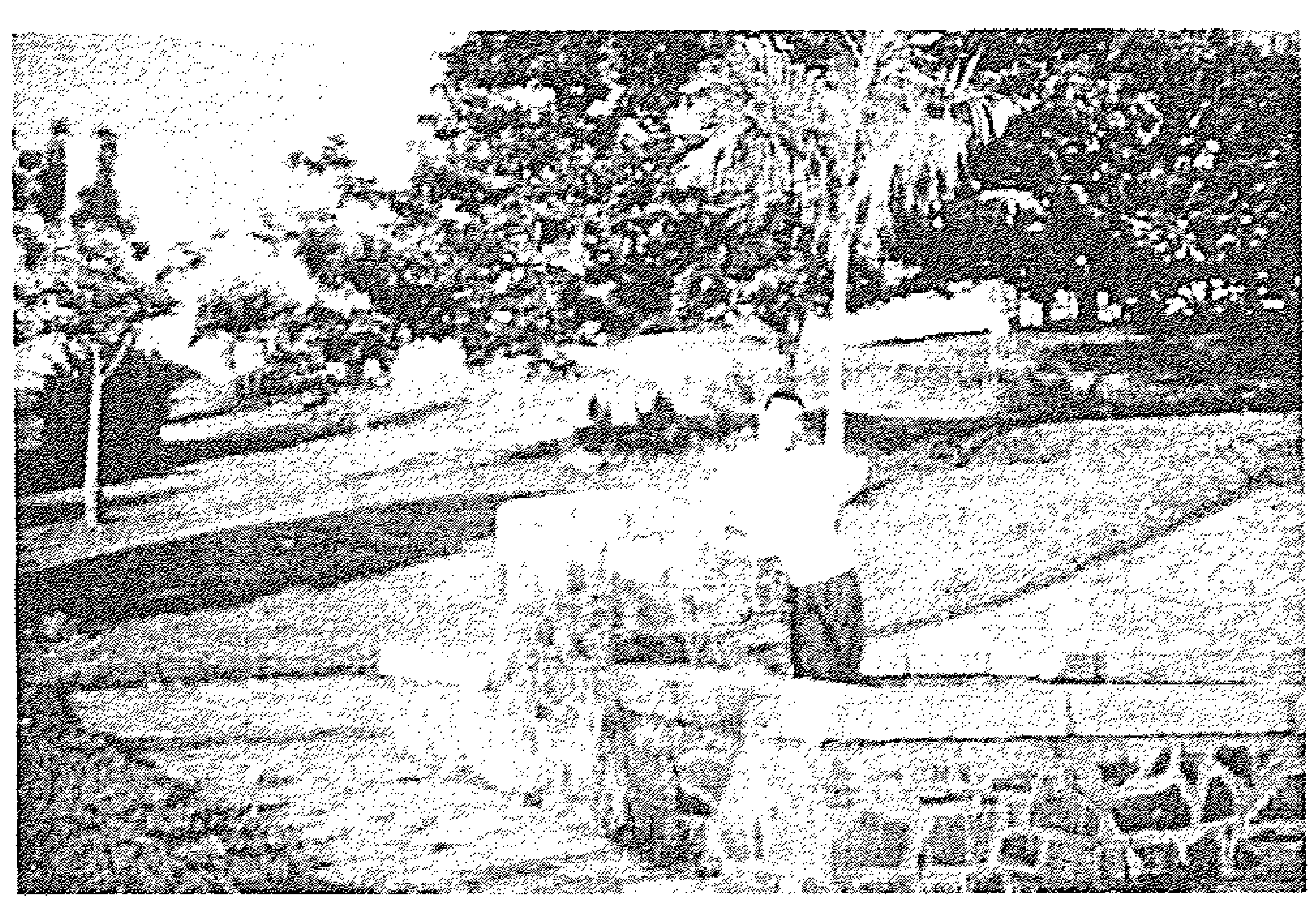
محاضرة عن الطب المصرى القديم-أديس أبابا (١٩٧٠)



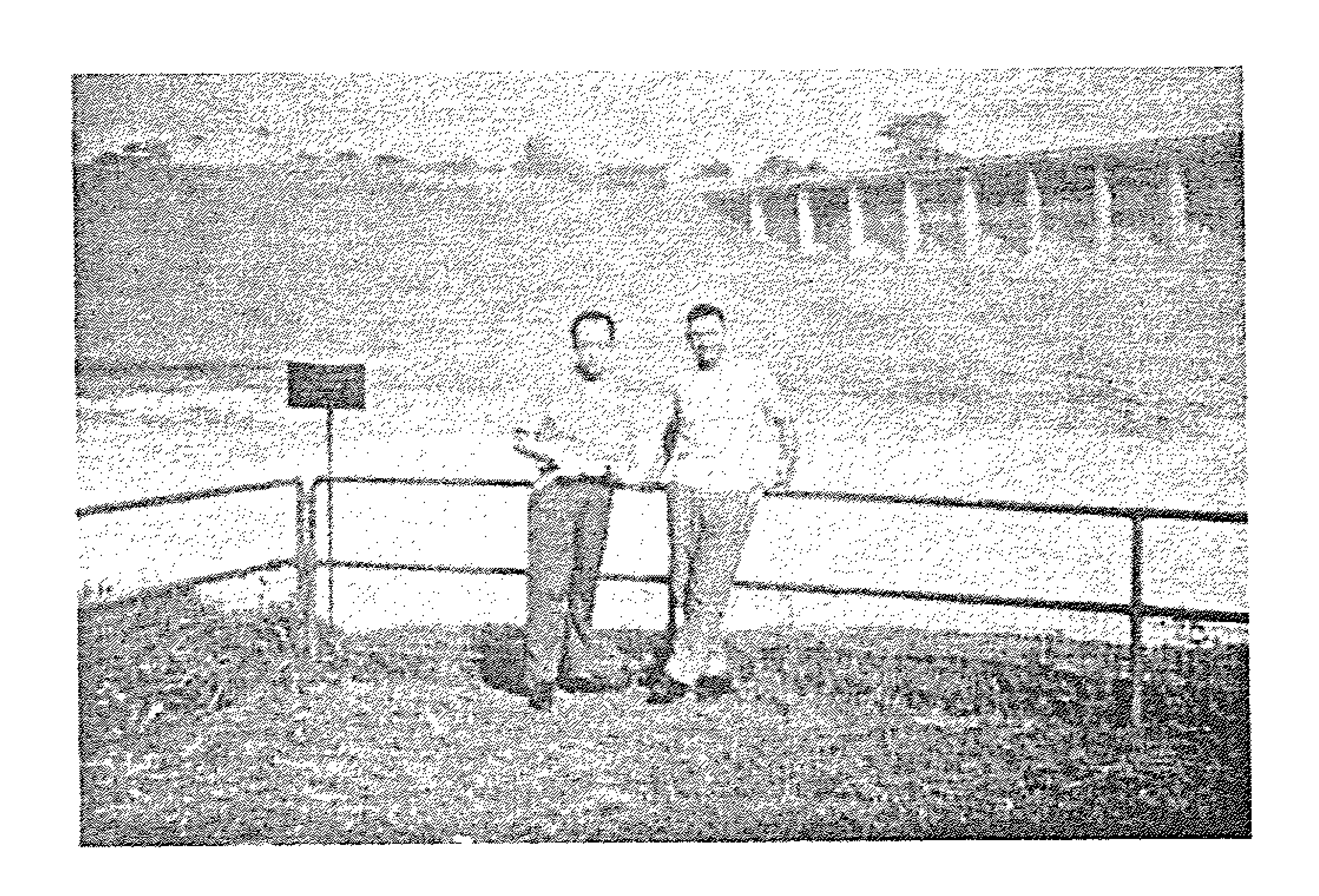
تسجيل حديث مع السفير حسن عصمت.أديس أبابا (١٩٧٠)



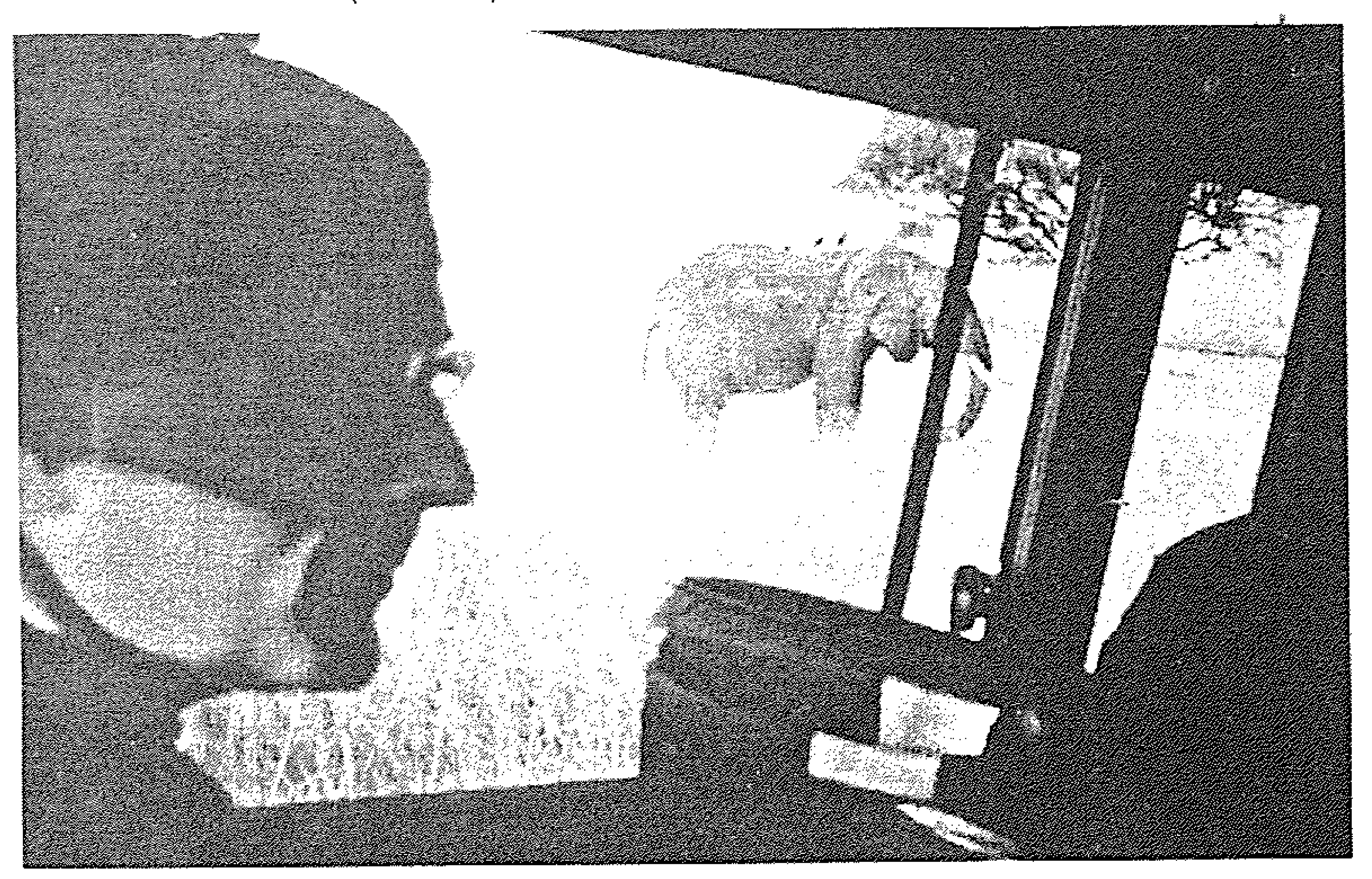
على شاطئ بحيرة فيكتوريا (١٩٧٠)



عند لوحة اكتشاف منابع النيل بحيرة فيكتوريا (١٩٧٠)



عند خزان أوين ــ أوغنده (١٩٧٠)



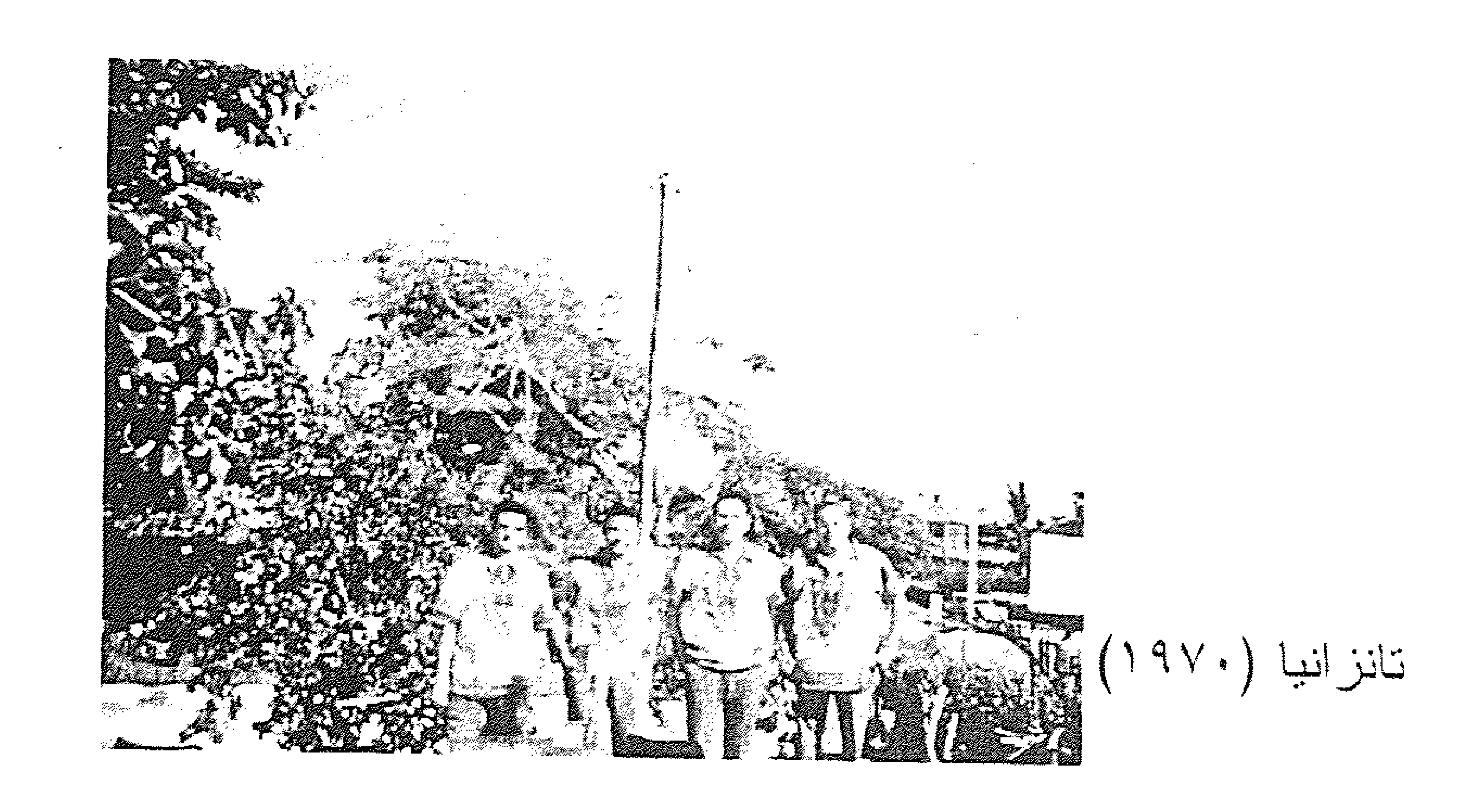
رحلة سفارى فى أوغنده (١٩٧٠)



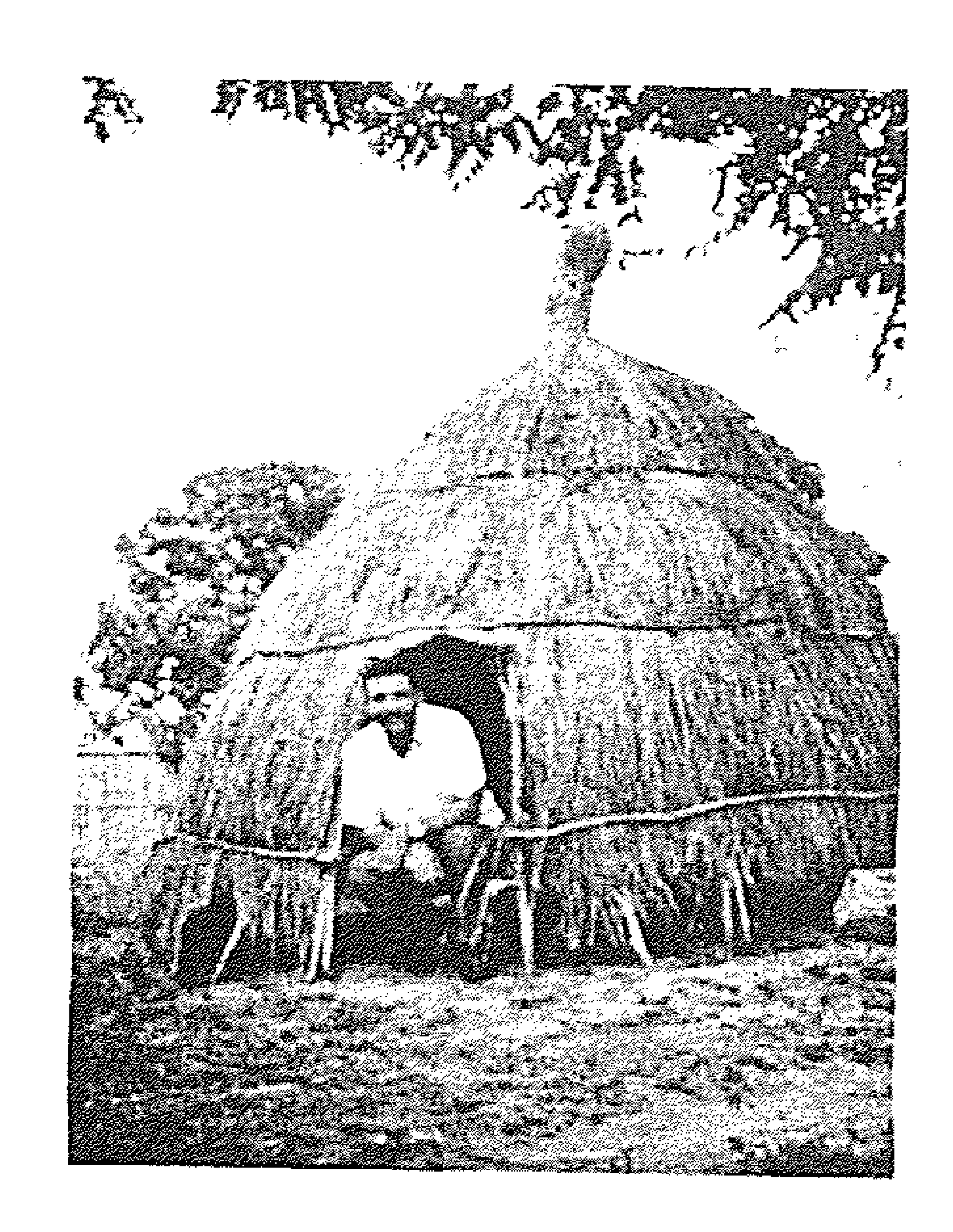
سفارى كينيا (١٩٧٠)



تانزانيا (١٩٧٠)



تانزانيا (١٩٧٠)





صورة فى الطريق بمقديشيو كادت تحدث مشكلة (١٩٧٠)

بين الرحلة الأولى والرحلة الثانية

١٩٧٠-١٩٧٤

انتهت رحلة وفد الصداقة إلى مجموعة دول شرق إفريقيا بعد أن حققت أهدافها وبعد أن وفقنا الله للسير بخطواتها المرسومة مرحلة بعد الأخرى طبقا للخطة الموضوعة تماما مع إضافات عديدة لم نكن فى الواقع نحلم بتحقيقها، واستغرقت الرحلة أربعة وثلاثين يوما زرنا خلالها ست دول افريقية (السودان -اثيوبيا- أوغنده-كينيا-تانزانيا-الصومال) واستطعنا من خلالها أن نكتب صفحة مضيئة فى تاريخ كلية طب الاسكندرية وجامعة الاسكندرية بعمل رائد وبفكر غير مسبوق • واستطاعت البعثة المكونة من أستاذ واحد وثمانية أساتذة مساعدين شبان أن تفتح آفاقا جديدة للصداقة بين مصر وشعوب هذه الدول من خلال العمل الطبى والجامعى الذى قوبل فى الأوساط الطبية والجامعية وعلى كل من المستوى الشعبى والحكومى بالحفاوة والترحيب، وأخذت آثار هذه الزيارة الناجحة تظهر فى السنوات التالية على النواحى الثقافية والاتصالات الجامعية •

وعلى المستوى الشخصى فإن شعورا فياضـــا بالغبطـــة والرضا كان يتملكنى وقد تحقق للحلم أن يصبح حقيقة واقعـــة وأن تسير الأمور على هذا المسار الرائع ٠

وعدنا إلى كلية طب الاسكندرية وإلـــى الجامعـــة لنقـــدم التقارير ونعقد الندوات ونقصّ على زملائنا مارأيناه وسمعناه ومـــا حققناه، وساعدت وسائل الاعلام فى التعريف بأنباء نجاح البعثـــة وتفاصيل إنجازاتها وقامت بالدور الرئيسى فى ذلك بالطبع جريـــدة الأهرام بالرغم من التصرف الذى أشرت إليه مسبقا مـــن جـــانب مرافقنا الأستاذ سامى الدسوقى من محاولة التعتيم المتعمـــد علـــى دورى كصاحب الفكرة الأساسى ومهندس الرحلـــة فـــى جميـــع مراحلها ٠ واستقبلنا من زملائنا الذين لم يشاركونا فى هذه المهمـــة استقبالا جميلا، ودعينا لإلقاء محاضرات عن مشاهداتنا فى الكليـــة وفى نقابة أطباء الاسكندرية، وأصبح معروفا للجميـــع كيـــف أن الأحوال فى إفريقيا السوداء ليست تماما على الصورة التى كـــانت فى الأذهان عندما قررنا الرحلة الأولـــى،وأن فـــى هـــذه البـــلاد جامعات وكليات طب تتطلع للتعاون معنا والاستفادة من تجاربنـــا وأن لهم هم أيضا تجارب تستحق التعرف عليها، وأن الرحلة إلـــى الدول الافريقية ليست بالضرورة كلها معاناة كما لو كنـــا نجـــوب المجاهل والغابات وأن وسائل الراحة متوفرة فـــى الفنـــادق ذات

المستوى الجيد، ولكل هذا أصبح الكثير من الزملاء يتطلعون للقيام بمثل هذه الرحلة فى المستقبل •

وعلى مستوى القيادات والرئاسات فقد عدنا لكلية الطب لنجد عميدها أستاذنا الدكتور أحمد السيد درويش الراعى الأساسى للرحلة وصاحب الفضل الأكبر فى تحويلها من حلم إلى حقيقة قد أصبح وزيرا للسياحة وقد بلغتنا هذه الأنباء السعيدة ونحن فى الخارج وسعدنا بها جدا•وماهى إلا أيام حتى تم تعيين رئيس البعثة الأستاذ لطفى دويدار عميداللكلية فى المكان الذى خلا بتقليد الأستاذ درويش وزارة السياحة•

وأخذت الحياة تسير سيرها بعد عام ١٩٧٠،ورحلتنا إلى إفريقيا تشكل فى وجداننا مخزونا رائعا من الذكريات والتجارب،ومحورا لأحاديثنا وتعليقاتنا ولقاءاتنا، وكنت بالطبع أكثر المشاركين فى البعثة تأثراً بنتائجها وتطلعا للاستمرار فى تحقيق أهداف أبعد من تلك التى تحققت •

* * *

وفى الفترة الزمنية من ١٩٧٠وحتى ١٩٧٤ مرت مصر بأحداث جسيمة وتغيرات هائلة، ومر العالم كله أيضا بتغيرات كبيرة، وكنت أنا على وجه الخصوص قد أصبحت حساسا لما يحدث فى عالم الدول الافريقية، فقد صرت

أشعر بأن لى انتماء أو رابطة تربطنى بشكل ما بافريقيا وبأحداثها،وفى هذه الفترة الزمنية مررت على المستوى الشخصى أيضا بتغيرات كبيرة فى مسيرة حياتى ....

وبشىء أكبر من التفصيل :فقد عبرت مصر فى هذه الفترة من مرحلة اليأس والهزيمة إلى نصر أكتوبر عام ١٩٧٣، وانعكس ذلك على مشاعر المصريين فأحيا الآمال وأصبح كل واحد منا يتطلع إلى مستقبل أفضل بعد أن عادت رؤوسنا إلى الارتفاع .

وفى مسار العالم الافريقى الذى كان يهمنى متابعته كان أهم الأحداث هو استيلاء الجنرال عيدى أمين على الحكم فى أوغنده عام ١٩٧١، ووفاة الرئيس كوامى نكروما عام ١٩٧٢ وقد كان شخصية معروفة نتابع أخباره فى مصر عن قرب وباهتمام شديد . ثم جاءت الإطاحة بحكم الأمبراطور هيلاسلاسى فى الحبشة عام ١٩٧٤ .

وعلى المستوى الشخصى فقد كانت هذه الفترة هى التى شهدت تحول أبطال البعثة الافريقية الأولى الذين كانوا أساتذة مساعدين إلى أساتذة، فقد عينت أستاذا للأمراض الباطنة فى اليوم الأول من عام ١٩٧٣ ولم يعد هناك مجال على الأقل لأى قيادة جامعية أو وزارية أن تتعامل معنا من منطق مماثل لما حدث فى

الرحلة الأولى من إصرار وزير التعليم العالى على إسناد رئاسة البعثة إلى أستاذ، وإلى جانب النضج العلمى المرتبط بدرجة الأستاذية فقد كنت فيما بين ٧٠-٧٤ قد سافرت إلى العديد من دول العالم شرقا وغربا فى رحلات كان منها اثنا عشر دولة أوروبية بما فيها الدول الشرقية فىالاتحاد السوفيتى وبلغاريا .
ولكل هذه الظروف والملابسات الشخصية والقومية والدولية جاء عام ١٩٧٤ وقد سيطر على تفكيرى أنه قد آن الأوان لمتابعة العمل الرائع الذى أنجزناه فى عام ١٩٧٠، فتقدمت بطلب للإذن بتجهيز الرحلة الثانية للدول الافريقية - ولكن هذه المرة إلى دول غرب إفريقيا • ولقد كانت الظروف السائدة فى هذا الوقت كلها تشجع تماما على المضى فى هذا التخطيط، فعميد الكلية فى هذا الوقت هو الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين مسعود وهو شخصية قيادية محبوبة جدا وعلاقتى به على أعلى مستوى من تبادل الاحترام والمحبة والثقة، وبمجرد أن فاتحته فى الموضوع وجدته ليس فقط مؤيدا بل متحمسا بشدة أن يشارك بنفسه فى هذه الرحلة وكان له بالطبع موقع الرئاسة عندما بدأنا التنفيذ، ورئيس الجامعة فى ذلك الوقت كان هو أستاذنا الدكتور لطفى دويدار الذى رأس البعثة الأولى لشرق افريقيا فمن ذا الذى يمكن أن يكون مؤيدا ومدعما لرحلة ثانية أكثر من الرجل الذى عاش بنفسه

أحداث الرحلة الأولى وصنع معنا نتائجها الباهرة؛ ووزير التعليم في ذلك الوقت كان هو الأستاذ الدكتور اسماعيل غانم الذى كان ملما بنتائج الرحلة الأولى مدركا ببعد نظره أهمية هذا العمل ومن ثم – فقد رأى من واجبه دعمه بشدة فلم يأذن فقط بسفر الوفد الثانى لدول غرب أفريقيا بل أنه أمر بأن تتولى وزارة التعليم العالى تحمل نفقات السفر والإقامة حتى لانضطر إلى البحث عن هذا التمويل من خارج الجامعة، ووضع إمكانيات إدارة العلاقات الثقافية الخارجية بالوزارة لخدمة أهدافنا وهو ماقامت به هذه الادارة بالفعل (برئاسة الأستاذ أبوالعينين فهمى) بكفاءة تامة وتفهم عميق. ومع كل هذا الدعم الحكومى الرسمى لم تتخلف أيضا مؤسسة الأدوية المصرية (وكان رئيسها وقتئذ الدكتور فوزى السيد) بالمساهمة المادية فى النفقات الإضافية لاعداد الرحلة وإمداد البعثة بأدوات التسجيل والتصوير وكميات ضخمة من الأدوية لتقديمها على سبيل الهدايا للدول الافريقية الصديقة. ولايجب أن أغفل ذكر فضل إحدى مؤسسات الأدوية الأجنبية (باير) التى عندما علمت بأمر البعثة الثانية عرضت تغطية نفقات إقامة البعثة فى دولة زائير بالكامل وقد أوفت بوعدها .

غير أن الأهم من كل هذا هو الدور الحاسم الذى قامت به وزارة الخارجية فقد كانت الوزارة بالطبع مطلعة على الآثار

السياسية التى ترتبت على بجاح الرحلة الأولى،كم أننا قمنا هـــده المرة بالاتصال مبكرا بوزارة الخارجية ونحن فى المرحلة الأولـى من تخطيط الرحلة، فما كان من وكيـــل وزارة الخارجيـــة إلا أن وضع كل إمكانياته بالتنسيق مع ادارة العلاقات الثقافيـــة بـــوزارة التعليم العالى للاتصال بالسفراء المصريين فى الـــدول المختلفـة وإشراكهم فىالتخطيط والتنفيذ والمتابعة لجميع مراحل الرحلة ٠

* * *

- أ٠د محمد جمال الدين مسعود	عميد الكلية (رئيسا)
- أ٠د مرسى محمد عرب	أستاذ الأمراض الباطنة(أمينا)
- أ٠د أحمد جعفر	أستاذ أمراض النساء الولاده
- أ٠د أحمد قره	أستاذ جراحة العيون
- أ٠دمحمود فريد مصطفى	أستاذ جراحة التجميل
- أ٠د محمد جمال الدين عزب	أستاذ جراحة الأعصاب
- أ٠د عادل رمضان	أستاذ جراحة الصدر
- أ٠د فوزى نعمة الله	أستاذ التخدير
- أ٠د يوسف جميعى	أستاذ الأمراض الصدرية
- أ٠د أحمد عبد الرازق	أستاذ جراحة العظام
- أ٠د عمر شافعى	أستاذ جراحة الجهاز الهضمى

وقد تم هذا الاختيار بالطبع من الشخصيات القادرة أساسا على تفهم أبعاد الدور القومى لمهمتهم والقدرة على تحقيق الأهداف العلمية والاجتماعية والثقافية والسياسية .

وتقرر أن تشمل الرحلة زيارة دول : السنغال – غانا – نيجريا – الكونجو (كنشاسا) – أوغنده – السودان .

* * *

وبعد أن تحددت الخطوط العامة لمسيرة الرحلة – التى استمرت مايزيد على شهر كامل – أخذنا نضع النقط على الحروف فى كل التفاصيل ونبلغها أولا بأول للدول التى سوف نزورها سواء فى الجامعات أو وزارات الصحة ونتلقى المعلومات وننسق المصالح المشتركة بمعاونة رائعة من سفرائنا فى الدول المختلفة.

وكان واضحا أننا فى هذه الرحلة قد أصبحنا جزءا من العمل الدبلوماسى، وأنه قد أوكلت لنا مهمة سامية وهى أن نكون سفراء لبلادنا فى ملابس بيضاء، وأن هناك قدرا كبيرا من الثقة قد وضع فينا لأداء هذه المهمة، وقد تم ذلك دون تدخل من أى جهة لفرض أسلوب عمل معين علينا ...

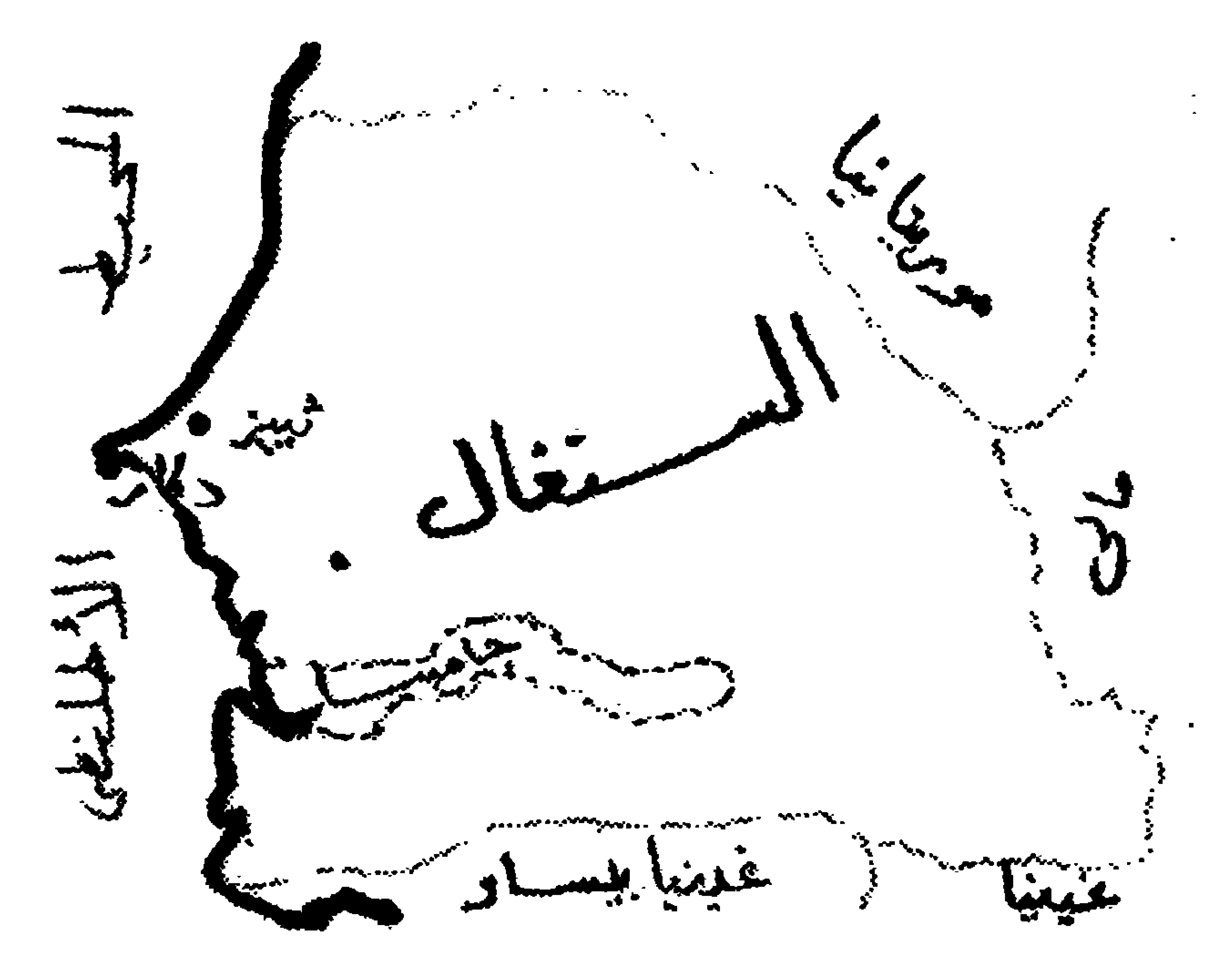
ولقد كانت هذه الثقة موضع اعتزاز من جانبنا، ومعينا لنا على تحمل المتاعب والصعاب، وعنصرا حاسما فى النجاح الذى حققناه ...



الرحلة الثانية (١٩٧٤)

(السنغال ـ غانا ـ نيجيريا ـ زائير ـ أوغنده ـ السودان)

فى السنغال



عندما بدأت رحلتنا التاريخية الثانية للدول الافريقية كان أفــراد البعثة أقل قلقا مما كنا عليه فى رحلتنا الأولى فالبرامج معدة جيــدا وكل من وزارتى التعليم العالى ووزارة الخارجية تدعمنـــا دعمــا قويا، ولم تعد روح المغامرة تحكمنا بالقدر السابق ولكن الشـــعور بالمسئولية كان أعمق، وكانت البعثة مكونة من أحد عشـــر فــردا أقل من نصفهم سبق أن شاركوا فى الرحلة الأولى ....

كانت الاتصالات الجوية - ولاتزال - سيئة بين الأقطـار الإفريقية، وكان علينا لنبدأ رحلتنا فى السنغال أن نسلك الطريـــق

من القاهرة إلى دكار عبر روما ونضطر للبقاء فيها يوما ونصف يوم ٠

عندما وصلنا فجر يوم الثلاثاء ٧٤/١١/٥ إلى مطار دكار وجدنا المستشار الثقافى للسفارة المصرية وأعضاء السفارة فى استقبالنا وتمت الاجراءات من خلال استراحة كبار الزوار وحرصت أيضا وزارة الصحة فى السنغال على استقبالنا فى المطار وتخصيص مندوب مرافق لنا طوال مدة بقائنا فى السنغال ٠

ودولة السنغال تقع جغرافيا فى أقصى الحد الغربى للقارة الافريقية على ساحل المحيط الأطلنطى ويقطنها أقل من ٤ مليون نسمة وقد حصلت على الاستقلال فى ١٩٦٠، وهى دولة ديمقراطية برلمانية كان يرأسها فى ذلك الوقت الرئيسى ليوبولد سنجور وهو أيضا أشهر شعراء إفريقيا (سميت باسمه جامعة سنجور الافريقية بالاسكندرية فيما بعد) ونظامها شبه اشتراكى، وجزء كبير من سكانها يدينون بالاسلام ٠

وسوف لا أعيد على القارىء وأنا أروى تفاصيل رحلتنا الثانية تفاصيل ماتكرر فى مناسبات عديدة من كلمات الترحيب من جانب المسئولين والرد بكلمات مناسبة تولاها هذه المرة رئيس البعثة الأستاذ جمال مسعود نيابة عنا لشرح أهداف البعثة من دعم

روابط الصداقة وتبادل الخبرات بين أساتذة جامعة الاسكندرية والجامعات الافريقية، وسأقتصر فى كل دولة على المواقف المميزة أو التعليقات الهامة أو المواقف الطريفة فى هذه اللقاءات الرسمية •

ومن الأمور التى تستحق الإشارة إليها ماحرصنا عليه عند اختيار أعضاء الوفد من تمكّن البعض منا من اللغة الفرنسية، فقد حقق ذلك فى السنغال بوجه خاص نجاحا كبيرا عندما ألقى الأستاذ الدكتور أحمد جعفر محاضرة تناولت موضوعا عن الاجهاض لاقى اهتماما كبيرا ومناقشات عميقة حساسة حول الموضوع وتداخلاته الاجتماعية والدينية والثقافية، ولولا تمكنه من اللغة الفرنسية لما استطاع فى هذه المحاضرة تحقيق النجاح العظيم الذى حققه، كما كان الأستاذ يوسف جميعى رائعا فى مداخلاته فى المناقشات مع المتحدثين بالفرنسية فى السنغال وفى القيام عند اللزوم بمهمة الترجمة بين أعضاء الوفد والمسئولين فى اللقاءات الرسمية والاجتماعية، وكم أعجبت بلباقة الأستاذ يوسف جميعى أستاذ أمراض الصدر والأستاذ عادل رمضان أستاذ جراحة الصدر عندما كنا نناقش حالات من الأمراض الصدرية فكنا نترك الأساتذة السنغاليين ليقدموا معلوماتهم ونحن نتعلم منهم، ثم نسّرب لهم من خلال المناقشة الجديد من المعلومات عن طريق اقتراح

اختبارات فسيولوجيا التنفس مثلا أو العمليات الجراحية التى يمكن إجراؤها للحالات التى كانوا يعرضونها، وبذلك نوصّل إليهم ماجئنا من أجله بهدوء وتواضع •

وفى أثناء إحدى المحاضرات التى كنا نقدمها دخل القاعة الأستاذ فريد مصطفى والأستاذ عمر شافعى والأستاذ فوزى نعمة الله وهم بملابس العمليات بعد أن خرجوا لتوهم من إجراء عملية تصليح دقيقة لحالة مرض خِلقى، ولاحظت على الفور تأثيرا معنويا كبيرا على الحاضرين ووجدنا بعد ذلك إقبالا من الجراحين على حثهم على إجراء مزيد من العمليات الجراحية •

وجدير بالذكر أننا فى اليوم الأول من وصولنا إلى دكار قمنا بزيارة كلية الطب وبدأنا بزيارة العميد قبل زيارة عدد من أقسام الكلية، وربما مقابلة العميد Senkale هذه لم تكن مليئة بالحماس المتوقع من جانبه غير أنه ما ان توالى تنفيذ برنامج اللقاءات والمناقشات والعمليات الجراحية حتى لاحظت موقفا مغايرا تماما،فقد قام العميد نفسه بتقديم محاضرة الأستاذ جعفر بعد ذلك بحضور سكرتير وزارة الصحة تقديما عظيما وأتبعها بتعليق طيب جدا رد عليه رئيس البعثة شاكرا للشعب السنغالى مظاهر الترحيب والصداقة العميقة •

ولهذا فقد دهشت عندما اطلعت على تقرير السيد السفير (سعد مرتضى) إلى وزارة الخارجية فيما بعد واصفا لقاء العميد ببعض الفتور والجفاء، لأنه ربما يكون مصدره معلومات متسرعة عن اللقاء الأول قبل التعارف الكامل مع أعضاء الوفد والاطلاع على نشاطهم ٠

والحقيقة أن دور السفارة المصرية فى السنغال وحسب انطباعاتنا، وقد أصبحنا أكثر قدرة على وزن الأمور وتقييم تفهم السفراء لكيفية الاستفادة من بعثاتنا – أن هذا الدور فى السنغال كان مقبولا ولكنه لم يكن على مستوى مارأيناه فى دول أخرى وبخاصة دور السفير المصرى فى غانا السفير حسن شاش ٠

وقد جاء فى تقرير السفارة المصرية لوزارة الخارجية أيضا أن الصحافة والإعلام فى السنغال لم تبد الاهتمام الكافى بالرغم من جهد السفارة، وفسروا ذلك بسبب موقف سلبى سابق من الصحافة فى مصر عند زيارة وزير الصحة السنغالى وتأثره بذلك، وهو أمر يتعارض مع ماشهدناه من حرص الوزير على استقبالنا فى مكتبه وتخصيص مرافق دائم للوفد وسيارات من الوزارة لخدمتنا طول أيام بقائنا فى دكار وفى الرحلات خارج

المدينة والحرص على تنظيم عدة زيارات لمراكز صحية تابعة لوزارة الصحة .

وقد ورد أيضا فى تقرير لسيادة السفير اطلعت عليه فيما بعد ماسماه تحفظ السلطات السنغالية، وهو مالا نوافقه عليه بالمرة - بأن مجال الأدوية والطب مقفول فى السنغال على الفرنسيين أو اللبنانيين المتجنسين بالجنسية الفرنسية .

وأغلب الظن أنه كان هناك قصور فى أداء أحد المسئولين فى السفارة فى الاتصال بوسائل الاعلام قبل الزيارة، بدليل أنه عندما اهتم السيد السفير بالاتصال بنفسه بعد ذلك نشرت مجلة مشهورة فى مكان بارز أخبار إنجازات البعثة ونبذة عن أعضائها المتخصصين والمقابلات التى تمت مع وزير الصحة والنتائج الممتازة التى حققتها البعثة ومدى المستوى الرفيع للطب فى مصر الذى ظهر من هذه الزيارة .

وفى الحقيقة لقد كان لقاؤنا مع وزير الصحة السيد / كومبا ديوب فى اليوم الثالث من أيام وجودنا فى دكار وبحضور السيد السفير مليئا بالحرارة والترحاب بالوفد مما يؤكد تقييمنا الصحيح للأمور .

وبهذه المناسبة فقد اقتصرت دعوة السيد السفير فى دكار للوفد على حفل شاى فى حديقة السفارة وقد حضرها مع ذلك

وزير الصحة وبعض أساتذة الجامعة، في الوقت الذى أصر فيـــه أستاذ مصرى يعمل فى معهد التنمية الاقتصاديـــة لـــدول افريقيـــا التابع للأمم المتحدة هو الدكتور خليل حسن خليل على دعوة الوفـد لحفل عشاء أقامه فى مطعم مجلس الشعب...

* * *

كان من الزيارات الهامة التى حرصـــــت وزارة الصحــة السنغالية على تنظيمها لنا زيارة مركز لصحة الأسرة فى مدينـــــة خومبولى Khombole على بعد حوالى ٩٤ كيلومترا مـــــن داكـــار، وقطعنا الطريق من دكار فى جزئه الأول حتى مدينة تـــيز Thies فى أوتوستراد جيد ولكن الجزء الثانى من الطريق كان سيئا، والمركـــز مخصص لرعاية الأمومة والطفولة ويقع فى منطقة بها خمسين ألـــــف نسمة، وقد شاهدنا هناك نظاما جميلا لمعالجة مشاكل تغذية الأطفال ومقاومة الملاريا والأوبئة وتدريب المولدات والممرضـــــات علـــى مستوى لم نكن لنتصوره فى مثل هذا المكان، وهم يحفظون بطاقـــة صحية لكل مولود لمتابعته حتى سن ١٤ سنة. ومن الطريف أننـــا علمنا أنهم يقطّرون عصير الليمون فى عيون الأطفال للوقاية مـــن الرمد !!

وقد نجح هذا المركز فى خفض نسبة وفيـــات الأطفــال بدرجة كبيرة، وتساهم فى الاشراف على هـــذا المركــز منظمــة اليونيسيف الدولية ٠

* * *

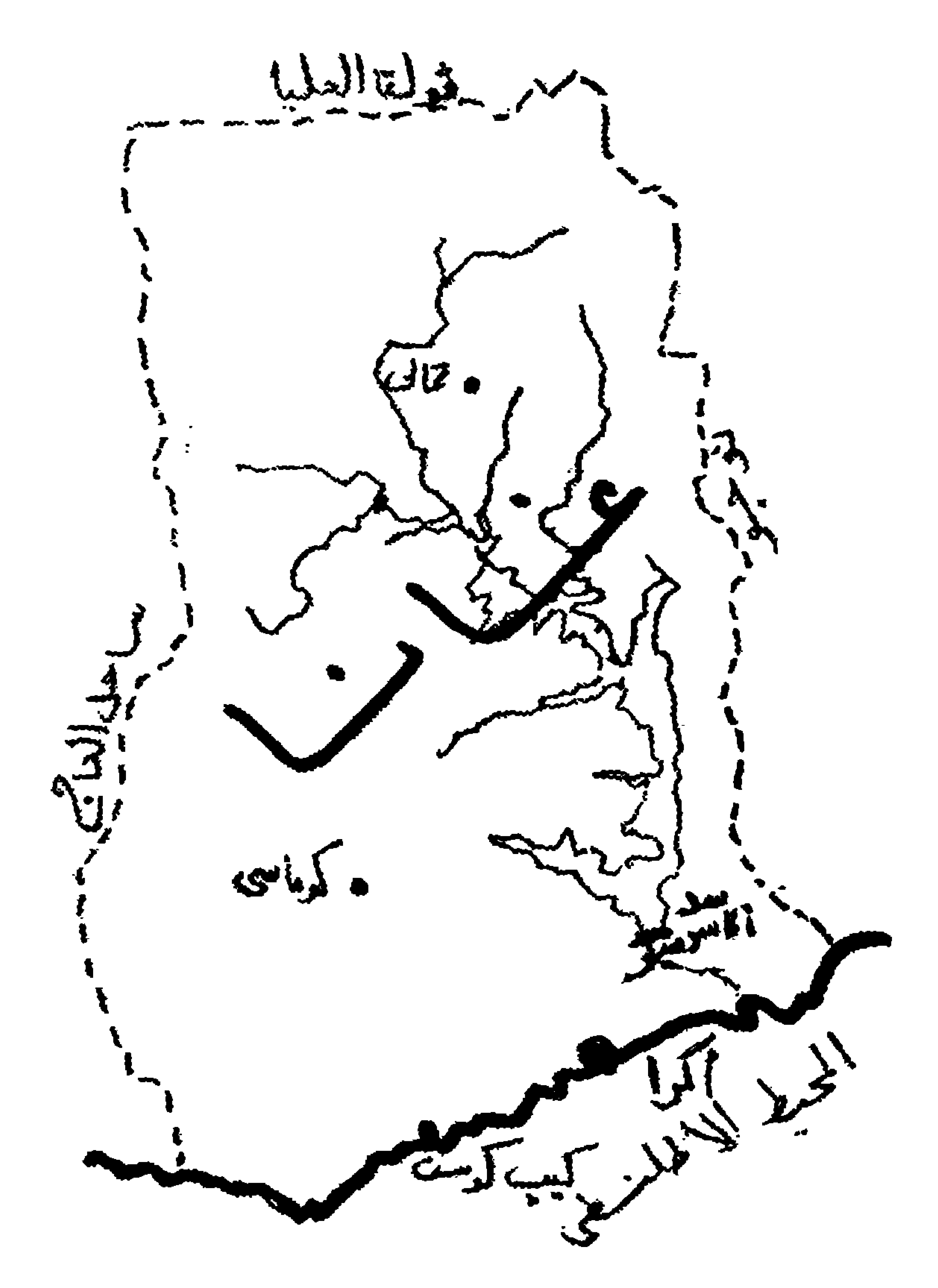
لم تتوفر لنا فى السنغال جولات سياحية كبيرة غير أننـــا نزلنا فى فندق على مستوى جيد ولكن فى مكان شعبى جدا وحولـه سوق شعبى أيضا فتمكننا من الاطلاع على نمـــط الحيـــاة علـــى الطبيعة، كما أننا قمنا بزيارة قصيرة إلى ساحل المحيط لمشـــاهدة الفنار الذى يقع هناك ٠

* * *

وفى صباح الخميس ٨نوفمبر الباكر توجهنا إلـــى مطـــار دكار لمواصلة رحلتنا إلى نيجريا،وجاء السفير لوداعنـــا بالمطـــار وعندما تأخرت الطائرة التى كنا سوف نستقلها فى الوصول،غـــادر السيد السفير المطار وتركنا لننهى إجـــراءات الســـفر بـــالطريق العادى وليس من خلال قاعة كبـــار الـــزوار كمـــا حـــدث عـــن وصولنا٠٠٠٠

وبمجرد أن أقلعت بنا الطائرة البان أمريكان مـــن دكـــار أطلقت لخواطرى العنان لتقييم زيارتنا إلى السنغال، وكان اقتنـــاعى بأن الشعب السنغالى شعب طيب ومسالم جدا وبه عاطفة شـــديدة نحو المصريين والمسلمين ولكن العمل الدبلوماسى المصرى هناك كان بحاجة إلى كثير من التنشيط٠

فى غانا



فى الطريق بين دكار وأكرا توقفت بنا الطائرة البوينـــج لمـــدة نصف ساعة فى مطار روبرتزفيل فى جمهورية ليبريـــا قبـــل أن

تواصل الرحلة إلى أكرا حيث كانت هناك مظاهرة ترحيـــب فـــى استقبالنا ذكرتنى على الفور بما حدث لنا فى اديس أبابا فى رحلتنـا الأولى، فقد كان السفير حسن شاش فى استقبالنا مع طـــاقم كبـــير من السفارة وأيضا مجموعة من الأطباء المصريين ومدير شـــركة النصر للاستيراد والتصدير ذات النشاط الواسع فى غانا،كما كـــان أيضا فى استقبالنا عميد كلية الطب الدكتور دودو الذى أصر علـــى اصطحاب بعض منا فى سيارته إلى فندق الامبسادور الذى نزلنـــا به والتقطت الصحافة الصور العديدة التى نشرتها جريدة التـــايمس الغانية فى صباح اليوم التالى.

وقبل أن نغادر المطار تسلمنا برنامجا مطبوعا لنشاطنا على شـكل خطاب شخصى لكل واحد منا...

كان واضحا أن هناك إعداد جيد قامت به السفارة وجـــهد منظـــم، وهو ما استدعى بالضرورة المقارنة بين انجاز كل مـــن ســـفارتنا فى دكار وأكرا ولو أننى لأأدعى المعرفة بالظروف المختلفة لكـــل منهما ولكننا نحكم بماشاهدناه وعايشناه.

لقد كانت غانا عند زيارتنا لأكرا فى عـــام ١٩٧٤ تحـــت الحكم العسكرى وكانت قد حصلت على الاســـتقلال فـــى عـــام ١٩٥٧ ولكن فى عام١٩٦٦ تم الإطاحة بحكـــم الرئيـــس الغـــانى كوامى نكروما الذى كان معروفا جيدا لنا وصديقا للرئيس الراحـل

جمال عبد الناصر وتزوج من سـيدة مصريـة، وفـى انقـلاب عسكرى تال عام ١٩٧٢ تم وقف العمل بالدستور وتكوين مجلـس حاكم تحت اسم مجلس التحرير الوطنى ٠

وبالرغم من كل هذه الملابسات فقد أثبت ماشاهدناه فـى الأيام التى قضيناها فى غانا أن العلاقات المصرية الغانية كـانت على أقوى مايرام ٠

حرص العميد دودو أيضا على بدء برنامجنـا فـى نفـس اليـوم بدعوتنا لإلقاء محاضرة فى الجامعة عن نظام التعليم الطبـى فـى مصر أعقبها حفلة للتعارف مع أساتذة الجامعة ٠

وفى اليوم التالى نظموا لنا رحلة لزيارة منطقة على نـهر الفولتا لمشاهدة سد أكاسومبو المقام علـى هـذا النـهر بارتفـاع ٤٤٠قدما وطول٢٢٠٠ قدم وقد استطاعوا إنتـاج مـايقرب مـن ثمانمائة ألف كيلووات من الطاقة الكهربائية منه لتوفير احتياجـات البلاد من الكهرباء وبيع بعض الفائض للدول المجاورة فى توجـو وبنين ٠ وبعد زيارة السد دعينا للغداء فـى فنـدق فولتـا وكـان المنظر رائعا من ذلك الفندق ثم ختمنا الزيارة فى حديقة للنباتـات الاستوائية فشاهدنا أشجار المطـاط والكاكـاو والبابـاز وجـوز الطيب٠ وبعد العودة فى المساء إلى أكرا كان السفير حسن شـاش قد أعد لنا حفل عشاء خاص فى منزله٠

* * *

وفى اليوم الثالث كان علينا أن نزور جامعة كيپ كوست على بعد ١٤٠ كيلو متر من أكرا باعداد مسبق شاركت فيه السفارة المصرية واستقبلنا هناك نائب رئيس الجامعة استقبالا طيبا جدا وأعد لنا ضمن برنامج الزيارة استقبالا فى منزله واشتركت فى ذلك السيدة زوجته. وكانت الفرصة بعد ذلك سانحة لمشاهدة أقسام الكلية والمدرجات والمنزل المعد لضيوف الكلية، ولاحظنا أن هذه الجامعة مقامة على مساحة واسعة جدا تزيد على خمسة أميال مربعة. وقد عرفنا أن وظيفة رئيس الجامعة هى وظيفة شرفية وأن الرئيس التنفيذى الفعلى هو نائب الرئيس الذى استقبلنا (الأستاذ إيووسى (Ewusie)) فى تلك الزيارة كما علمنا أن هذه الجامعة ليس بها فى الوقت الحاضر كلية الطب ونظرا للنقص الحاد فى المعلمين تهتم الجامعة فى الدرجة الأولى باعداد المعلمين .

وكان الجو مرحا للغاية أثناء دعوتنا للغذاء فى مطعم الأساتذة وبالطبع كان بطل إثارة هذا المرح من فريقنا هو الدكتور عمر شافعى ومن الجانب الآخر كان الجميع حريصيين على إشاعة جو من إظهار الغبطة بزيارتنا.

ثم قمنا فى نهاية اليوم بزيارة قلعة علـــى ســاحل المحيــط هـــى قلعةالمينا، Alminat وتحيط بموقعها هناك مناظر طبيعيـــة خلابــة تتخللها صور أشجار جوز الهند والقوارب الافريقيـــة والســاحل الجميل • وتاريخ القلعة نفسه يشير إلـــى تبــادل ملكيتــها بيــن البرتغاليين ثم الهولنديين فالانجليز، وكانت هـــى المحطـــة التـــى تستخدم لإعداد العبيد لترحيلهم إلى خـــارج البـــلاد فـــى العـــهود الاستعمارية •وتحكى حكايات كثيرة عما كان يجـــرى فـــى هـــذه القلعة من سجن وتعذيب فى حجرات ضيقة، وعن قيـــام الحـــاكم البرتغالى باستعراض النساء من العبيد لاختيار الجميـــلات منـــهن وانجاب أولاد ثم يذهبون بهم إلى القرية المجاورة للولادة لتفريـــخ جيل من المولاتو أى المولدين Molato،وجدير بـــالذكر أن الســيد السفير وأعضاء السفارة حرصوا على ملازمتنا خـــلال زياراتنـــا المختلفة طوال ذلك اليوم •

فى اليوم الرابع كان البرنامج هو زيارة كلية طب غانـــا وكان فى استقبالنا العميد دودو ومعه عـــدد كبـــيرمن الصحفييـــن ومندوبى التليفزيون، فكانت فرصة اعلامية لتقديم أحاديث صحفيـــة عن مهمتنا وتقديم علم تذكارى للعميد•وفى الأقسام المختلفة وفـــى المستشفى الجامعى (مستشفى كارل بو) تدارسنا معا الكثير مـــن الحالات المرضية، وجاء فى مناقشتنا تعليق أحد الأســـاتذة أنـــهم

تلقوا مساعدات من الروس ولكنهم لم يقدموا لهم أحسن مــــاعندهم بل كانوا عند اختيارهم للمتدربين فى روسيا لا يـــأخذون أحســن الفئات وانما يتم الإختيار على مستوى سياسى وليس على مســتوى علمى • وعلمنا أيضا أن إبن الرئيس السابق تكروما من أم غانيــة يعمل فى الكلية هناك •

وقد تناولنا الغداء بعد ذلك مع أساتذة الكلية فى مطمعـــهم وكانت مناسبة طيبة للتعبير فى كلمة ألقاها الأستاذ جمال مســعود باسمنا جميعا للشكر على الترحيب والمودة وانبـــهارنا بالمســتوى الراقى للكلية والمستشفى الجامعى والعناية بالمرضى •

بعد هذا الصباح الحافل بالعمل والنشاط أمضينا بقية اليـوم فى لقاءات اجتماعية، فقد أقام السفير حسن شاش حفل استقبال فــى منزله،ثم دعانا السفير السعودى فى غانا لحفل عشاء حضره أيضا السفير اللبنانى فى غانا- وفى هذه اللقاءات الاجتماعيــة اللطيفــة صرح لنا السفير بأنه كان قلقا جدا من احتمال عدم حضور الوفــد بعد عمل ترتيبات ضخمة لبرنامج نشاطه شاملا لقاء مـــع رئيــس الدولة، وعلمنا أيضا أن الناس على مستوى الدولة والشــعب فــى غانا وافريقيا بوجه عام ينتظرون من مصر تحركا لحــث الــدول العربية للقيام بواجب المساندة الاقتصادية فى مجال التنمية بــالدول الافريقية•

وكان السفير واضحا وصريحا عندما أكد لنا أن هذه الرحلة تفيده فائدة لاشك فيها من الناحية الدبلوماسية والسياسية لأنها السبيل المؤكد لإثبات الصداقة والأخوة الافريقية بطريقة عملية، وقد ذكرنى هذا الحديث على الفور بحديث السفير حسن عصمت فى اثيوبيا عندما كنا هناك فى رحلتنا عام١٩٧٠ .

ومن أحاديث الصالونات أيضا علمنا من رجال شركة مصر للتصدير والاستيراد أنهم مهتمون بفتح الفرص للدواء المصرى الذى يحتاج لمزيد من الاعلام لتحقيق ذلك الهدف، وعلمنا أيضا عن مشاكل الأطباء المصريين الذين يرسلون للدول الافريقية لأنهم لايعطون الفرصة للبقاء مدة طويلة بعد أن يكون الناس قد اطمئنوا إليهم وتعلقوا بهم بدرجة كبيرة وهى نفس الشكوى التى سمعناها فى رحلتنا الأولى لشرق افريقيا .

وفى منزل السفير السعودى الذى كان شديد الترحيب وبادى الغبطة لتلبيتنا دعوته قال لنا السفير اللبنانى أن الجالية اللبنانية هناك ناجحة ونشطة ومسيطرة على جانب من الاقتصاد، ولكنهم حريصون على عدم الظهور بوضوح فى الصورة، ولعل فى هذا درس لنا فى تحقيق الأهداف المطلوبة باللباقة والتخطيط الجيد مثلما يفعل اللبنانيون الذين ينتشرون ويعملون بذكاء فى أفريقيا وأمريكا الجنوبية منذ زمن طويل ويحققون نجاحا واضحا.

* * *

كان اليوم الأخير من زيارتنا لغانا مخصصا لزيارة رئيس الجامعة ثم رئيس الدولة ٠

ففى اللقاء مع رئيس الجامعة بروفسور ألكس كوابونج Alex Kwapong أكد الرئيس على الترحيب بالزيارة وشكر البعثة عليها وطرح العديد من الأفكار فتحدث عن المشكلة الاقتصادية فى البلاد وضرورة استنباط وسائل لاستغلال الموارد الحديثة للبلاد، وأشار إلى سد أكاسومبو الذى حرصوا على زيارتنا له وأشار إلى السد العالى فى مصر وأثره فى التنمية، ولمح لنا أيضا إلى أمل الافريقيين فى أصدقائهم العرب واحتياج البلاد للبترول ولتنمية وسائل المواصلات، وتطرق إلى أثر تقوية الروابط والاتحاد بين الدول الافريقية والعربية على الصورة التى بدت بنجاح أثناء حرب أكتوبر، ثم ختم ملاحظاته الذكية بالأمل فى أن تكون العلاقات الثقافية وبرامج الأبحاث المشتركة وتبادل الأساتذة هى الطريقة المؤكدة لتقوية العلاقات السياسية ٠

فى الساعة الواحدة ظهرا توجه إلى قصر الرئاسة فى أكرا طابور طويل من السيارات يضم إلى جانب مجموعتنا وزير التعليم العالى وعميد كلية الطب والسفير المصرى، وعندما وصلنا إلى هناك قابلنا على الفور الرئيس اتشياپونج Achiapong

رئيس الدولة ورئيس المجلس الوطنى وقد قدمنا إليه وزير التعليم العالى. وألقى رئيس البعثة الأستاذ جمال مسعود كلمة للتعبير عن سعادتنا بكل مارأيناه وعرفناه عن المستوى العلمى الممتاز لزملائنا الأساتذة ولإطلاعنا على نواحى التقدم فى غانا، وقدم للرئيس هدية تذكارية هى لوحة بها رسم لطبيب مصرى قديم يمارس العلاج . ورد الرئيس اتشيابونج مرحبا وقال إننى سعيد جدا بنجاح مهمتكم واعتقد أن ماتم بها من تبادل الأفكار والخبرات سوف يكون مفيدا جدا وأرجو أن تحملوا معكم أطيب الذكريات وتقديرنا للشعب المصرى .

وعقّب السفير المصرى مبديا أن القاهرة تتطلع لزيارة من الرئيس اتشيابونج إلى مصر للقاء مع الرئيس السادات ومع المصريين الذين يكنون لشعب غانا أصدق مشاعر المحبة ...

* * *

وكانت زيارة قصر الرئاسة أروع ختام لأربعة أيام ناجحة فى برنامج رحلتنا الثانية لافريقيا . ولقد كنت أشعر طوال الوقت خلالها بعمق وحلاوة العمل الثقافى والدبلوماسى الذى كنا ننسج خيوطه فى تناغم جيد مع سفارتنا من خلال مهمتنا الجامعية، وكان أجمل ماسمعته هو التعليق الأخير للسفير حسن شاش وهو يودعنا فى مطار أكرا:" هذه الزيارة فى الواقع هى أول عمل ايجابى من جانب مصر نحو غانا منذ قطع العلاقات مع إسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣ ".



عند زيارتنا لنيجيريا فى عام ١٩٧٤ كانت البلاد تحت إحدى فترات الحكم العسكرى المتكرر وهىالتىكانت بين ١٩٦٦حتى ١٩٧٥، وهذه البلاد قد حصلت على استقلالها من بريطانيا منذ عام ١٩٦٠ واختارت أن تكون ضمن نظام دول الكومنولث فى نظام دولة برلمانية على قمتها رئيس ولكن السلطة فى يد مجلس الوزارء ورئيس الوزراء، أما هذه الفترة فقد كانت الحكومة العسكرية الفدرالية والدولة تحت رئاسة القائد الأعلى للقوات

المسلحة ومجموعة من المحافظين العسكريين وحكـــام الولايـــات الاثنا عشر (وكانت نيجريا من قبل ثلاثة ولايات فقط ثــم زيــدت إلى ١٢ ولاية ثم إلى١٩ ولاية بعــد عــام ١٩٧٦ عنــد إصــدار دستور جديد وإقامة دولة رئاسية فى هذا الوقت ٠

وقد كان من الضرورى أن نلم بالنظام السياسى والإدارى فى هذه الدولة التى تعتبر أكبر الدول الافريقية من حيـــث تعــداد السكان (٨٠مليون) منهم نسبة كبيرة من المســلمين خاصــة فــى الولايات الشمالية ٠

والولايات فى البلاد تختلف كل منها عن الأخرى اختلافــا كبيرا فالولايات فى الشمال تنقسم كل منها إلى إمارات علــى رأس كل منها أمير Emir وفى الغرب يتزعم الحكومـــة المحليــة بــها زعماء Oba ورؤساء Cheifs يتبعون الأوبا، أما فـــى الشــرق فكل مقاطعة بها يحكمها قومسيير معين من سلطات الولاية ٠وفــى كل ولاية من ولايات النيجيرية كانت السلطة تتركز فى يد حاكمها العسكرى ٠

* * *

عندما هبطت بنا الطائرة فى مطار لاجوس وجدنا السـفير المصرى (السفير كمال أبو الخير) وطاقم من السفارة وســـكرتير مساعد من منظمة الوحدة الافريقية ومندوب من شــــركة النصـــر

للاستيراد وأطباء مصريون كان على رأسهم زميل لنا من خريجي الاسكندرية هو الدكتور بهجت القصاص الذى لعب دورا كبيرا فى الترحيب بزيارتنا من موقع نفوذ واضح واتصالات قوية له بالأوساط الشعبية فى البلاد .

ولأهمية هذه الدولة ونظرا للبرنامج الضخم الذى تم ترتيبه لنا أثناء الاتصالات السابقة للزيارة فقد استمرت زيارتنا لنيجريا هذه المرة ثمانية أيام أنجزنا فيها برنامجا حافلا فى ثلاث جامعات هى جامعات لاجوس وابدان وايفى وفى المستشفيات الجامعية، وألقيت المحاضرات العديدة فى الأقسام المتخصصة أو فى القاعات العامة،وقابلنا من المسئولين وزير الصحة الفدرالى ومديرى الجامعات الثلاث وعمداء وأساتذة كليات الطب وعقدت عدة ندوات حول أهداف الزيارة وآفاق التعاون بين الأساتذة فى كل من البلدين .بالإضافة إلى لقاءات اجتماعية فى السفارة المصرية ومع الأطباء المصريين فى نيجريا.

والحقيقة أن ذلك كله قد تم دون أن يكون هناك شعور مسيطر أو منظور من جانبنا لمظاهر الحكم العسكرى وإن كانت المناقشات مع بعض الأساتذة النيجيريين فى بعض اللقاءات الاجتماعية قد تطرقت بحذر إليه.

في لاجوس :

وبدأ نشاطنا في لاجوس في صباح اليوم التالي مباشرة بداية تقليدية بزيارة لوزير الصحة الحاج أمينوكانو Al Hagi Amino Kano الذي قابلنا بالزي الوطني النيجيري وكان بكلمته إلى جانب الترحيب المعتاد والأمل في تكرار هذه اللقاءات تناولا واضحا لآمال قادة الدول الافريقية في تحقيق الوحدة الإفريقية وأن هذه الزيارة هي طريق مباشر لذلك •

ومن مبنى وزارة الصحة توجهنا إلى جامعة لاجوس، وهناك استقبلنا أيضا مدير الجامعة وهو في منصبChancellor-Vice – بالترحيب المعتاد وعرفنا منه أن الجامعة في لاجوس ليست هي أقدم الجامعات فقد سبقتها جامعة إبدان وعلمنا أنه منذ عام ١٩٦٦ والبلاد بها خمسة جامعات كان منها جامعتا لاجوس وإبدان تحت إدارة الحكومة الفدرالية (ملحوظة : في عام ١٩٧٥تولت الحكومة الفدرالية الجامعات الأخرى في ايفي وبنين ونسوكا وزاريا ثم إنه في ١٩٧٩ أصبح لنيجيريا ١٣ جامعة فدرالية الاشراف)•

وكان المدهش في زيارة المرافق العامة للجامعة ملاحظة أنها مقامة على أرض واسعة جدا والحرم الجامعي يضم مباني ضخمة راقية التصميم والمكتبة العامة هناك كبيرة جدا شديدة

الهدوء والنظافة، وكانوا فى ذلك الوقت يقيمون مبان جديـدة بـها قاعات كبيرة للاجتماعات والمحاضرات العامـة، وكـل مـافى الجامعة فى الحقيقة كان يشير إلى فخامة وعظمة تليق بأى دولـة أوربية متقدمة .

وخلال يومين متواصلين زرنا الأقسام المختلفـة بكليـة الطب فى لاجوس، وقبل طوافنا بالأقسام اطلعنـا علـى صحـف الصباح فإذا بها صور لاستقبالنا فـى المطـار ومسـاحة كبـيرة لتغطية أخبار الوفد وأهداف الزيارة، وكنا فى مساء الليلة السـابقة قد شهدنا فى التليفزيون إذاعة أيضا عن خبر وصول بعثتنا إلـى نيجيريا .

وقد انقسمنا إلى مجموعات كل مجموعة توجـهت إلـى الأقسام المختصة بها وكنا قد سبق أثناء لقائنا مع العميد فى اليـوم السابق قد اتفقنا معه على هذا البرنامج، وأذكر من تعليقات العميـد اللطيفة اعتذاره عن المتاعب التى نتعرض لها عند الحضور إلـى الكلية من مقر إقامتنا بسبب ازدحام المدينة، وقد كان علـى حـق بالفعل فإن مدينة لاجوس من حيث نظام المرور هى الوحيدة التـى كان يحق لها أن تدعى أنها تفوق مدينـة القـاهرة فـى فوضـى المرور بسبب الازدحام.

وفى الأقسام الداخلية الباطنية كانت أمامنا الفرصة كالعادة لمشاهدة نوعيات من الأمراض من المستحيل أن نرى مثيلا لها فى أماكن أخرى، ومن ذلك مثلا أننى شاهدت حالات من مرضى السكر الناشى من ترسيبات جيرية بالبنكرياس وهو نوع منتشر فقط فى المنطقة الاستوائية ٠ والحقيقة أننا وجدنا أن مستوى الأساتذة العلمى ممتاز والكلية أيضا على مستوى طيب والمستشفى الجامعى يدار على نمط يشبه النظام الانجليزى وتذكرت على الفور أنه يشبه تماما ماكنت أشاهده فى مستشفى جايز فى لندن فى الستينيات عندما كنت أعمل هناك٠

وفى لقاءاتنا مع الأساتذة كانت المناقشات تعكس قلقا واضحا من الوضع الاقتصادى والسياسى فى بلادهم، وفى لقائى مع أستاذ جراح يعمل فى جامعة أخرى بشرق نيجيريا وكان يزور القسم،كان الرجل يذكر زيارة له للقاهرة والاسكندرية ويشيد بالنظام الذى شاهده هناك ويقول أن الاسكندرية كانت أفضل وكأنها فى بلد أخرى !!

وحمدت الله على أن نظرة الأجانب لبلادنا على هذا النحو الطيب، وكنت أتنسم فى تعليقات بعض الأساتذة أيضا إعجابا واضحا بسيرة الزعيم جمال عبد الناصر وهم يعتقدون أنه أوجد فى مصر روح النظام المستقل، وأخذ أحدهم يصب نقمته

على أنهم فى نيجيريا على العكس يفرطون فـــى تقليـــد الإنجلـــيز ولذلك فانه ما إن ذكرت أمامه إعجابى بالنظام الذى شاهدته فـــى عنابر المستشفى لأنه يكاد أن يكون إنجليزيا حتى صاح معترضا بأنهم لايجب أن يكونوا مثل الانجليز فالمبالغة فى ذلك فـــى كـل شئون حياتهم جعلهم مثل القرود apes على حـــد تعبـــيره، وهـــو يفضّل أن يكون لهم طابع حضارى خاص بهم .

ومن اللطيف أننا وسط هذه المناقشات التىكـــانت تـــدور ونحن على مائدة الغداء أخذ عمال المطعم يصفّون أطباق الطعـــام أمامنا على المائدة فلاحظ أحد الأســـاتذة الذيـــن كـــانوا مكلفيـــن بالاطمئنان على رعايتنا (الأستاذ فابيان يوديكو أستاذ الجراحـــة) أن نوعية الطعام كلها من الأصناف الأوروبية فثار ثـــورة شـــديدة ونهر العمال واستدعى رئيس المطعم على الفور وأمره بأن يقـــدم لنا طعاما نيجيريا وهو يصيح فى عمال المطعـــم "لقـــد حضـــروا لبلادنا ليتعرفوا علينا وعلى حياتنا .. " والحقيقة إنه كـــان علـــى حق وأعجبنى جدا تصرفه، وفى دقائق معدودات أخذت ترد إلـــى المائدة أطباق الطعام الوطنى وكان من بينها طبق يشبه لحد كبـــير طبق الملوخية وله قوام أكثر سمكا وطبـــق آخـــر مـــن الدمعـــة الحمراء به قطع من اللحم، وثالث يحتوى على عجينـــة مخمـــرة بعض الشيء مصنوع من التابيوكا ويشبه البطاطس البيوريه فـــى

قوامه ورابع مملوء بقطع اللحم الصغيرة المغطاة بمختلف البهارات، وقد أعجبنى هذا الطعام وكان شهيا جدا وقد تركنا الطعام الأوروبى وأقبلنا عليه شاكرين الأستاذ الذى أشاع بتصرفه هذا جوا لطيفا لدعم التفاهم بين الجانبين •

بعد الغداء كان من الأقسام التى قمنا بزيارتها قسم الاستقبال والحوادث وهناك لاحظنا أمورا ايجابية وتنظيما رائعا فى أعمال التمريض وحفظ سجلات المرضى وتنسيق العنابر وإدارتها،ولكننا علمنا أن كل ذلك يقابله خارج المستشفى نظام سيء للغاية لإحضار المصابين على الطريق، لأن وصولهم إلى المستشفى يعتمد فقط على الحظ أو على الصدفة أو على حسن نية من يشاهدونهم فى الطريق - كل هذا بسبب إزدحام المرور وفوضى النظام فى الشارع، وهى مفارقة عجيبة للغاية بين قمة التخلف وقمة التقدم معا فى بلد واحد • وقد كتمت فى داخلى الرغبة الشديدة فى المقارنة بما يحدث عندنا وهو لا يختلف كثيرا عن هذا الوضع • وعلمت من زملائنا الجراحين أنهم فى تجولهم بأقسام الجراحة علموا أنهم هناك على درجة كبيرة من التقدم فلديهم مثلا جراحات الصدر والمرىء والقلب المقفول وكان عندهم جهاز للقلب الصناعى لإجراء عمليات القلب المفتوح وكانوا حتى هذا الوقت يقومون فقط بالتجارب على الكلاب •

وفى جامعة لاجوس قام أعضاء الوفد جميعا باعطاء مجموعة كبيرة من المحاضرات، كل فى مجال تخصصه، وكان من نصيبى أيضا أن ألقى هناك محاضرة ثانية إلى جانب الطب الباطنى عن تاريخ الطب المصرى القديم فى مصر الفرعونية جذبت عددا كبيرا من الحضور ٠

ومن التعليقات التى أسعدتنى ماسمعته من رئيس قسم الجراحة فى حديثه للأستاذ جمال مسعود بأنه ينقل لرئيس البعثة رغبة تقدم بها الطلبة فى أن يمد فريق البعثة الزائرون فترة إقامتهم للكلية ٠٠ وكانت لفتة لطيفة بها الكثير من صدق التعبير وسعدنا بها جدا، ولكننا كنا على موعد فى اليوم التالى لزيارة جامعة أخرى هى جامعة إيدان ٠

* * *

زيارة Badagry (باداجرى) :

لقد أتاح لنا برنامج الزيارة فى لاجوس نصف يوم للتجول الحر، وقد شاء الحظ السعيد أن يكون للأستاذ عادل رمضان صديق مقيم فى لاجوس ويدير فرع بنك تشيس مانهاتن هناك، وقد دعانا لرحلة إلى قرية صغيرة على ساحل المحيط تسمى بداجرى Badagry وسلكنا للوصول إلى هناك طريقا طوله حوالى ٦٠ كيلومتر بالسيارات وصحبنا فى هذه الرحلة كل من أ٠د عمرو

شافعى وأ٠د أحمد عبد الرازق وقضينا هناك يوما فى غاية المتعة والإثارة ٠٠

فعندما غادرنا طريق السيارات كان علينا أن نركب فى قوارب ضيقة (كانو) فى مجرى مائى حوالى كيلومتر يمر وسط غابات جوز الهند ومناظر مثيرة من الحياة الإفريقية الطبيعية وكثير من الوطنيين شبه العراة فى بعض القرى على الطريق٠وعند الشاطىء كانت هناك عدة أكواخ من سعف نخيل جوز الهند نزلنا فى أحدها واجتمع حولنا فريق من الوطنيين أعدوا لنا الشاى، واستعرض الأولاد الصغار أمامنا مهارتهم فى تسلق أشجار جوز الهند بخفة ومهارة القرود وأحضروا لنا كمية ضخمة من الثمار قدموا لنا عصيرها اللذيذ الطعم الذى أقبلنا عليه بشغف كبير، وقد سجلت لهذه الزيارة المثيرة فيلما سينمائيا رائعا٠ وأنا أحمل دائما امتنانا كبيرا لصديقى الأستاذ عادل رمضان لهذه الرحلة التى فاتت على باقى زملائنا الذين فضلوا قضاء نصف اليوم المتاح لزيارة وسط مدينة لاجوس فضاعت عليهم فرصة لاتعوض حقا ٠

زيارة جامعة إيدان Ebadan ٧٤/١١/١٧

قطعنا الطريق من لاجوس إلى مدينة إيدان وطوله حوالى ٢٠٠ كيلومتر فى حوالى ٣ ساعات وكان الطريق سيئا وقد رافقنا مندوب من الحكومة (مصطفى) ٠

ومدينة إيدان هى عاصمة منطقة غرب نيجيريا وبها حوالى ٣ر١ مليون من السكان وتقع على الطريق شمال شرق لاجوس بينها وبين كادونا فى الشمال، وهى من أكبر المدن فى نيجيريا وفى افريقا بوجه عام وعندما وصلنا إيدان أنزلونا فى بيت للضيافة تابع للجامعة واستقبلنا أستاذ الكيمياء الحيوية وهو صديق قديم لرئيس قسم الكيمياء الحيوية فى الاسكندرية الدكتور يحيى صديق ٠ والجامعة هناك بدأت فى عام ١٩٤٨ وبها كليات الزراعة والعلوم والآداب والعلوم الاجتماعية بالاضافة لكلية الطب، وبها كالمعتاد مجموعة من المستشفيات الجامعية و معهد لأبحاث الفيروسات ومركز لطب المجتمع وخدمة البيئة، وكانت كلية الطب فى هذا الوقت تضم حوالى ١٠٠٠ طالب ٠

بدأت جولتنا فى كلية الطب بمكتب العميد ثم رافقنا طوال الزيارة نائب العميد Amino وهو شخصية جذابة يتكلم اللغة العربية وسبق له زيارة القاهرة والاسكندرية وكان واضحا جدا أنه يحب مصر حتى أنه قال لنا اعتبرونى مصريا، وكان فى جولته معنا فى غاية اللباقة والحزم فى تنظيم جدول الزيارة حتى

يجرى حسب المواعيد المحددة لضمان أكبر عدد من الزيارات للأقسام فى الوقت القصير المتاح ٠

وفى المناقشات المختلفة داخل الأقسام بين المتخصصين من الجانبين كان مما يلفت النظر أنهم فى قسم الأنف والأذن والحنجرة يتذكرون الدكتور حازم جعفر الذى كان معارا لهم من جامعة الاسكندرية لأنه عمل عندهم بعض الوقت ويثنون عليه ثناءا كبيرا، وفى قسم التخدير كانوا يلحون على إرسال مدرسين فى التخدير من الاسكندرية على سبيل الاعارة لحاجتهم الشديدة إلى ذلك، وفى الأمراض الباطنة أعجبنا جدا بقائمة الأبحاث التى نشروها مؤخرا، وفى أقسام الجراحة التخصصية أظهر العديد منهم فى وحدات جراحة الصدر وجراحة الأعصاب رغبتهم فى الحضور للعمل والتدريب فى الاسكندرية ٠ وفى زيارتنا لمركز أبحاث الفيروسات لاحظنا أن هذا المركز على مستوى راق جدا وقد أنشأته مؤسسة روكفلر لدراسة الفيروسات السائدة بمنطقة غرب افريقيا وقدنجح باحثوه فى اكتشاف وفصل عدة فيروسات جديدة٠

* * * *

ومن المناقشات الجديرة بالتسجيل ما أثاره زملاؤنا الأساتذة النيجيريون عندما سمعوا منا أن كليات الطب عندنا

تخرج فى العام الواحد آلاف الأطباء، فكانوا يسألون عـــن كيفيـــة تحقيق هذه المعجزة التى هم أحوج إليها منا للنقص الخطـــير فـــى أعداد الأطباء النيجيريين اللازمين لتوفير الخدمة الطبية فى هـــذه البلاد ذات الثمانين مليون إنسان ٠

وفى ختام الجولة العلمية كان اللقاء الحافل مـــع أعضـــاء هيئة التدريس ونواب العميد فى ناديهم الذى يتوسطه حمام ســباحة ومطعم فخم جدا والخدمة به كانت ممتازة،وفى جو مفعم بالصداقـة والأمل فى توطيد علاقات طيبة مستمرة قمنا بتسليم علم تذكـــارى للرحلة للكلية،وخطب نائب العميد خطبة طويلة ختمها قـــائلا :إن هذه الزيارة هى أسعد مناسبة حدثت لنا فى هـــذا المكـــان خـــلال العديد من السنوات الماضية٠٠٠

وكان واضحا أن الزيـــارة الخاطفـــة لأعـــرق جامعـــات نيجريا فى إبدان قد حققت أهدافها تماما ٠٠ وبقى علينا أن نتجـــه إلى جامعة ايفى قبل أن نعود إلى لاجوس ٠

فى جامعة ايفى

نحن الآن فى كامبوس جامعـــة أيفـــى – ماشـــاء الله، شـــىء لايصدقه العقل ١٣ ألف فدان من الأرض توازى ٢٥ ميلا مربعـــا هى مساحة الحرم الجامعى،وهى مساحة لاتفوقها فى العالم كله إلا

جامعة واحدة موجودة فى البرازيل ... هكذا تكون الجامعـــات ، وكل هذه المساحة لخدمة مالايزيد على ٤٥٠٠ طالب ..

* * *

لقد استقبلنا فى أول اليوم الوحيد المخصص لزيارتنا لجامعـة ايفى ومستشفياتها عميد الكلية الأستاذ جريللو Grillo الذى لم يكــن فى الواقع غريبا عنا،فقد لاقيناه من قبل فى نيرو بى وفى مصـــر أيضا،وأخذ يشرح لنا توزيع الكليات الجامعية داخل هــذا النطــاق الشاسع من المبانى المخصصة للكليات والتى لم تكــن مــع ذلــك تشمل المستشفيات الجامعية لانها خارج الحرم الجــامعى، وأهــم ماشاهدناه فى هذه الجامعة العصرية بكل المقــاييس هــو تطبيــق نظام التكامل فى التعليم الطبى الذى كان الموضـــة الجديــدة فـــى تطوير التعليم الطبى فى العالم كله وتهتم بتطبيقه منظمـــة اتحــاد الجامعات الافريقية بوجه خاص، وهناك فى ايفى كان هذا النظــلم يطبق بكثير من الجدية . وقد اقتضى تطبيق التكـــامل هنــاك أن كلية الطب كانت جزءا من مجمع طبى يشمل أيضا مدرسة طـــب الأسنان والتمريض ومدارس لإعدادأخصائيين فىالتغذية،وصحـــة المجتمع العامة والتثقيف الصحى، وبرامجها كلها تتكـــامل مـــع بعضها البعض فى تنسيق مشترك،كما أن هناك تكاملا أيضا يبيـن التعليم الطبى وتطبيق الخدمات الصحية، ومع سياســـة التخطيــط

الأساسى لكل هذه الأعمال، ثم تتجاوز الآمال فى تحقيق التكـــامل للوصول إلى تناغم بين أهداف الجامعة وأهداف الحكومة، وكـــان ذلك كله يجرى فى ايفى كما شرحه لنا الأســـتاذ جريللـــو ويتـــم بصورة تطبيقية وعملية وليس مجرد أشكال نظرية.

وفى تعليقه على صعوبة الكفاح فى سبيل وضع نظريـــة التكامل الجديدة هذه موضع التنفيذ وسط صعوبات لاحصـــر لـــها ومعوقات شديده ومقاومة من كثير من المعارضين لفـــت الرجـــل نظرنا إلى لوحة يعلقها فوق مكتبه تقول على لسان ميكيافللى "إنـــه لايوجد شىء أصعب من أو مشكوك فـــى نجاحـــه، أو يعرضـــك للمخاطر عند تناوله أكثر من أن تقدم على إحداث تغييرمن أجـــل أن تقيم نظاما جديدا يعيد تنظيم بعض الأمور ..."

عشرات من الأفكار البناءة والقابلـــة للتطبيـــق للتعـــاون المشترك تبادلناها معا فى لقائنا مع أساتذة الطب فى جامعة ايفـــى، منها الكثير مما هو تقليدى مثل اجراء الأبحاث المشتركة وتبـــادل الزيارات ومنها ماكان ذا طابع خاص فقد ألحوا على طلب عـــاجل لإرسال مدرسات من المعهد العالى للتمريض لشدة احتياجهم لـــهن، وطلبوا مدرسين فـــى الأقســـام الاكلينيكيـــة، كمـــا عرضـــوا أن يستضيفوا بعض الطلاب لمدة سنة كاملة للدراســـة فـــى الفـــروع الأكاديمية . وتبادلنا معا أيضا التجربة المصريـــة فـــى تطبيـــق

وجوب الخدمة بعد التخرج فى الريف لمدة ثلاث سنوات،وكذلـــك ربط المستشفيات غير الجامعية بكليات الطب بحيث تخدم عمليـــة التعليم وتقضى فى الوقت نفسه علـــى الانعـزال العلمـــى لـــهذه المستشفيات .

والحقيقة أن انطباعى من هذه الزيارات أقنعنـــى بـــأن هنـــاك فرصا جيدة جدا لنا للإفادة من الامكانيــــات العظيمـــة الموجـــود عندهم،فقد كانت الأجهزة العلمية فى الأقسام والمعامل فـــى هـــذه الجامعة موجودة بوفرة وأغلبها منح من اليابـــان وهنـــاك دوائـــر تلفزيونية تعليمية وفيديو ملون الخ ...، بصراحة لقد رأيت بـــهذه الجامعة بالذات مالم يكن متوفرا كثـــير منـــه فـــى هـــذا الوقـــت عندنا...

* * *

هكذا انتهت رحلتنا إلى جامعة ايفى وكان علينا أن نعـــود مرة أخرى إلى لاجوس مرورا بمدينة إيدان فـــى رحلـــة طويلـــة استمرت خمس ساعات، ولكننا قمنا بالتوقف فى الطريق لشـــراء ثمار الأناناس الوفير والرخيص، وملأنا السيارة بـــها ثـــم بـــدأت المشكلة فى كيف نأكلها، وفى جو مرح عرضنـــا علـــى زميلنـــا الأستاذ الدكتور جمال عزب أن يتولى هـــو التعـــامل مـــع ثمـــار الأناناس لأنه هو المتخصص الوحيد فينـــا فـــى فتـــح الجمـــاجم

والرءوس واللعب فى محتوياتها وماعليه إلا أن يفترض أن ثمـرة الأناناس ماهى إلا واحدة من هذه الرءوس ...

وعندما فشل فى التعامل مع الأناناس بادرت إلى إخـراج مطواة جوالة كنت أحملها استعدادا لمثل هذه الظروف وتعـاملت مع رؤوس الأناناس بكفاءة أمكن بها أن نتمتـع بطعمـها اللذيـذ ونسجل تفوق الباطنيين على الجراحين فى هذه المهمة ....

وبالرغم من التعب الشديد بسبب السفر الطويل كان علينـا أن نستعد على وجه الاستعجال ثم نتوجه إلى فندق فيدرال بـالاس أوتيل تلبية لدعوة من وزير الصحة الفيدرالية حضرهـا السـفير المصرى وعدد كبير من أساتذة جامعة لاجوس،خطب فيها نـائب الوزير لأن الوزير لم يتمكن من الحضور بنفسه وكـان الرجـل مجاملا لأقصى درجة فى كلمته وفى الوقـت نفسـه قـال بكـل صراحة أن مدلول هذه الزيارة سياسى بلاشك، وأنه يعتقد أنها قـد حققت بالفعل هدفها تماما وأنه يرحب بذلك لأنـه يدعـم ويقـوى الصداقة بين مصر ونيجيريا .وهو لهذا يشكر الحكومة المصريـة على تنظيمها لهذه الرحلة .

وهنا أعجبنى سرعة رد الأستاذ الدكتور جمال مسعود وهو يشارك الداعى بموافقته ولكنه يؤكد أن فكرة تنظيم هذه البعثة هـى فكرة شعبية من أعضاء هيئة التدريـس أنفسـهم وأن السـلطات

الحكومية فى الجامعة أو وزارة التعليم العالى قامت بعد ذلك بدعمها إيمانا بفائدتها العظيمة • وحول هذا المعنى أيضا تكلم مدير الخدمات الطبية الذى تابع أعمالنا وقدم كل واحد من أعضاء البعثة بتعليق لطيف وتحية لأدائه وأعاد تأكيد المعنى السياسى الذى تم بنجاح على يد هذه البعثة •وكم أسعدنى أن يكون آخر المتحدثين رئيس قسم الجراحة الذى قال أن تاريخ الطب والجراحة بدأ فى مصر ولذلك فإن واجب مصر كأول دولة أنشئت بها مدرسة للطب أن تقدم العون لكل كليات الطب الافريقية،واستعرض تاريخ الطب فى مصر القديمة معلقا تعليقا طيبا على محاضرتى عن تاريخ الطب فى مصر الفرعونية •

* * *

فى يوم الأربعاء ١٩٧٤/١١/٢٠ غادرنا لاجوس إلى المطار لنسافر إلى محطتنا القادمة كنشاسا • والرحلة من المدينة للمطار لايمكن أن توصف إلا بأنها كانت مباراة مصارعة عنيفة مع الازدحام والفوضى فى الطريق، وهى نوع من المصارعة الحرة التى لايبدو أنها تخضع لأى قواعد أو قيود، وسائق الميكروباس المسكين استغرق بضع ساعات للوصول إلى المطار سار فيها مرة على يمين الطريق وأخرى على أقصى اليسار، فى نهر الشارع أو فوق الأرصفة سواء الرصيف اليمين أو الشمال،

وفعل كل مايمكن أن يفعله بشر ليجد للسيارة موقعـــا تتقــدم فيــه خطوة للأمام ٠٠٠ حتى وصلنا إلى مطار لاجوس ٠

(وقد علمت فيما بعد أنهم أصدروا قرارا بوقـــف ســير نصف السيارات فى مدينة لاجوس بتخصيص يوم للأرقام الفرديــة بالتبادل مع يوم للأرقام الزوجية،وأخيرا جدا فقد ألغيــت لاجــوس تماما كعاصمة فيدرالية للدولة وانتقلت العاصمة إلى مدينة أخــرى جديدة) ٠

الكونجو زائير



دولة زائير هى رابع دولة إفريقية من حيث تعداد السكان بعد نيجريا ثم مصر واثيوبيا، وبها أكثر من ٢١مليون من السكان (١٩٧٠) وكنشاسا العاصمة (ليوبولد فيل سابقا) هى أكبر مدينة فى افريقيا السوداء • حصلت هذه البلاد على الاستقلال فى عام

١٩٦٠ وتغير اسمها من جمهورية الكونجو الديموقراطية إلى زائير ضمن حركة العودة إلى الأسماء الافريقية الأصلية وهو اسم إفريقى لنهر الكونجو ٠

وبعد الحرب الأهلية التى حدثت عقب الاستقلال أصبحت الحكومة المركزية القوية فى كنشاسا مستقرة وصار النظام السياسى يقوم على نظام الحزب الواحد الذى يرأسه الرئيس موبوتو سيسى سيكو ٠

وقبائل البانتو تكون الأغلبية العرقية من السكان وينتشرون فى مايقرب من ثلثى مساحة البلاد الشاسعة، والسكان يتكلمون العديد من اللغات الافريقية المختلفة ولكن الفرنسية هى اللغة الرسمية للادارة والأعمال والاتصالات الدولية والتعليم ٠ والديانة الغالبة هى المسيحية لأكثر من ثلثى السكان ونصف هؤلاء من الكاثوليك، أما المسلمون فلايتجاوز عددهم ربع مليون، ومازالت الديانات الافريقية التقليدية موجودة إلى حد كبير فى القبائل ٠٠

* * *

عندما هبطت بنا الطائرة مساء يوم ٢٠نوفمبر ١٩٧٤ فى مطار كنشاسا كان فى استقبالنا مستشار السفارة المصرية الأستاذ مصطفى التونى القائم بأعمال السفير لتغيب السفير المصرى

خارج البلاد، وكان الاستقبال فى صالة كبار الزوار طيبـــا جــدا وكان بين المستقبلين عدد من المصريين من بينهم الدكتـــور عبــد الأحد جمال الدين الذين كـــان وقتئــذ وكيـــلا لـــوزارة الإعـــلام ومجموعة من الأطباء المصريين كان من بينهم الدكتوره بهيجـــة حافظ مدرسة الفسيولوجيا بكلية طب الاسكندرية و كانت تقيم مـــع زوجها الأستاذ أحمد مصطفى الذى كان منتدبا للعمل فى كنشاســا وكان صاحب نفوذ واتصالات متعددة هناك وقدم لنـــا فيمـــا بعــد العديد من المساعدات القيمة .

كما كان هناك أيضا مندوب من مؤسســـة بـــاير الدوليـــة للأدوية التى تولت مسئولية ضيافة البعثة فى زائير حسب اتفاقنـــا السابق .

واستمرت زيارتنا لزائير ستة أيام أمضينـــا اليـــوم الأول منها فى التجول بالمدينة حيث كان ذلك اليوم هـــو عطلـــة العيــد الوطنى بالبلاد،وحرص إخواننا المصريون لذلك على اصطحابنـــا فى نزهة عند شاطىء نهر الكونجو ثم دعوتنا بعد ذلك للعشاء فـــى منزل الدكتورة بهيجة وزوجها أحمد مصطفـــى وكـــانت فرصـــة لتناول طبق الملوخية المصرى الشهير والاستماع إلـــى قصـــص نجاح عدد من الأطباء المصريين يعيشون منذ فترة طويلـــة فـــى

كنشاسا منهم د٠نجيب فارس–د٠عبد الملك وهو طبيـــب أســنان ناجح جدا فى المدينة ٠

وفى الأيام التالية أنجزت البعثة برنامجـــا ضخمـــا مـــن المحاضرات والعمليات الجراحية واللقاءات مع أساتذة الجامعـــة ٠ وقد علمنا أن الجامعات الثلاث التى كانت موجودة بالبلاد أصـــلا قد اندمجت معا فى إدارة موحدة تحت اسم جامعة زائير الوطنيـــة بفروعها الثلاث فى مدن كنشاسا، وكيسانجانى ولوبومباشى٠ وقـد بدأت الجامعة الأولى منها عام ١٩٥٣ وكانت ملحقة بجامعة ليـون الفرنسية، ثم الثانية التى ألحقت بجامعة لييـــج البلجيكيـــة، وبعـد الاستقلال قامت الجامعـــة الثالثـــة التـــى كـــانت تعتمـــد علـــى البروتستانت، حتى تم أخيرا توحيد هذه الجامعات الثلاث للقضـــاء على التنافس والخلافات بينها ٠

وفى كلية الطب بكنشاسا عرفنا الكثير مـــن المشـــكلات الصحية التى تعانى منها البلاد وأهمها نقص الأطباء،ففـــى عـــام ١٩٦٠ لم يكن هناك أى طبيـــب مـــن الوطنييـــن، فقـــد حـــرص الاستعمار أولا على تدريب ممرضيين مؤهلين من الذكور وإبقـاء وظائف الأطباء فقط للأوربيين والبعثات التبشيرية٠ وحتـــى عـــام ١٩٧٠ لم يكن هناك سوى ٢٢٠ طبيب زائيرى من مجمـــوع ٥٧٠ طبيبا فقط فى البلاد ٠

وعلمنا أن الأمراض المنتشرة أهمها الجدرى والسل ومرض النوم الافريقى والجذام وشلل الأطفال •

كان برنامج محاضراتنا وافيا، ومن المحاضرات التى لاقت نجاحا كبيرا لتكمن المحاضرين من اللغة الفرنسية كانت محاضرات الأستاذ أحمد عبدالرازق فى إصلاح تشوهات اليد والأستاذ فوزى نعمة الله عن التغذية عن طريق الحقن الوريدى ثم كانت محاضرات باقى الأساتذه عن إصابات الرأس وجراحات الصدر والقلب وتليف الكبد باللغة الانجليزية• ومن بين العديد من العمليات الجراحية أجريت عمليات استئصال ورم النخاع الشوكى (أ•جمال عزب) والعصب الحائر بقرحة المعدة (د•عمر شافعى) ولاحظنا أيضا فى زائير كما حدث فى كثير من الدول الافريقية إلحاحا من جانبهم على طلب أساتذة فى التخدير لنقص هذا التخصص بالذات بدرجة واضحة•

* * *

وبالرغم من أنه قبل بداية الرحلة إلى كنشاسا كان هناك مشكلة نشأت من طلب الجانب الزائيرى أن يتأخر وصول البعثة لفترة ما حتى يتم الإعداد الجيد لها واعتذارنا عن ذلك بسبب ارتباط الجدول بمواعيد السفر وزيارة بلاد متتالية فى رحلة متصلة، إلا أنه تم بفضل الجهود المتواصلة التى قامت بها

السفارة بعد ذلك وضع برنامج حافل للنشاط العلمـــى والزيـــارات لأقسام كليـــة الطـــب والمستشـــفى الجـــامعى واتمـــام برنـــامج المحاضرات والعمليات، ولم يقتصر البرنامج على هـــذه الأمـــور فقط بل إن زيارتنا إلى زائير أضيف لها بعد آخر وهو عقد جلســـة ختامية بين الأساتذة من الطرفين ومناقشة أوجـــــه التعـــاون فـــى المستقبل انتهت إلى توقيع بروتوكـــول مكتـــوب لعرضـــه علـــى رئاستى الجامعات من الطرفين بعد ذلـــك ومتابعـــة تنفيـــذه فـــى المستقبل •

واهتمت وسائل الاعلام فى زائـــير بزيارتنـــا فنشـــرت صورا لاستقبالنا واجتماعاتنا وزيارتنا للمستشفيات والجامعة ولـــم تستطع زيارة كان يقوم بها نجم نجوم الرياضة الملاكم محمد علـــى كلاى لكنشاسا فى نفس الوقت لإقامة مباراة ودية استعراضية فـــى المدينة لقيت بالطبع اهتمام جميع وسائل الاعلام أن تحرمنـــا مـــن جانب كبير من اهتمام الصحف بنا•

مغامرة فى زونجو

فى خلال الأيام التى قضيناها فى زائير حدثت واحدة من أطـــرف المغامرات التى وقعت لنا فـــى رحلاتنـــا الثـــلاث إلـــى الـــدول الإفريقية• كان يوم الأحد هو العطلة التى لن نقوم فيها بزيـــارات علمية، فنظمت لنا شركة باير التى كانت تتولى ضيافتنـــا رحلـــة

سياحية، فأعدوا لنا سيارة ميكروباس لنذهب بها إلى منطقة تسمى زونجو على مسيرة عدة ساعات خارج كنشاسا وبها الكثير من المناظر الطبيعية الافريقية الرائعة، وكان علينا للوصول إلى هنالك أن نقطع بالسيارة جزءا من الطريق المرصوف بشكل جيد ثم نستكمل الباقى فى طريق ترابى يمر وسط الغابات الكثيفة، ورافقنا فيها بعض مندوبى الشركة من الألمان وكذلك الأستاذ أحمد مصطفى الذى شارك بجهد كبير فى تنظيم الرحلة .

كان الجو بديعا والسماء صافية والشمس مشرقة عندما بدأنا الرحلة فخرجنا متفائلين بقضاء يوم ممتع .. وعندما انحرفت بنا السيارة من الطريق الرئيسى المرصوف إلى الطريق الترابى الجانبى بدأ الجو يغيم قليلا والأمطار تتساقط بخفة ونحن لاهون عن كل ذلك بتأمل الغابات المحيطة بنا ومناظر المواطنين الأفريقيين من رجال ونساء وأطفال على جانبى الطريق، وشيئا فشيئا بدأ القلق يساورنا عندما لاحظنا أن الطريق الترابى فى بعض أجزائه يمر بمنحنيات خطرة وبعض أجزاء الطريق تسير على حافة مرتفعات غير مطمئنة، وسائق السيارة يندفع بها وكأنه مطمئن تماما لكفاءته فى القيادة بمهارة فى طريق يعرفه حق المعرفة ...

ومر نصف اليوم الأول بسلام ولكن ما ان بـــدأت فـــترة مابعد الظهيرة حتى كانت أرض الطريق الترابى قد أصبحت بفعل الأمطار كتلة سميكة من الطين أخذت عجلات الســـيارة تغـوص فيها ثم تخرج منها مرة بعد الأخرى إلى أن انتهى الأمر بتوقـــف السيارة تماما عندما انغرست العجلات فى طبقات الطين العميقـــة وتعذر على السائق إخراجها، فقمنـــا بـــاخلاء الســـيارة ومعـــاودة المحاولة لتخليص العجلات من الغرس،وقد نجحت هذه المحاولـــة مرة واحدة ثم فشلت كل الجهود ونهائيا بعـــد ذلـــك فـــى إخـــراج السيارة من الطين ٠٠٠ وكان الجو حارا والرطوبة شديدة، ومـــع ذلك لم ندخر وسعا فى محاولة دفع السيارة بجهدنا العضلى، مـــع عزل الكبار فى السن منا عن مثل هـــذا المجـــهود ٠ واســـتمرت المحاولات عدة ساعات إلى أن بدأت الشمس فى المغيب، وفجـــأة انفتحت أفواه القرب من السماء ليبدأ الفصل الثانى بهطول وابـــل من الأمطار الاستوائية التى لم نر لها مثيلا من قبل فى غزارتـــها، وتأزم الموقف تماما لأننا لم نكن بالقرب مـــن أيـــة قريـــة علـــى الطريق يمكن أن يكون بها مأوى لنا، وكانت حركة المرور علـــى هذا الطريق الفرعى قد توقفت تماما ولاتوجد سيارات تمـــر بـــه يمكن أن يطلب منها النجدة على أى صورة، وأخيرا جاءت سيارة ميكروباص فى اتجاه طريق عودتنا إلى كنشاسا فأوقفناها لمحاولـــة

نجدتنا، وعندما فشلت هذه المحاولة وافــق ســائقها علـــى حمــل مالايتجاوز ثلاثة أشخاص فقط من مجموعتنا الكبيرة خوفا علــــى سيارته إن زادت حمولتها أن تغرس هى الأخــرى فـــى الطيــن، وكان القرار المنطقى أن تعطى الأولوية للأستاذ جمـــال مســعود وللأستاذ أحمد جعفر وكان الأستاذ جعفر بوجه خاص موضع قلـق منا لأنه كان قد أصر على مصاحبتنا فى هذه الرحلة رغم إصابتــه بقصور فى شرايين القلب، وقررنا أن يكون الثالث معـــــهما هــو الدكتور عمر شافعى ليتصرف عند الوصول إلى الموقـــع الــذى يمكن الاتصال منه لطلب النجدة ... وعندما تم ذلك كان علــــى باقى المجموعة أن تتخذ القرار التالى الشديد الأهمية وهـــــو إمــا البقاء فى السيارة لأى مدة من الزمن والاحتماء بها حتـــى تصــل إلينا النجدة التى لم نكن نعلم متى تجىء أو لاتجىء أو أن نـــترك السيارة لسائقها ونبدأ السير على الأقدام على الطريق الـــترابى أو على الأصح الطينى الذى كان مقدرا أن يصل بنا فى حالة الســير الجاد عليه فى طريق العودة لنصل عــن طريقــه إلـــى الطريــق الأسفلت الرئيسى قبل حلول الظلام التام .

واخترنا الحل الثانى خوفا من الظلام الذى بدأ ينتشر شيئا فشيئا ونحن لانعلم ماذا تخبئه لنا الغابات الكثيفـــة علـــى جــانبى الطريق، أو احتمال تعرضنا لاعتـــداء مــابصورة أو بـــأخرى .

وبدأنا بالفعل السير لأننا كنا على اطمئنان تام بأن الطريق واحد وغير متفرغ وينتهى بنا بالضرورة إذا التزمناه إلى الطريق العام الرئيسى وتنتهى المشكلة لأن هذا الطريق ودائما مطروق ومزدحم بالسيارات •ولكننا بعد أن قطعنا مسافة نصف كيلو متر بعيدا عن موقع السيارة التى تركناها عادت الأمطار للسقوط بعنف شديد، ولم يكن لدينا أى وسائل للحماية من هذه الأمطار كالمظلات أو الملابس الواقية، لأنه لم يخطر لنا على بال أننا سوف نتعرض لهذا كله، وكان على بعضنا وأنا منهم أن يهتم بمعدات التصوير التى نحملها من كاميرات وكاميرات السينما فنخفيها داخل طيات ملابسنا لحمايتها قبل أن نحمى أنفسنا . . .

وفى هذا الموقف العصيب الذى كان ينذر باحتمال تعرضنا لمخاطر عدوانية جسيمة ولكن غير مؤكدة، وانما كان المؤكد فقط هو حتمية المعاناة الشديدة حتى نصل إلى الطريق المرصوف قبل أن يحل الإظلام التام • • • فى هذا الموقف انقسم الفريق إلى فريقين، واحد منهما وأنا منه آثر أن يأخذ جانب التفاؤل، فأخذنا نسير فى الطريق تحت المطر ونحن نتصايح فى مرح مصطنع بالأغنية الشهيرة عن الغناء تحت المطر Singing in the rain والأغنية الشهيرة الأخرى : كل ماهو مقدر سوف يكون

Que sera sera . . . .

. . . Whatever will be will be.

وشاركنا جميع المرافقين لنا مـــن الألمـــان فـــى الغنـــاء والمرح، وأما الفريق الآخر فبالرغم من أنه اســـتمر معنـــا فـــى السير الحثيث إلا أنهم أصيبوا بالاكتئاب الشديد، وأخذ أعضـــاؤه من وقت لآخر يوبخون الفريق الأول على اســـتهتارهم بخطـــورة الموقف ٠٠٠!! وماذا كان من الممكـــن أن نفعـــل إلا أن نجتـــهد ونتفاءل وندع الباقى لإرادة الله ٠٠٠

وبعد حوالى ساعتين من المعانـــاة والقلـــق رأينـــا علـــى الطريق أنوار سيارة الميكروباس التى اســـتطاع الدكتـــور عمـــر شافعى أن يستقدمها لنجدتنا بمجرد أن وصل إلى وسيلة الاتصـــال التليفونى المناسبة وتم له ذلك والحمـــد لله بنجـــاح، وكـــان بـــهذا الميكروباس الآتى لنجدتنا مجموعة مـــن الصبيـــان الســـود كـــان منظرهم يبعث على الضحك فقد كانوا يتقافزون كقطيع من القـــرود المرحة، جاءوا ليدفعوا بالسيارة المعطلة خارج المستنقع الطينـــى ٠٠وبعد أن أوصلناهم إلى موقع السيارة المعطلة تركنـــاهم معـــها لنعود فى السيارة الجديدة التى سرعان مـــا اســـتقرت بنـــا علـــى الطريق المرصوف، وأخذت تتجه إلى مدينة كنشاسا، وكان قد بلـــغ الارهاق بنا جميعا مبلغه، فالبعض منا استغرق فى نـــــوم عميـــق والبعض الآخر ظل على مرحه طوال الطريق والجميع يحمـــدون الله على السلامة على كل حال ٠

وعندما وصلنا إلى كنشاسا كان علينـــا أن نزيـل عــن أجسامنا وملابسنا قدرا هائلا من الطين قبــل أن نتنــاول طعــام العشاء ونأوى إلى الفراش بسرعة فقد كان اليوم التالى يوم عمــل من أهم أيام زيارتنا إلى كنشاسا ٠

العودة إلى أوغنده

بانتهاء زيارة الدول الهامة فـــى غــرب إفريقيــا وهـــى السنغال وغانا ونيجريا ثم زائير كان من الممكن اعتبـــار الرحلـــة الثانية للدول الافريقية قد أنجزت هدفـــها بنجـاح كبـير، ولكـــن البرنامج كان يتضمن إلى جانب ذلك زيـــارة كــل مــن أوغنـــده والسودان وهو أمر استوجبه في الواقع خط العودة إلـــى الوطـــن، فقد سبق للبعثة الأولى أن غطت زيارة كل من السودان وأوغنـــده عام ١٩٧٠،غير أن تغير الظروف من ١٩٧٠حتى١٩٧٤جعل مـن زيارة أوغنده على وجه الخصوص شيئا جديدا تماما.

وعندمـــا وصلنـــا إلـــــى مطـــار عنتيبـــــى فـــى ٢٧نوفمبرسنة١٩٧٤كانت أوغنده تحـــت حكـم الرئيـس عيـدى أمين،وماعلمناه من قبل عن تاريخ الرجل كـــان مثـيرا للفضـــول والاهتمام، ومأأدخله نظامه على الحياة فى أوغنده كـــان يتصـــدر الأخبار فى وسائل الاعلام لمدة طويلة .

كان سفيرنا فى أوغنده فى ذلك الوقت هو السفير عبـــاس عصمت الذى لم يتمكن من استقبالنا فى مطار عنتيبى وأناب السيد مستشار السفارة فى ذلك، ومع ذلك فقـــد كـــان الاســتقبال علـــى مستوى راق جدا من الترحيب، وحرص السفير على لقائنـــا فـــى نفس مساء يوم وصولنا فى مقر الضيافة ثم مصاحبتنا بعد ذلك فى

جميع لقاءاتنا مع مدير الجامعة ووزير الصحة وفي لقائنا مع الرئيس عيدى أمين •

واستمرت إقامتنا القصيرة فى أوغنده ثلاثة أيام فقط ولكنها كانت حافلة بكل ماهو لازم عمليا لتحقيق الهدف من الزيارة فضلا عن أنها كانت زيارة أعد لها جيدا وكان مضيفونا أكثر استعدادا لإظهار الترحيب الشديد بفكرة الزيارة عما حدث فى الرحلة السابقة، وقد يكون ذلك بتأثير الجو السائد الجديد وأهم مظاهره التخلص من تأثير الأجانب على قراراتهم نتيجة للوضع السياسى الجديد •

ولهذا فقد شمل البرنامج لقاءات مع رئيس وأساتذة الجامعة العريقة جامعة ماكريرى - وعميد وأساتذة كلية الطب فى المستشفى الجامعى الشهير" مولاجو" ثم لقاءات اجتماعية مع كبار المسئولين فى الدولة وزيارات سياحية خاطفة إلى جانب برنامج للمحاضرات والندوات والاستشارات الطبية وتبادل المعلومات •

كان اللقاء مع كل من رئيس الجامعة وعميد كلية الطب مليئا بالحرارة وتبادل النيات الطيبة معنا والآمال فى استمرارية هذا التبادل العلمى بين الجانبين فى المستقبل والمقارنة بين الظروف السائدة فى كل من البلدين بما فيها من اختلاف أو تشابه• وأود أن أشير بوجه خاص إلى عراقة

جامعة ماكريرى وكلية الطب فيها والتـــاريخ العلمـــى المشـــرف للأبحاث العالمية المستوى التى تمت فى هذه الكلية وفى معــــهد السرطان الملحق بالجامعة، وارتفاع مستوى خريجى هذه الجامعـة التى لايتعدى عدد الطلاب فيها ألف طـــالب حوالـــى٢٠% منـــهم الطالبات إلا أنه يتم اختيارهم فى الأساس بمنتهى الدقـــة لضمـــان ذلك المستوى الممتاز للخرجيين فى نهاية المرحلة ٠ والواقع أننـــى لمست ذلك المستوى بنفسى فى كثير من اللقاءات مع أصدقاء مـــن الأساتذة الأوغنديين الذين قابلتهم فى مناسبات عديدة بعد ذلك وفـــى لقاءات بالمؤتمرات الدولية ٠

ولاحظنا فى جميع هذه اللقاءات وكذلـــك فـــى اللقـــاءات الاجتماعية أثناء حفلات الاستقبال التى أقيمت وحضرهـــا رئيـــس الجامعة ووزير الصحة والمسئولون الكبار حرص الجميـــع علـــى الإلحاح على مصر فى تسهيل ايفـــاد المتخصصيـــن المصرييـــن وبخاصة فى مجالات معينة كجراحـــة الصـــدر والأنـــف والأذن والتخدير التى كان من الواضح أنهم فى حاجة شديدة إليها فى ذلـك الوقت ٠

وأسعدنا فى هذه اللقاءات أيضا أن يدعى عدد من الأطباء المصريين البارزين وكان من هـــؤلاء أســـتاذ مـــن الاســـكندرية هوالدكتور عزت عبد الحفيظ الأستاذ فى المعهد العـــالى للصحـــة

بالاسكندرية والذى كان وقتئذ يعمل مع منظمة الصحة العالمية هناك .

ولاحظت فى زيارة أوغنده أن أستاذنا الدكتور جمال مسعود قد أصبح خبيرا دبلوماسيا فى هذه اللقاءات ممتازا فى إلقاء الكلمات للتعبير عن أهداف البعثة وفى شحن العواطف بروح الصداقة بيننا وبين مضيفينا فى مختلف البلاد .

وكان مخططوا البرنامج على حرص بالرغم من ضيق الوقت المتاح أن يهيئوا لنا برنامجا سياحيا قصيرا على مدى نصف يوم لزيارة منابع النيل عند مدينة جنجا وسد أوين وشواطىء بحيرة فيكتوريا،وقد قمنا بالفعل بهذه الزيارة التى أسعدت بوجه خاص زملاءنا الذين لم يكونوا معنا فى رحلة ١٩٧٠، ولن أتطرق مرة أخرى للتعليق على هذه الأماكن السياحية التى سبق أن تكلمنا عنها فى الفصل الخامس من هذا الكتاب .

* * *

ولايمكن عند الحديث عن الزيارة الثانية لأوغنده أن أطرح جانبا مالاحظته بعمق من تغير نمط الحياة فى البلاد تغييرا واضحا جدا فى خلال هذه السنوات القليلة فقد كان الفرق ملفتا للنظر، إذ اختفى إلى حد كبير نمط الحياة والسلوكيات السائدة على

النسق الاستعمارى التقليدى Colonial بمافيـــه مــن عنصريـــة واضحة لإعلاء شأن البيض على الوطنيين السود فى النـــوادى والتجمعات الراقية، وأهم من ذلك اختفاء الظاهرة التـــى تحدثــت عنها فى الفصل الخاص بزيارة أوغنده الأولـــى وهـــى ســيطرة الأسيويين من الهنود والباكســـتنين علـــى الاقتصـــاد والمحـــلات التجارية بل واختفاؤهم إلى حد كبير، فقد قامت حركة عيدى أميــن بترحيل أعداد ضخمة منهم إلى خارج البلاد وكسر شوكة النفـــوذ الاستعمارى والبريطانى بوجه خاص فى مختلف نواحى الحياة ٠

ولقد كان ماشاهدته وماسمعته فى هـــذه الزيـــارة يؤكـــد صدق إحساسى عند الزيارة الأولى بأن شيئا ما سوف يحدث فـــى أوغنده للقضاء على سيطرة هذا النمط السائد من الحيـــاة بـــالرغم من استقلال البلاد منذ مدة وســـيطرة الأســـيويين المريبـــة علـــى الاقتصاد القومى فى الحياة اليومية ٠

* * *

وتأتى قمة الأحداث فى زيارة أوغنده مع زيارتنا للرئيــس عيدى أمين فى يوم ١٩٧٤/١١/٢٩، فقد أخطرنا السفير المصــوى بأننا مدعوون لهذا اللقاء فى مساء اليوم السابق، وكـــان علينـــا أن ننهى برنامج زيارتنا للجامعة ونتوجه إلى مكتب الرئيس فـــى دار البرلمان فى الساعة الثانية عشرة ظهرا٠ وعندما وصلنا إلى هناك

كان علينا أن نصعد إلى مكتب الرئيس الأوغندى فى الدور الخامس من هذا المبنى على الأقدام، ولا أعرف حتى الآن ما إذا كان الرئيس عيدى أمين نفسه كان يصعد هذه الأدوار على الأقدام أم بوسيلة أخرى ...

وكان فى جدول لقاءات الرئيس مقابلة مع السفير السودانى والسفير السوفيتى،وبعد انتهاء ذلك دخلنا مكتب الرئيس الأوغندى لنرى وجها لوجه الرجل الذى قيل عنه أنه ديكتاتور شديد القسوة متوحش الطباع لايتورع عن أكل لحم البشر من معارضيه، وكان الجانب المعروف المؤكد لنا هو أنه على الأقل كان الرجل الذى أهان بريطانيا إهانة شديدة وتطاول على مقام ملكتها بصورة لم يسبق لإفريقى أن فعلها بعد أن طرد فى حركة واسعة النطاق الحاملين للجنسية البريطانية من الأسيويين الذين يعيشون فى أوغنده ...

كان الرجل الضخم يجلس إلى مكتب أكثر ضخامة فى حجرة واسعة وعلى المكتب الفاخر عدد هائل من أجهزة التليفون، ومن خلفه لاحظت صورة للرئيس السودانى جعفر نميرى ونتيجة لفتت نظرنا على الفور لأنها تحتوى على صورة قنال السويس وصورة تمثل عبور القوات المصرية وتحمل اسم شركة مصر للتصدير . وكان ذلك الجو يعطى إنطباعا سريعا وفوريا بأن هذا

الرجل يحمل عاطفة من الود والصداقة نحو مصر والمصريين،وهذا ماتأكد لنا خلال الأربعين دقيقة التى استمرفيها لقاؤنا مع عيدى أمين ٠ تكلم وزير الصحة وقدمنا إلى الرئيس وتكلم الأستاذ جمال مسعود للتعبير عن مشاعرنا وأهداف زيارتنا، وحرص عيدى أمين على مصافحتنا جميعا واحدا واحدا ثم تكلم كلاما مستفيضا ومليئا بالعاطفة والحماس، وأشهد أننى لم أستمع لرئيس دولة فى جميع لقاءاتنا فى الرحلات الافريقية كلها يتكلم عن مصر بهذا الاعزاز والحماس والمودة الواضحة مستخدما ألفاظا رقيقة وتعبيرات جميلة ٠

كل ذلك جعلنى على الفور أجزم بأن مثل هذه الشخصية لايمكن أن يكون بأى حال هو الشخصية التى صورتها لنا وسائل الإعلام الغربية بأنه آكل لحوم البشر، وربما قد يكون حاكما دكتاتوريا وسياسيا سيئا أو فاشلا إلا أنه كان واضحا لنا أن فى داخل هذا الجسد الضخم إنسان طيب القلب بصورة أو بأخرى٠٠٠٠

قبل أن يختم عيدى أمين كلمته المؤثرة فى تحية مصر وتحيتنا والترحيب بنا التفت فجأة إلى وزير الصحة الأوغندية المرافق لنا وسأله عما إذا كانت الوزارة قد اهتمت بأن يزور أعضاء الوفد بعض المشاهد السياحية فى أوغنده، وعندما أكد له

الوزير أننا قمنا بزيارة قصيرة لمنابع النيل بالأمس تساءل الرئيس هل زاروا شلالات كباليجا (مرتشيزون سابقا) قال الوزير أن برنامجهم القصير لايسمح بذلك لأن الرحلة إلى هناك تحتاج لساعات طويلة فى الذهاب والعودة والوفد سيسافر من أوغنده ظهر اليوم التالى .

وفجأة رأينا وجه الرجل يتسم بالصرامة والحزم فيأمر الوزير بتدبير رحلة عاجلة بالطائرة إلى الناشيونال بارك لتتاح للوفد هذه الزيارة والعودة فى الموعد المناسب الذى لايتعارض مع موعد مغادرة البلاد . وأحسسنا بتكهرب الجو على الفور، ولم يكن أمام الوزير إلا أن يجيب الرئيس بالسمع والطاعة .

وغادرنا مكتب عيدى أمين بعد أن ودعنا الرجل بنفس الروح الطيبة التى استقبلنا بها وبكثير من المرح، وتوجهنا إلى المستشفى الجامعى حيث كان علينا إلقاء محاضرتين بعد ظهر ذلك اليوم...

وأثناء وجودنا بالمستشفى حضر مندوب من وزارة الصحة ليخبرنا أن طائرة الرئيس عيدى أمين الخاصة سوف تتولى نقلنا إلى فندق البارالودج وتعود بنا فى اليوم التالى لتنفيذ أوامره بزيارة المنطقة السياحية والشلالات، وكان يتعين علينا

اختصار البرنامج العلمى والتوجه على الفور إلى الفنــدق لحــزم أمتعتنا ومغادرة كمبالا خلال ساعة ونصف ..

وتم تنفيذ الأوامر الحازمة للرئيس عيدى أمين فتوجــهت بنا السيارة إلى مطار عنتيبى لنجد فى انتظارنا بالمطار الطــائرة الأنيقة الخاصة بالرئيس وهى طــائرة صغـيرة تتســع لحوالــى ١٨راكبا فقط.

وبسرعة ركبنا هذه الطائرة التى انطلقت بنا فــى رحلــة مثيرة جدا فوق أوغنده وهى تطير على ارتفاع منخفــض نســبيا جعل من مشاهدة المناظر من تحتنا قبل أن يحل علينا الظلام متعـة كبيرة، وقضينا حوالى ساعتين فى هذه الرحلة فى مرح كبير .

وبعد المبيت فى الفندق الذى كنا قد نزلنا فيه فــى المــرة السابقة،وبعد سهرة لطيفة فى الفندق شاهدنا فيها بعــض الرقــص الفولكلورى الأوغندى صحونا مبكرا لزيــارة موقــع الشــلالات الرائع وكررنا نفس خطوات الرحلة التى قمنا بها عام ١٩٧٠ فــى الأرض الشاسعة للناشيونال بارك ثم أخذنا اللانش الســياحى فــى نيل فيكتوريا لمشاهدة قطعان أفراس النهر وأفواج التماســيح فــى النيل ... ولن أعيد وصف روعة هذه الرحلة فقد أســهبت فــى ذلك الوصف فى الحديث عن رحلتنا الأولى .

وعندما عدنا إلى الفندق كان علينا أن نحزم حقائبنا على عجل ونتجه مرة أخرى إلى طائرة الرئيس عيدى أمين الأنيقة الرابضة فى المطار لنستقلها وتعود بنا إلى مطار عنتيبى ...

وبعد استراحة قصيرة فى المطار تمت مراسم وداعنا بواسطة رجال سفارتنا الذين قاموا بواجبهم خير قيام، وكذلك مندوب من وزارة الصحة، ثم ركبنا الطائرة السودانية المتجهة إلى الخرطوم.

وقفة فى السودان قبل العودة

لم يكن منطقيا أن يكون خط سير الطيران فى العودة من رحلتنا الثانية مارا بسماء السودان دون أن نتوقف هناك لنلتقـــى بأحبائنا وأشقائنا الإخوة السودانيون الذين فتحوا لنا قلوبهم وبيوتهم فى زيارتنا الأولى وأكرموا وفادتنا غاية الكرم، وهكذا توجهنا من عنتيبى إلى الخرطوم محطتنا الأخيرة قبل العودة إلـــى الوطـــن، وتوقفت الطائرة بنا فى الطريق إلى الخرطوم فترة قصـــيرة فـــى مطار جوبا قرب الحدود السودانية الجنوبية ٠

ومرة أخرى استقبلنا بمظاهرة أخوية، وأسعدنى أن ألتقى بصديقى القديم الدكتور عبد الرحمن موســـى أســـتاذ الأمـــراض الباطنة مرة أخرى، وقد رأى الاخوة السودانيون أن يطلعونا فـــى هذه المرة بسبب قصر الزيارة ناحية لم نطلع عليها فى زيارتنـــا السابقة وهى إدارة المعامل المركزية التابعة لوزارة الصحة،وهى مؤسسة يبدو أنهم كانوا يعتزون جدا بتنظيمها وانجازاتها ٠ ولقـــد كانوا بالفعل على حق، فقد شهدنا مؤسسة تؤدى خدماتها لأقـــاليم السودان الشاسعة بصورة مركزية تساعدها فروع اقليميـــة فـــى المديريات المختلفة، ويتناول نشاطها ليس فقط الأعمال المعمليـــة التشخيصية وانما تباشر خدمات معملية فى مجال الطب الشرعى وترتبط أيضا ببعض المشروعات الكـــبرى كمشـــروع اســـتخدام

المبيدات فى مقاومة البلهارسيا وفى معايرة الأدوية وفحص الأغذية وتصنيع الأمصال واللقاحات،كما تؤدى خدماتها المعملية لمشروعات المسح الطبى للأمراض المتوطنة وقد أسعدنا جدا أن يكون فى السودان مثل هذه الخدمات المعملية على ذلك المستوى العظيم ٠

* * *

ثم كانت زيارتنا الثانية لكلية التمريض بالخرطوم وقد كانت السودان من أوائل الدول الافريقية التى اهتمت بتخريج ممرضات على مستوى جامعى مثلما حدث فى مصر، وقالت لنا مديرة الكلية أنهم يجدون مشكلة فى متابعة الدراسات العليا لخريجات الكلية ويضطرون لإجراء هذه الدراسات فى الدول الأجنبية، وكان هناك برنامج يجرى بحثه لاستكمال هذه الدراسات فى السودان ٠ وكان هذا الموضوع بطبيعة الحال مجال مناقشة مفيدة لدعم الصلة بين كليتى التمريض فى الخرطوم والاسكندرية لتحقيق التعاون المثمر فى هذا المجال ٠

وإلى جانب هاتين الزيارتين المميزتين واللتين لم تتوفرا لنا فى رحلتنا السابقة للسودان قمنا أيضا بإعادة زيارة كلية الطب وركزنا فى هذه المرة على الأقسام الأكاديمية إلى جانب الأقسام الاكلينيكية وقسم جديد للعلاج بالنظائر المشعة ٠ ولن أعيد على

القارىء الكريم تفاصيل كلمات الترحيب ومظاهر الضيافة التـــى تكررت بصورة مماثلة تماما لما حدث فى رحلتنا الأولـــى، فقـد أوفيت ذلك كله حقه فى وصف الزيارة الأولى عام ١٩٧٠ فضـلا عن أننا لم نمكث فى السودان هذه المرة إلا ثلاثة أيام فقط .

كانت الليلة الختامية فى برنامج رحلتنا فرصة أتيح لنـــا فيــها أن نختلى بأنفسنا، فى جلسة أخوية عقدناهـــا فـــى حالـــة اســترخاء بالتراس التاريخى بفندق جراندهوتيل لنستعيد فيها ما أنجزته هـذه الرحلة قبل أن تتفرق بنا السبل كل فى طريقه عندما نعــود إلـــى الاسكندرية فينصرف كل منا إلى شئونه الخاصة، وأخذنا ونحـــن نتسامر معا نقيم أعمالنا ونمارس نقد أنفسنا فيما إذا كنا قد قصّرنا فى أى ناحية فى أدائنا ....

وكان الاجماع بيننا على أننا راضون تماما عن انجازنـــا العلمى والسياسى، مدركون أن مهمتنا فى هذه الرحلة كانت أكـثر تنظيما وأدق تخطيطا عن الرحلة الأولى، وفى مداعبات لطيفـــة تذاكرنا أن قيادة الأستاذ جمال مسعود للفريق كانت مزيجـــا مـــن الصرامة والجدية فى إطار جميل من المحبـــة والصداقـــة التـــى أشاعها بين الجميع، وتذاكر الزملاء أنهم كانوا دائما يطلقون علىّ صفة "الشاويش" وأننى قد قمت بهذا الدور أيضا فى هذه الرحلـــة بصورة استحقت ثناءهم، وتبادلنا معا مشاعر المودة التـــى تنشـــأ

عادة بين رفقاء السفر أو رفقاء المهمات الصعبة وأجمعنا على أنه من الواجب أن يعدّ كل منا تقريرا خاصا من وجهة نظره ونشاطه يساعدنا على وضع تقرير عام عن مشـــاهداتنا يكــون مرجعــا للمستقبل ودليلا للجامعة لإنشاء علاقات ثقافية وعلمية مســـتمرة ومتواصلة مع الجامعات والدول الافريقية بل ومختلف الجامعــات فى العالم، وأن يكون دليلا يحفز أيضا طوائف جامعية أخرى فــى غير مجال الطب كى تحذو حذونا فى المستقبل ٠

ولقد وفقنى الله لإنجاز هذه المهمة فقمت باعداد مجلد عـــن هذه الرحلة ضمنته خط سير رحلتنـــا وانجازاتنـــا العلميـــة مــن محاضرات وندوات وعمليات جراحية واتصالاتنا بسفارات بلادنا فى الدول المختلفة ولقاءاتنا الاجتماعية وصـــورا ممـــا نشـــرته الصحف فى كل دولة عن أعمال بعثتنا، ومقتطفات من اســـتقبال وسائل الإعلام وتعليقاتها بعد عودتنا، وأرسلت نسخا مـــن ذلـــك التقرير إلى ادارة الكلية والجامعـــة ووزارتـــى التعليـــم العـــالى والخارجية ٠

وعندما حطت بنا الطائرة المصرية فى مطار القاهرة فى الصباح الباكر من يوم ٤ديسمبر١٩٧٤ كان علينـــا أن نحمـــد الله سبحانه وتعالى على سلامتنا وعلى ماوفقنا إليه من خدمة وطننـــا بقدر ما استطعناه ٠



أ.د. جمال مسعود رئيس البعثة الثانية

مع عميد كلية الطب فى السنغال (١٩٧٤)



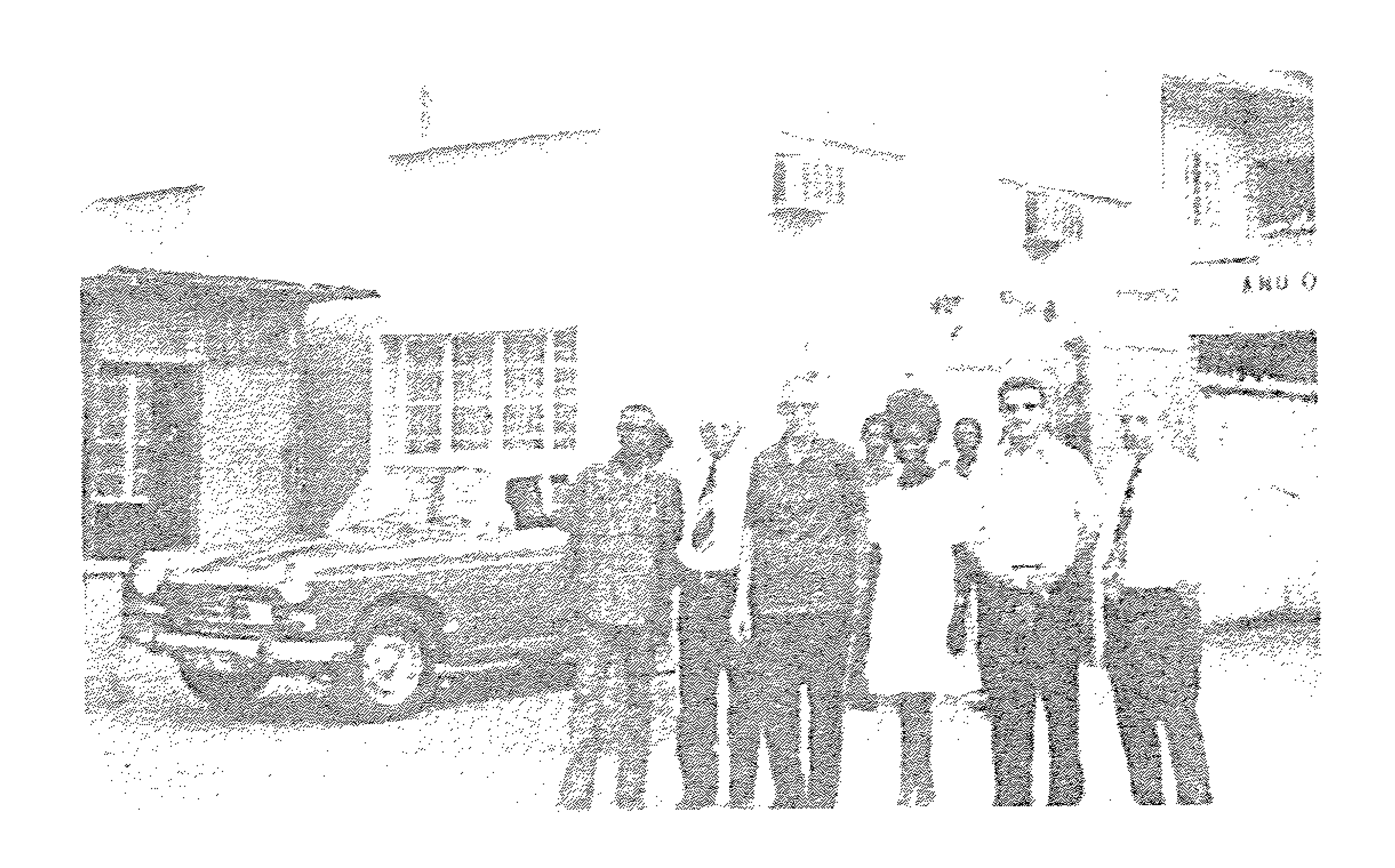
فريق البعثة الثانية فى السنغال (١٩٧٤)



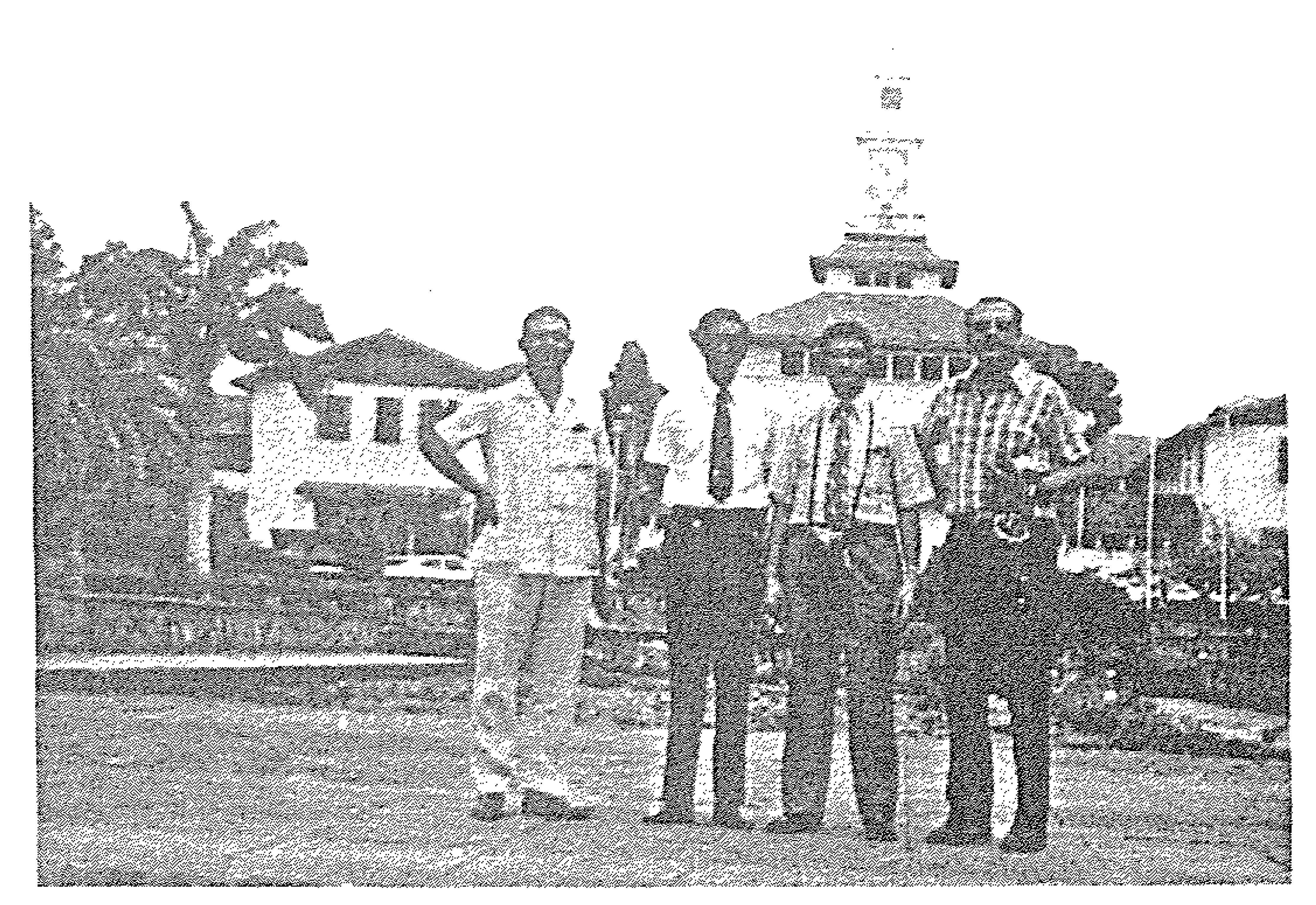
أ. أحمد جعفر والمؤلف فى مستشفى الولادة بالسنغال (١٩٧٤)



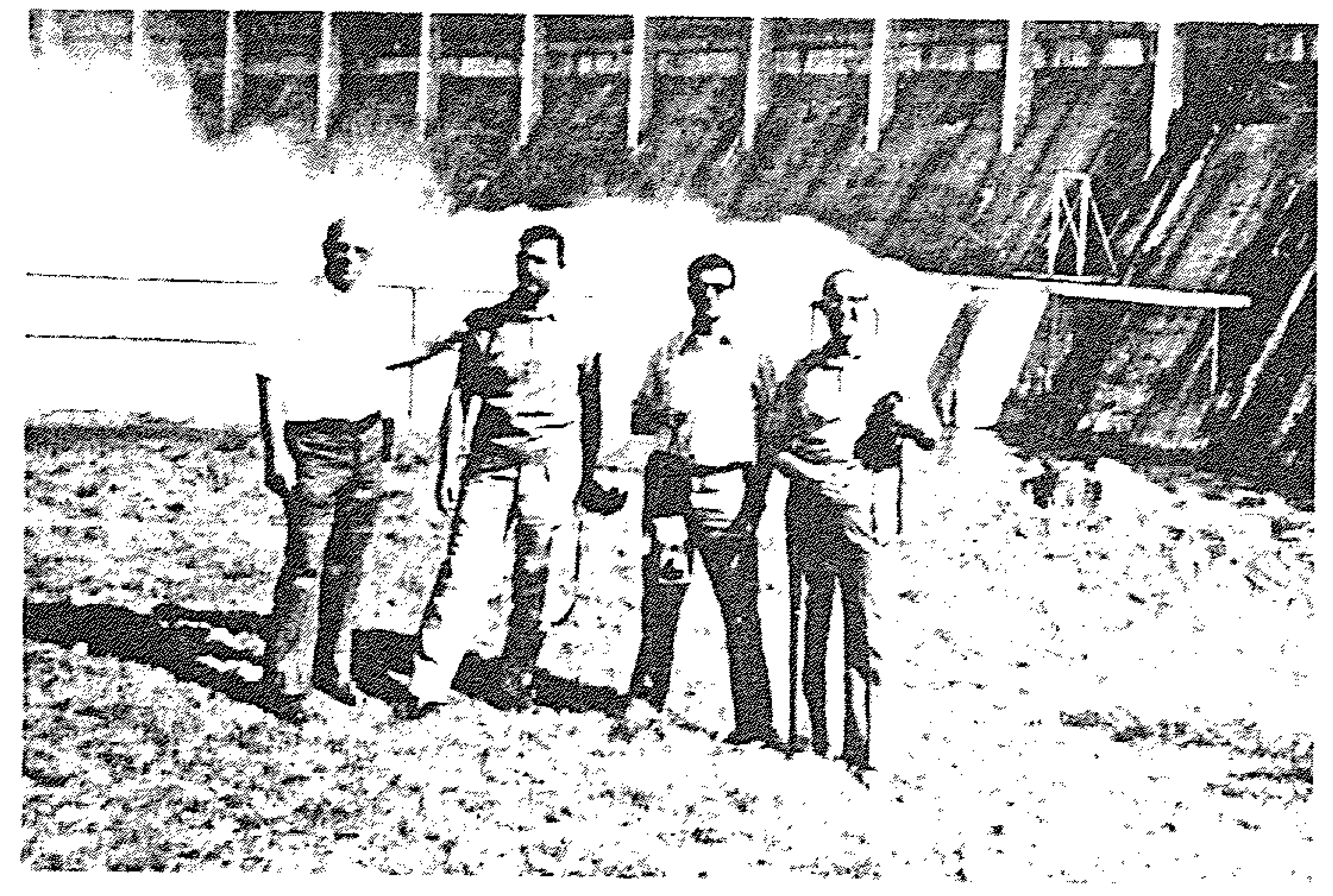
مع مرافق الوفد فى السنغال (١٩٧٤)



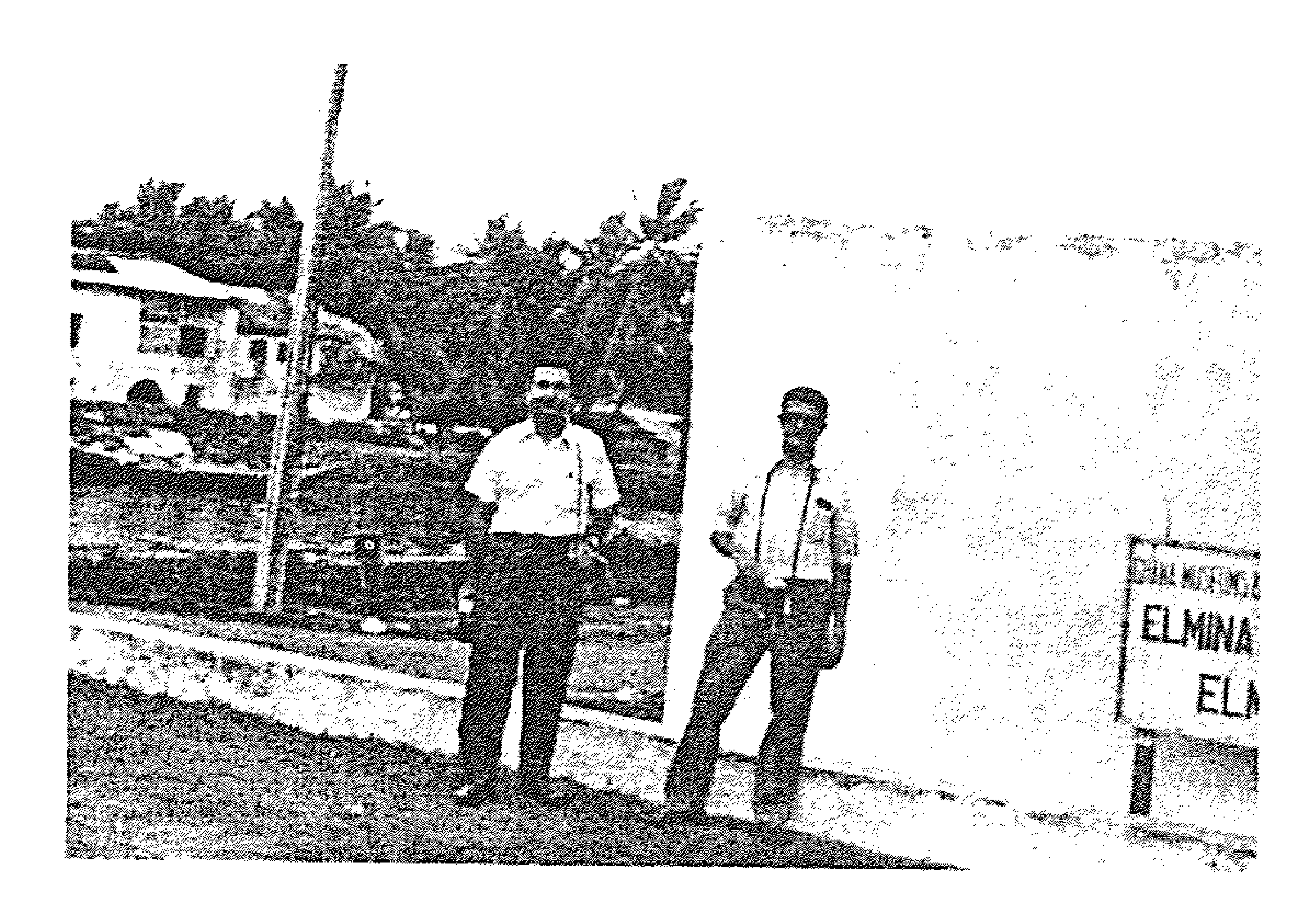
فى مستشفى أكرا (غانا ١٩٧٤)



فى جامعة أكرا (غانا ١٩٧٤)



أمام سد أكاسومبو (غانا ١٩٧٤)



عند حصن مدينة المينا (غانا ١٩٧٤)



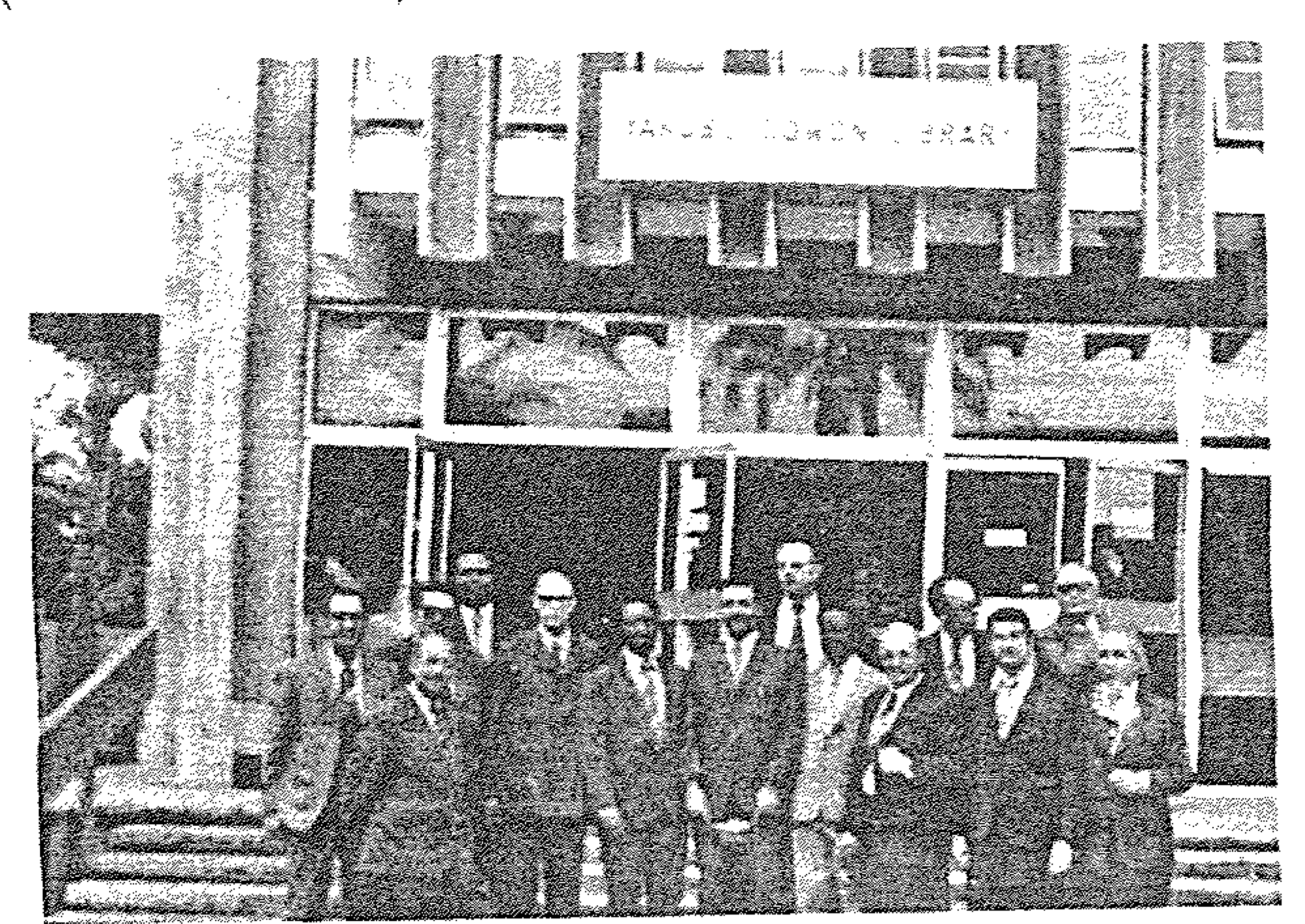
في المستشفى الجامعي لاجوس (نيجيريا ١٩٧٤)



في زيارة جامعة لاجوس (نيجيريا ١٩٧٤)

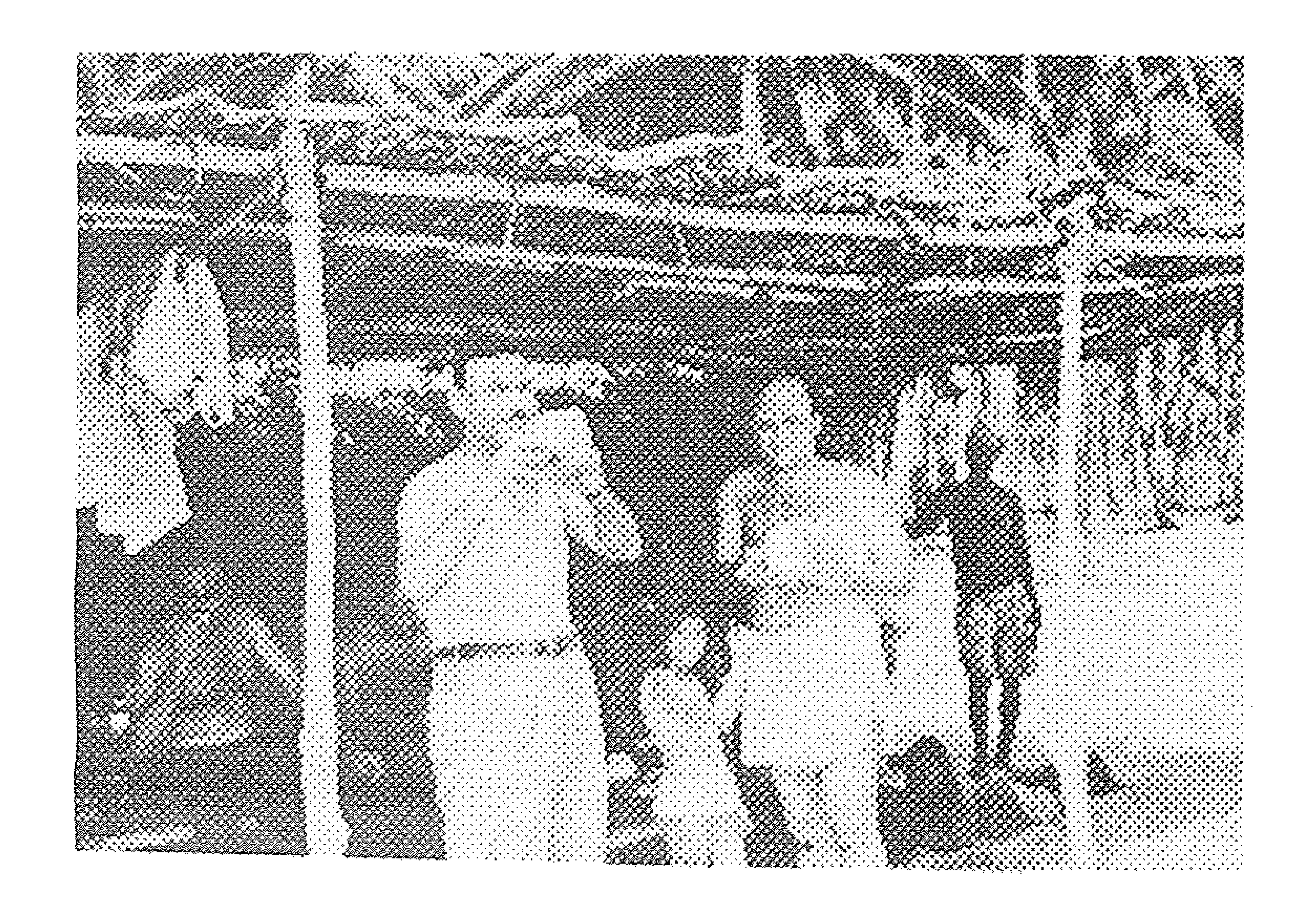


تقديم العلم التذكارى فى جامعة ايفى (نيجيريا ١٩٧٤)

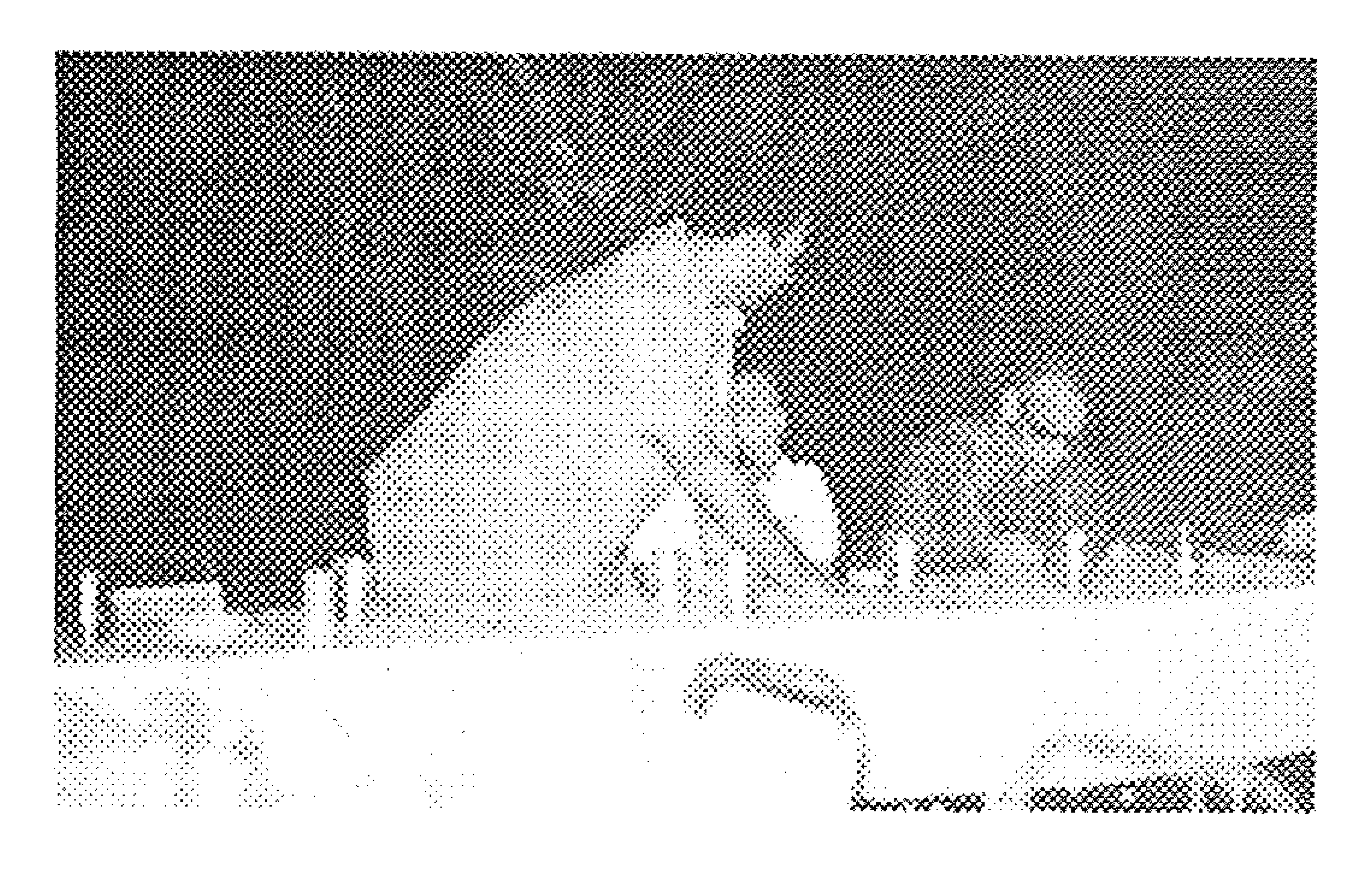


فى جامعة لاجوس (نيجيريا ١٩٧٤)

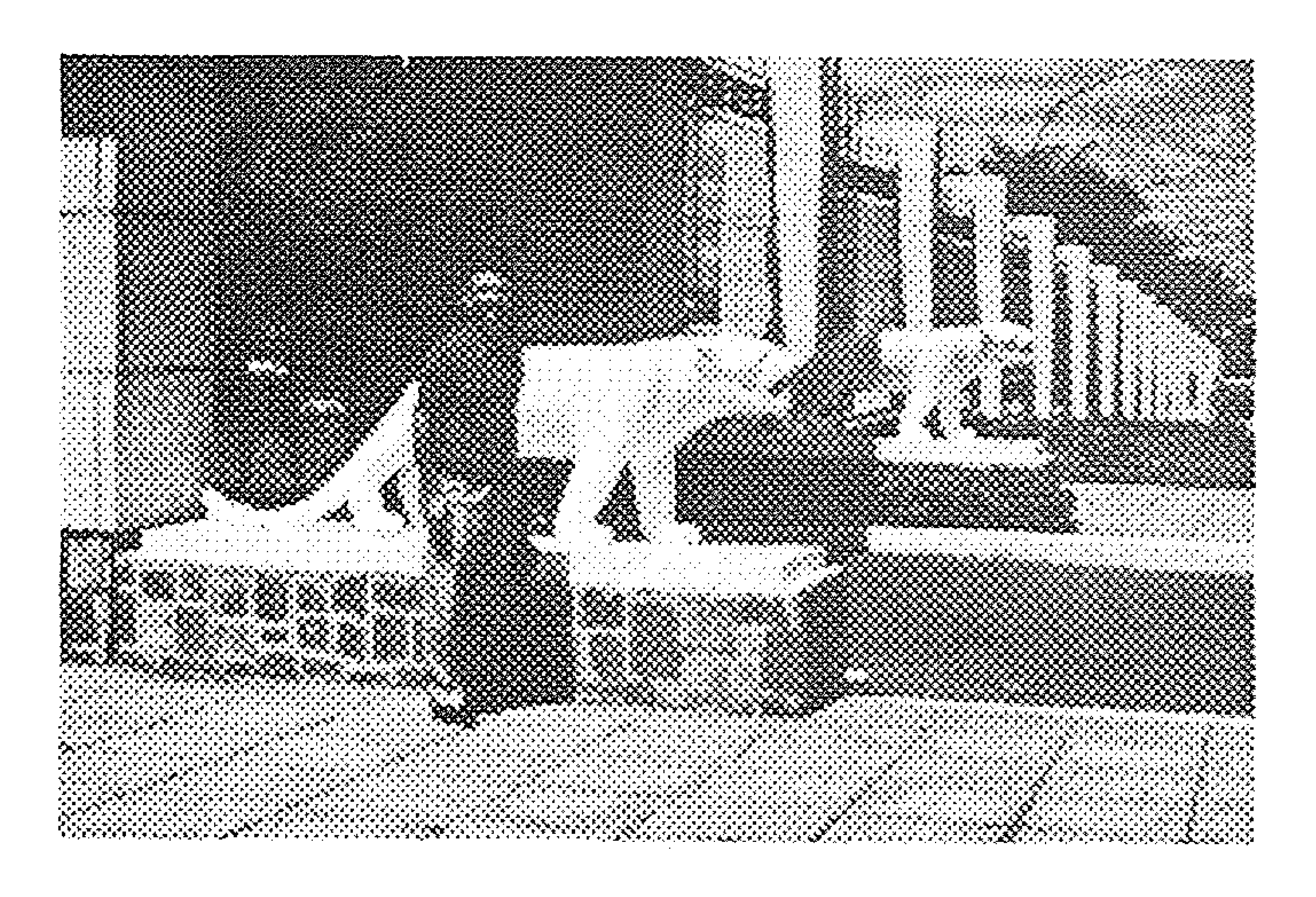




الرحلة الى بداجرى (نيجيريا ١٩٧٤)



توقيع بروتوكول اتفاق مع جامعة كانشاسا (١٩٧٤)



أمام قصر موبوتو فى كنشاسا (١٩٧٤)



مغامرة زونجو فى زائير (١٩٧٤)



تعطل السيارة فى زونجو (١٩٧٤)



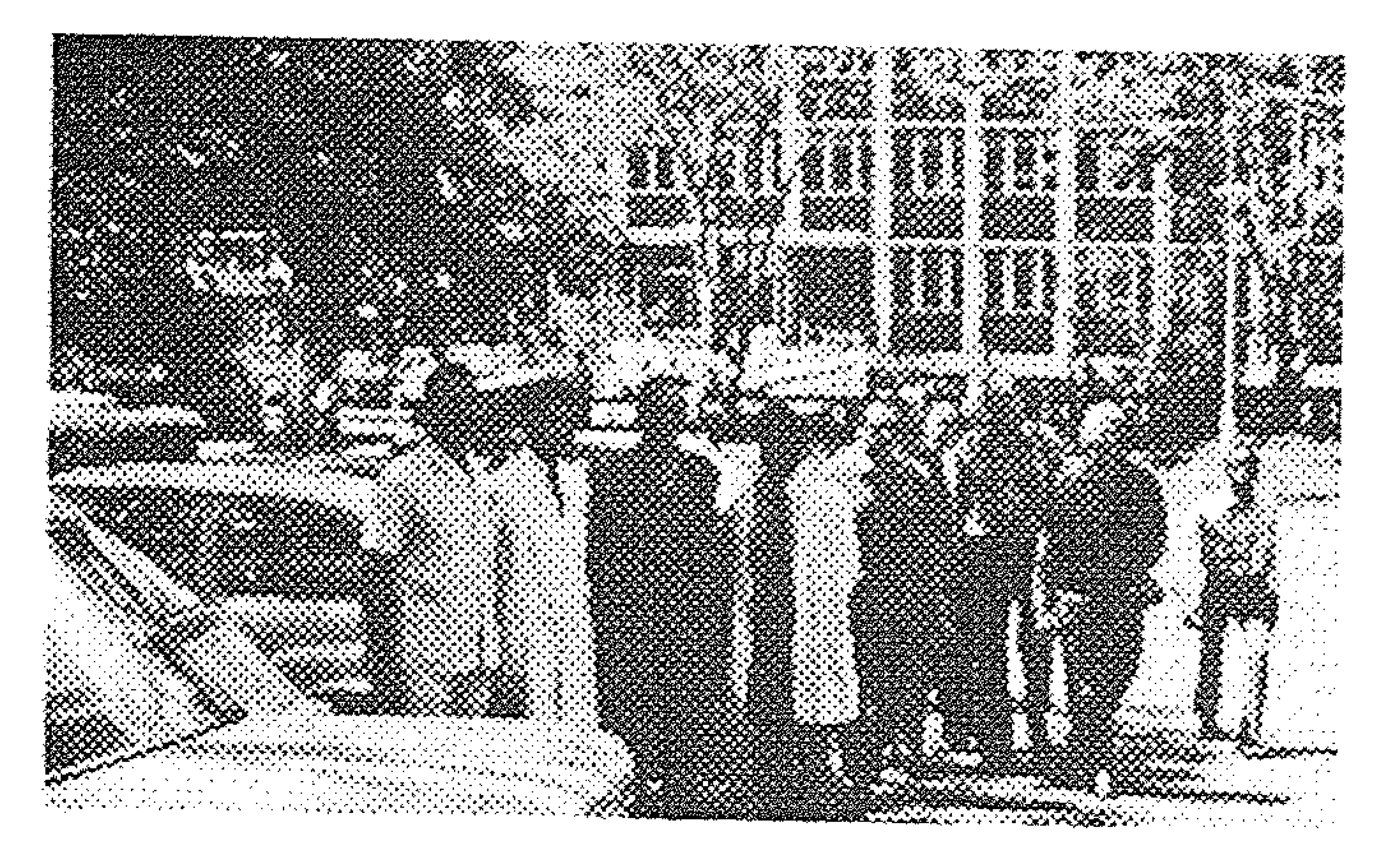
فى انتظار الانقاذ ـ زونجو (١٩٧٤)



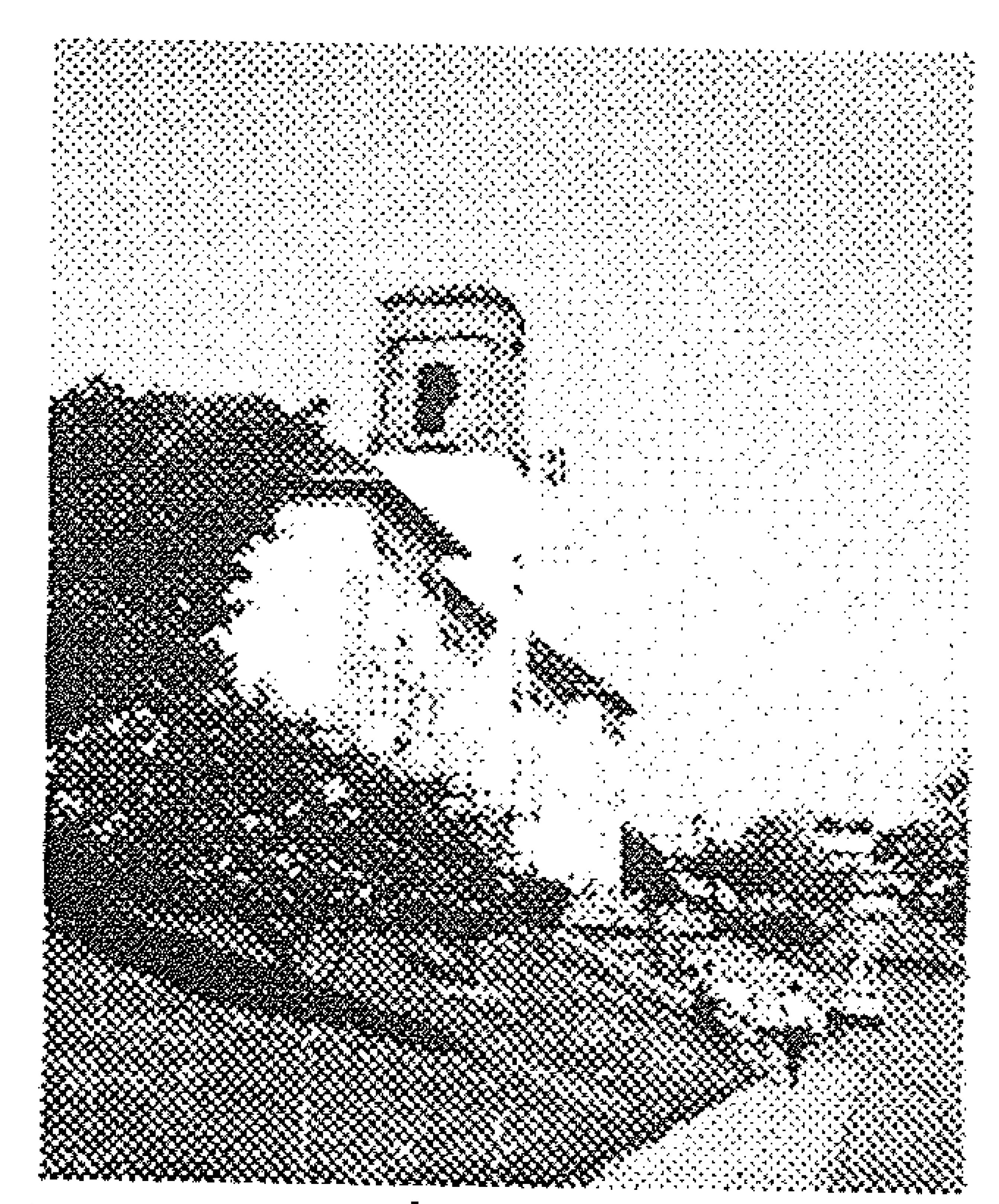
محاولات فاشلة لاخرج السيارة من الأوحال.زونجو زائير (١٩٧٤)



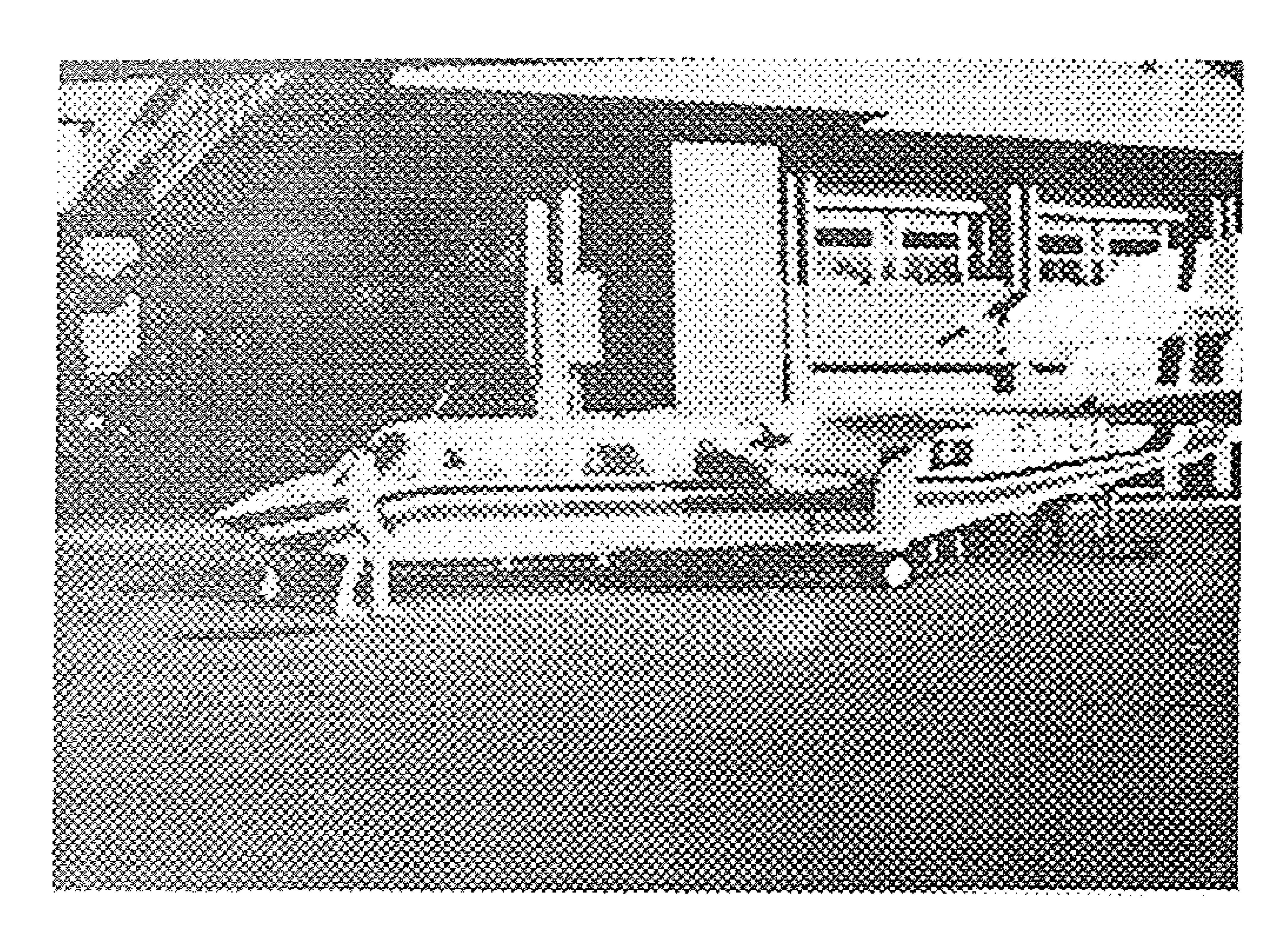
لقاء مع بطل الملاكمة العالمى محمد على كلاى فى كنشاسا (١٩٧٤)



فى المستشفى الجامعى بكمبالا أوغنده (١٩٧٤)



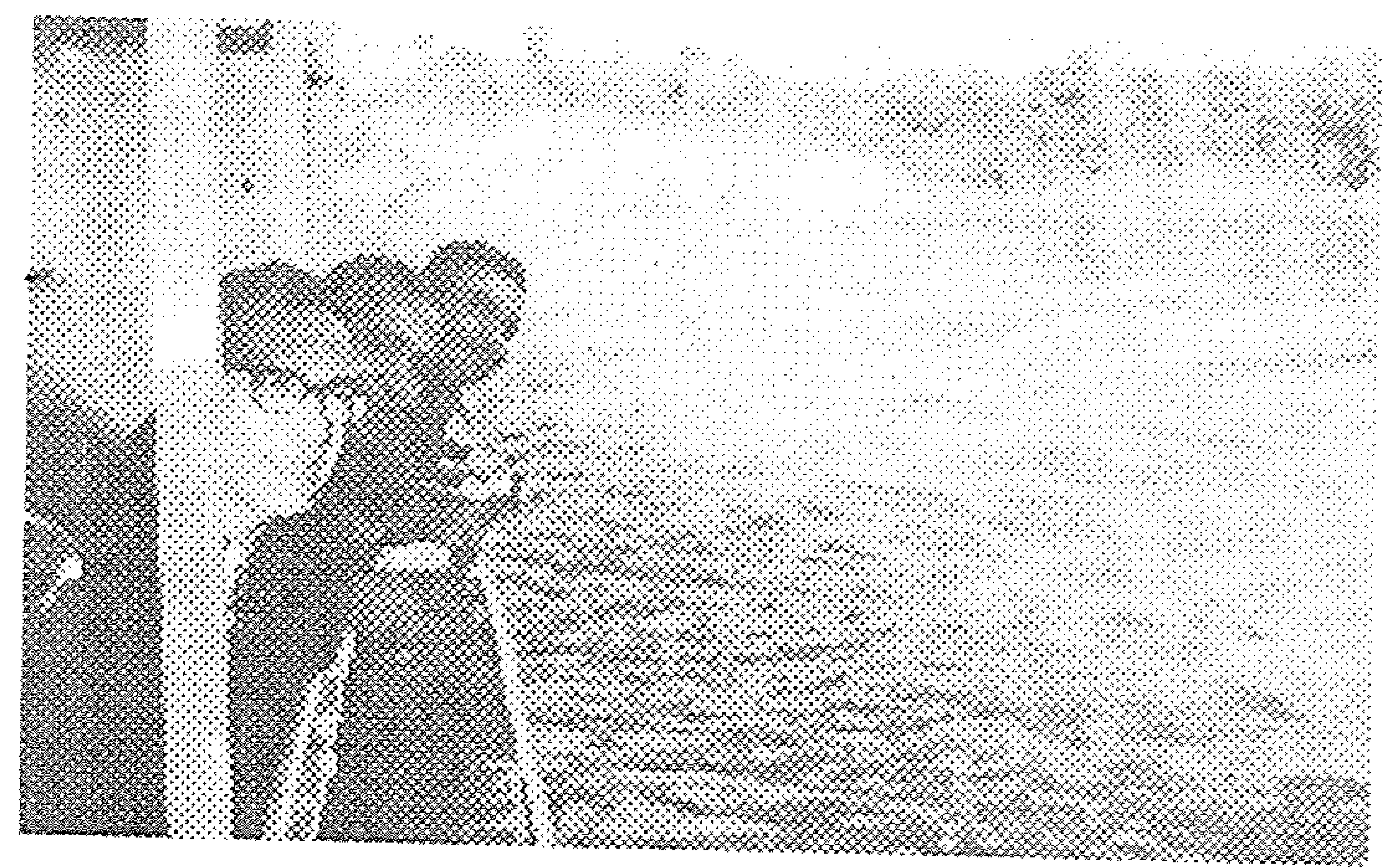
جامعة ماكريرى الشهيرة بأوغنده (١٩٧٤)



الطائرة الخاصة بالرئيس عبيدى أمين التى أمر بتخصيصها لنا لزيارة المنطقة السياحية (١٩٧٤)



أ.د. جمال مسعود يلقى كلمة أمام الرئيس عيدى أمين فى كمبالا (١٩٧٤)



فى اللانش السياحى بمنطقة سفارى لودج (أوغنده ١٩٧٤)



جلسة استرخاء بفندق جراند هوتيل بالخرطوم فى نهاية الرحلة الثانية (١٩٧٤)

بين ١٩٧٤-١٩٨٣

مرت السنوات التسع من ١٩٧٤إلى ١٩٨٣ حافلة بأحداث هامة أحاطت بأشخاصنا وبظروفنا فى كلية طب الاسكندرية وبوطننا بوجه عام، وأحداث أخرى على مستوى العالم الشامل من حولنا وعلى مستوى افريقيا بوجه خاص - ففى كلية الطب انتقلت عمادة الكلية إلى الأستاذ الدكتور على رضا الهنيدى ثم منه إلى الأستاذ الدكتور رفيق زاهر وهو أحد المشاركين فى المرحلتين السابقتين ٠

وفى مصر كانت أهم الأحداث هى الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس السادات إلى اسرائيل عام ٧٧ ثم بدء صناعة السلام ثم مصرع الرجل الذى قاد الحرب والسلام ثم تولى الرئيس حسنى مبارك قيادة البلاد فى عام ١٩٨١ ٠

وعلى مستوى العالم من ناحية أخرى كانت أهم الأحداث استقالة نكسون من رئاسة الولايات المتحدة بعد فضيحة ووترجيت وتوالى الرؤساء فورد ثم ريجان، وفى انجلترا بدأ عصر زعامة مرجريت تاتشر، وسيطرت على الأخبار أعمال الارهاب الدولى، وغزو السوفييت ثم حرب المجاهدين فى افغانستان، وقيام الثورة الاسلامية فى إيران ٠

أما فى إفريقيا فقد شــهدت هــذه الفــترة انتــهاء حكــم هيلاسلاسى فى اثيوبيا ووفاته فى العام التالى، واحتدام الصـــراع فى جنوب إفريقيا لمقاومة التفرقة العنصريــــة، وقيــام الحــرب الأهلية فى انجولا وغزو زائير، وبــدء الصــراع فــى إريتريــا للاستقلال عن إثيوبيا، ووفاة جوموكينياتا زعيــم كينيــا وانتشــار الأخبار المثيرة عن رئيس جمهورية إفريقيا الوسطى بوكاسا الــذى عين نفسه امبراطورا وأنفق ٢٥ مليون دولار فى حفلة التتويـــج، ثم عزل الرئيس عيدى أمين ٠٠ كــل هــذه الأحــداث السياســية الجسيمة كنت أتابعها من موقع الاهتمام بشئون القـــارة الافريقيــة ومايحدث فيها نتيجة للارتباط العاطفى الـــذى أوجدتــه متابعتنــا للعلاقات المصرية الافريقية وقد أصبحنا نشعر بأننا جـــزء مــن مكوناتها ولها فى أنفسنا مكانة خاصة٠

عندما خلوت ذات صباح إلى عميد الكلية الأستاذ رفيـــق زاهر فى مكتبه بالكلية تلاقت أفكارنا بسرعة علـــى أنـــه قــد آن الأوان لتخطيط رحلة ثالثة، نغطى فيها مزيدا من الدول الافريقيـــة لتحقيق نفس الأهداف التى نجحت فـــى تحقيقــها الرحلتـــان فـــى ١٩٧٠، ١٩٧٤، وأن الظروف قد تكون مهيأة الآن للشروع فـــى ذلك، وقمت بالفعل بتخطيط رحلة تســـتهدف دول وســـط افريقيــا الاستوائية بعد أن نزور للمرة الثانية أجزاء فى نيجريا لم نزرهـــا

فى المرة السابقة وتصورت خطًا للرحلة يمر بإفريقيا الوسطى والكاميرون والجابون والكونجو برازافيل، ثم بدأنا نتحسس احتمالات الموافقة من الجامعة ووزارة التعليم العالى ووزارة الخارجية على هذه الخطة .

ولم تكن هناك أدنى صعوبة فى الحصول على موافقة الجامعة ووزارة التعليم العالى، بل إن الوزارة قررت على الفور تمويل الرحلة مباشرة بمبلغ ١٠٠٠٠ عشرة آلاف جنيه وتكليف الجامعة باستكمال التمويل الباقى اللازم لمصاريف الطيران والإقامة مع منح بدل سفر لأعضاء الوفد الذين رشحوا لهذه المهمة،وكان ذلك بالطبع تقديرا كبيرا من جانب الجامعة والوزارة لمهمتنا له قيمته الأدبية الكبرى بالاضافة إلى إعفائنا تماما من الأعباء المادية .

وعندما تم الاتصال مع وزارة الخارجية وجدنا أيضا هناك ترحيبا كبيرا جدا باستئناف الرحلات إلى افريقيا، واستعدادا بلاحدود لوضع إمكانيات الوزارة فى خدمة الهدف السامى الذى نسعى إليه – غير أننى فوجئت باستدعائى إلى وزارة الخارجية حيث طلب المسئولون هناك المشاركة معنا فى تحديد خط سير الرحلة وأوصونا بصرف النظر عن زيارة جمهورية إفريقيا الوسطى وإضافة دول جديدة بدل من ذلك وهى الكونجو برازافيل

وزائير وبوروندى ورواندا وكينيا إلى خطتنا، وقد أدركت من مناقشاتى مع المسئولين أن مصر مهتمة بدعم علاقاتها الودية مع دول حوض النيل وأن البعثات الطبية المصرية التى تحمل الصداقة والمحبة للشعوب هى عنصر فعال فى تنمية العلاقات الودية مع دول تربطنا بها مصالح حيوية مشتركة ....

وقد انفعلت بهذا التوجيه انفعالا شديدا وجميلا فى الوقت نفسه، فما أروع أن نقوم بالمهمة التى آمنا بفائدتها لبلادنا ليس فقط بمباركة من وزارة الخارجية بل بتكليف منها كى نقوم بمهمة سفراء لبلادنا فى الدول الافريقية الصديقة، ولأول مرة سمعت بأذنى من يقول لى من رجال الوزارة "أنتم سفراء لنا فى إفريقيا" ... واستصدرت الوزارة لنا على الفور ولأول مرة جوزات سفر خاصة، وقامت بعد ذلك أجهزة الوزارة بمهمة الحصول لنا على تأشيرات الدخول للدول . ومنذ ذلك التاريخ وأنا أحمل ولمدة سبعة عشر عاما متواصلة جوازا خاصا صادرا من وزارة الخارجية يُجدَّد باستمرار واستخدمه كما يستخدمه غيرى من أساتذة الجامعات ولكننى أعتز بحمله دائما لأنه يذكرنى بالمرة الأولى التى منح لى فيها هذا الجواز . وربما أسمح لنفسى فى هذه المرحلة من حديثى عن رحلاتنا أن أذكر أن أحد رؤساء الجامعة فى فترة تالية رفض الموافقة على طلب تجديد هذا

الجواز الخاص الذى يستخدمه الأساتذة فى السفر فـــى المـــهمات الرسمية ولحضور المؤتمرات والاجتماعات الدولية بحجة أن أحـد المؤتمرات التى كنت أنوى السفر إليها لم يكـــن مهمـــة رســمية، وحرصا منى على الاحتفاظ بهذا الجواز الخاص بسبب ارتباطـــه العاطفى بالمهمة التى أطلق علينا فيها من أناس لهم وزنـــهم أننـــا سفراء لبلادنا، فقد توجهت إلى إدارة المراسم بوزارة الخارجيـــة، ولم يستغرق الوقت أكثر من دقائق مع مدير المراسم ليقـــول لـــى بالحرف الواحد "ولمن نعطى هذا الجواز إذا لم نعطه لـــك ..." وربما تكون هذه الجملة فى الواقع قد حفظت فى أعماق وجدانـــى لتكون أروع عندى من أى شهادة تقدير أو ميداليـــة تكريـم ممـــا حصلت عليه فى أى وقت من الأوقات ....

وأعود بالحديث إلى مقابلتى للمسئولين بوزارة الخارجيـــة عندما طلبوا منى أن يكون خط سير البعثة الثالثة شـــاملا لـــدول حوض النيل، فقد دهشت عندما سمعت عن بوروندى ورواندا ولـم أكن على علم كبير بهذه الدول، وعندما تطلعـــت إلـــى خريطـــة افريقيا مرة أخرى لأدقق فيها وجدت أنهما دولتان صغيرتان جـــدا على تلك الخريطة، ولم يكن ليخطر على بالنا على الإطــــلاق أن نزورهما لولا أن طلبت ذلك وزارة الخارجية، وقد أسعدنا بـــالطبع أن نوافق على ذلك على الفور.

وتم تشكيل الفريق المكلف بالرحلة من ثمانية أساتذة وروعى أن يمثل التخصصات المطلوبة من جانبيها الاكلينيكى والأكاديمى مع مراعاة أن يتوفر من بيننا المتمكنون تماما من اللغة الفرنسية، وعندما اضطر اثنان من الأساتذة للاعتذار عن السفر لم نجد حرجا فى استبدالها بأستاذين مساعدين،وسمح لأعضاء الوفد باصطحاب زوجاتهم لمن يرغب على نفقته الخاصة دعما للدور الاجتماعى لمهمتنا وبعد أن تبين لنا من رحلاتنا السابقة إمكانية ذلك .

كما انضمت إلينا زوجتى بصفتها وكيلا لوزارة الصحة وهكذا تكون الفريق من :

أ.د رفيق زاهر	عميد الكلية رئيسا
أ.د مرسى عرب	أستاذ الأمراض الباطنة مقررا
أ.د عمر شافعى	أستاذ الجراحة
أ.د عبد الحميد الشواربى	أستاذ جراحة المخ والأعصاب
أ.د ماجدة ميشيل	أستاذة الطفيليات
أ.م.د /أحمد رجب	أستاذ مساعد التخدير
أ.م.د/اسماعيل حلمى	أستاذ مساعد الجراحة
د.نوال عيسى قاسم	وكيل وزارة الصحة

وتقرر أن يكون خط السير النهائي : من القاهرة إلى كـانو ثم لاجوس (نيجريا) ياووندى (الكاميرون) - ليبرڤيل (الجـابون) - برازافيل (الكونجو) - كنيشاسا (زائير) - بوچامبورا (بورونـدى) - كيجالى (رواندا) - نيروبى (كينيا) ، على أن تبدأ الرحلة مـن القاهرة فى ١٦ يناير ١٩٨٣ ،



الرحلة الثالثة ١٩٨٣

(نيجيريا ـ الكاميرون ـ الجابون ـ الكونجو ـ زائير ـ بوروندى ـ رواندا ـ كينيا)

العودة إلى نيجيريا

بدأت رحلتنا الثالثة بالسفر مـن القـاهرة إلـى نيجيريـا واستمرت إقامتنا بها ثمانية أيام بدءا من وصولنا إلى مدينة كـانو فى شمال البلاد بطائرة مصر للطيران، ولذلك لم نكن بحاجة إلـى الوصول لافريقيا عن طريق أوروبا كمـا حدث فى الرحلة الثانيـة • ولن أطيل على القارىء فى سرد قصة الرحلة الثالثة بـالحديث كثيرا عن مراسم استقبالنا بالمطارات أو خطـب الـترحيب مـن جانب مضيفينا والكلمات التى كنا نرد بها علـى هـذا الـترحيب شارحين أهداف رحلتنا ونياتنا الطيبة فى مـد جسـور الصداقـة والتعاون بيننا وبين الدول الإفريقية الصديقة فهذه فى أغلبها كـانت صورة تكاد أن تكون مكررة لما تم فى الزيارتين الأولى والثانيـة، وسأحاول فقط إبراز المواقف المميزة فى كل دولة •

وزيارتنا لنيجيريا هذه المرة كان المقصود بـها تغطيـة الجزء الشمالى من البلاد وهو يختلف اختلافا كبيرا عما شـاهدناه فى الجنوب من قبل، فنيجيريا دولة شاسعة وهى أكبر دول افريقيـا من حيث عدد السكان (٨٥ مليون فى عام ١٩٨٠ وربما يزيـدون عن ١٠٠ مليون حاليا) وهؤلاء السـكان هـم عنـاصر متعـددة الأعراق والثقافات إذ يوجد بها أكثر من ٢٠٠ مجموعـة عرقيـة لكل منها عاداتها وتقاليدها ولغتها، وأكبر المجموعات العرقية هـى

قبائل الهاوسا (١٥ مليـــون) والفولانـــى (٨مليـــون) واليوروبـــا (١٥مليون) والأيبو(١٣مليون)،والجزء الشمالى تسكنه فى الأغلـب الهاوسا والفولانى، والناس هناك فى مناطق الشمال يبدون أكـــثر طولا عن سكان حزام الغابات فى الجنوب، وقـــد أدى الاخـــتراق العربى الوافد إلى الشمال من ناحية تشاد إلى تشكيلة عرقية تجمـع بين عنصرى العرب والزنوج ٠

وفى الولايات الشمالية يكوّن المسلمون حوالى ٧٢% مـن السكان، وحتى أوائل القرن العشرين كان سكان نيجيريـــا عمومـــا من الوثنيين غير أنه فى عام ١٩٦٣ كان المسلمون من السكان قـد أصبحوا ٤٧% بجانب المسيحيين ٣٥% ولو أن نسبة كبيرة مـــن معتنقى الاسلام والمسيحية كانوا مايزالون يمارسون الكثـــير مـــن العادات الوثنية ٠

والحرية الدينية فى نيجيريـــا مكفولـــة بحكـــم الدســـتور والمسلمون والمسيحيون متعاونون تماما، وقد تزايد عدد المســـلمين فى العاصمة القديمة لاجوس وبعـــض الولايـــات الأخـــرى، أمـــا المسيحيون فقد تزايدت نسبتهم بالذات فى الولايات الشرقية، وهـــم من كافة الطوائف كالكاثوليك والانجليكان وغيرهم ٠

ومع التعدد الكبير فى اللغات تسود فى الشمال لغة الهاوسا التى تتكلمها قبائل الهاوسا والفولانى التى تنتشر هنـــاك وتعتنـق

الاسلام، وهى ذات جذور متصلة منذ القدم بمنطقة الشرق الأوسط.

مع هذا التعدد الكبير فى اللغات الافريقية المحلية صارت اللغة الانجليزية بالضرورة هى اللغة الرسمية السائدة واستمرت كذلك بعد توحيد المحميتين البريطانيتين فى شمال وجنوب نيجريا فى دولة واحدة عام ١٩١٤ ثم حصول نيجريا الموحدة على الاستقلال فى ١٩٦٠ كدولة فيدرالية تنتمى لمجموعة الكومنولث البريطانى .

ومدينة كانو المدينة الشمالية التى بدأنا بها رحلتنا يقطنها حوالى ٤٠٠ ألف من السكان وقد انتقلنا منها إلى زيارة مدن زاريا وكادونا .

وكان لطيفا أن يؤكد لنا الكثيرون ممن تعاملنا معهم فى زيارة شمال نيجريا التى استمرت ٤ أيام أنهم مسلمون، فقد كان سائق الميكروباس الذى رافقنا طوال هذه الأيام الأربعة يصمم على إسماعنا قراءة مايحفظه من سور القرآن الكريم، وعندما أصغينا له وهو يقرأ "سبح اسم ربك الأعلى، الذى خلق فسوّى والذى أخرج المرعى فجعله غثاءا أحوى. "

أخذنا نداعبه بتعليمه عبثا نطق حروف العين والحاء بصورة صحيحة ثم أشفقنا بعد ذلك من أن نسأله عن معنى

مايقرؤه وبخاصة كلمات مثل "غثاءً أحوى" فقد كنت أشك فـــى أن كثيرا من المسلمين الذين يرددون هذه الآيات الكريمة حتـــى هنــا فى مصر بلد الاسلام الزاهــر يحرصــون علـــى تفــهم معناهــا بدقة...

كانت رحلتنا طويلة حتى وصلنا إلى مدينة زاريا حيـــث توجد الجامعة "جامعة أحمدو بللو"، وقد استضافونا هناك فـــى دار الضيافة الجامعية التى وصلنا إليها فى ساعة متأخرة من الليـــل . وكان علينا فى صباح اليوم التالى زيارة الجامعة وتبادل اللقـــاءات مع عميد كلية الطب ورئيس الجامعة ثم زيارة الأقسام الاكلينيكيـــة بالمستشفى الجامعى وكان المستشفى يضم مبانى حديثـــة وعلـــى مستوى ممتاز من النظام والتجهيزات، ثم عقدنا ندوة مشتركة مـــع أساتذة الكلية حول نظم التعليم الطبى فى كل من مصر ونيجيريــا والدراسات العليا بهما .

وكان علينا فى اليوم الذى يليه أن نتوجـــه إلـــى زيـــارة المستشفى الجامعى والمركز القومى لأمراض العيـــون التـــابعيين لجامعة أحمدو بللو فى مدينة كادونا على بعد حوالى خمسين ميلا جنوب زاريا وقضينا هناك يوما حافلا بالنشاط ثم أمضينا ليلتنـــا فى فندق "هما دال" فى مدينة كادونا.

وكان واضحا فرحة النيجيريين الشماليين بزيارة وفد مصرى على هذا المستوى لجامعتها وقد حرص رئيس الجامعة عند لقائه بنا أن يقدم لنا جميعا ميداليات شرفية باسم جامعة أحمدو بللو، وأحتفظ بهذه الميدالية وسط مجموعة أخرى حصلت عليها من الجامعات المختلفة ولها مكانة خاصة لأنها تحمل أيضا ذكرى هذه المهمة الناجحة .

ولايفوتنى أن أذكر أن القنصلية المصرية فى الشمال كانت تتابع خطوات رحلتنا منذ وصولنا إلى أرض المطار حتى مغادرتنا شمال نيجيريا بالطائرة فى طريقنا إلى لاجوس بعد تلك الأيام الأربعة الحافلة بالانجاز والتى لم ينقصها مع ذلك الكثير من الإثارة والمرح .

ومن المواقف الطريفة التى لانزال نتذكرها أننا ليلة إقامتنا فى كادونا تلقينا هدية هى كمية ضخمة من القصب الذى لم يسبق لنا أن رأينا مثله فى سمك الحجم أو حلاوة الطعم وعندما تطوع زميلنا الدكتور أحمد رجب للحصول على ستة سكاكين لتقطيع عقلات القصب انتهت محاولاته المتكررة لشرح مايطلبه للعاملين بالفندق إلى إحضار ستة كئوس ضخمة بها شراب غريب بدلا من السكاكين ... ثم كانت مهمة التخلص من مصاصة

القصب وقشره بطريقة متحضرة بعد ذلك مهمة شاقة انتهت أخيرا بسلام فى جو من الضحك المتواصل شاركتنا فيه زوجاتنا ٠

وكما هو حال الدنيا دائما لم يكن اليوم التالى إلا على النقيض تماما فقد تأخرت الطائرة الافريقية التى كنا سوف نستقلها إلى لاجوس – محطتنا التالية – بضع ساعات، وكان الجو سيئا للغاية، وعند وصولنا إلى مطار لاجوس علمنا أن السفير المصرى عندما تبين له أن الطائرة سوف يتأخر وصولها غادر المطار ولم يبق هناك إلا بعض موظفى السفارة،ولكننا استقبلنا مع ذلك استقبالا حارا جدا من طائفة من الأطباء المصريين لازموا المطار حتى موعد وصول الطائرة المتأخرة وكان على رأسهم الدكتور بهجت القصاص خريج الاسكندرية وقد كان شخصية رياضية مشهورة وهو طالب فى كلية طب الاسكندرية، وأمضى حياته بعد ذلك مقيما فى نيجيريا يمارس مهنة الطب بنجاح كبير فى لاجوس ويحظى بشعبية واسعة واتصالات عميقة هناك ٠ وكان استقباله لنا فى المطار بهذه الحفاوة الرائعة والتنظيم الدقيق سببا دفعنا لقبول دعوته الملحة التى كان مصرا عليها إلى التوجه من المطار لمنزله مباشرة قبل التوجه إلى محل اقامتنا للترحيب بنا وتناول الشاى، ولم نجد حرجا فى ذلك ٠ وكان السيد السفير ٠٠٠٠٠ النواوى فى الوقت نفسه قد أعد لاستقبالنا حفل عشاء

بأحد الفنادق فوصلنا إلى مكان العشاء متـــأخريين عـــن الموعــد المقرر، وكنا نقدر أن السفير سوف يتفهم الظروف التـــى نشـــأت أصلا من تأخر وصول الطائرة وماترتب عليه من عـــدم وجـــود تعليمات دقيقة من السفارة لنا وما أحاط بذلك من ظـــروف كـــان سيادته بلاشك طرفا فيها، ولكننا وجدناه بدلا من تقديم الإعتذار لنـــا يقابلنا بوجه متجهم، وبصورة تتسم بالتعالى الذى يختلف تماما عن كل ماتعودناه فى لقاءاتنا العديدة من جميع السفراء المصريين ٠

وانقضى العشاء فى ذلك الجو الملبد بالرغم من الســلوك المعاكس تماما من جانب الوزير المفوض بالســفارة الــذى كــان يحاول بجدية كبيرة إزالة هذه الآثار ٠

وقد تشـــاورنا علـــى الفـــور فيمـــا بيننـــا بعـــد انتـــهاء العشاء،وقررنا أن نقاطع جميع الحفلات واللقاءات التى يقوم بـــها السفير المصرى والاكتفاء بالبرنامج العلمى والاجتماعى المقرريـن سلفا مع جامعتى لاجوس وإيدان خلال الأيام التالية. غير أننا بعـــد مناقشة الأمر مع الوزير المفوض عدلنا عن ذلك القـــرار اقتناعـــا منا بأن إحراج السفير أمام المسئولين فـــى الحكومـــة النيجيريـــة سوف يضر بشدة بمصلحة مصر التى نستهدفها فى الأصل مـــن مهمتنا والسفير المصرى على أيه حال هو رمز لبلادنا مهما كـــان من تصرفاته الداخلية معنا ٠

ومع ذلك فقد حرصنا على وصول الرسالة إلى السيد السفير ليعلم أن التعامل مع وفد من أساتذة الجامعة لايجب أن يكون بالأسلوب الذى يتعامل به مع وفد من شباب الرياضة أو غيرهم من الفئات، والحق أن تصرفات السيد السفير وانجازاته فى الأيام الأربعة التالية والاتصالات الإعلامية الناجحة التى قامت بها السفارة والتصريحات التى أدلى بها بعد ذلك واعترافه الصريح بأنه مهما كانت السفارة المصرية قد أنفقت من مبالغ فما كان من الممكن أن يؤدى ذلك إلى ما أدته هذه البعثه من تأثير طيب،وكان الشاهد على ذلك هو مرافقنا الصحفى من جريدة الأهرام الأستاذ وجدى رياض، كل هذا جعلنا ننسى تماما ذلك الموقف السلبى فى ليلة وصولنا إلى لاجوس....

قمنا فى لاجوس ببرنامج حافل بدأ بزيارة كلية الطب وبعد مقابلة مع عميد الكلية عقدت ندوة مشتركة مع أساتذة الكلية لمناقشة تبادل الخبرات فى الأبحاث العلمية وأعقب ذلك زيارة لمختلف الأقسام الاكلينيكية والعلمية، واستمر هذا النشاط مكثفا حتى المساء وتخلله لقاء مع الأساتذة على الغداء. وانتهى ذلك اليوم بحفل تكريم أقامته الجمعية الطبية النيجيرية فى فندق الهوليداى إن .

وفى اليوم التالى توجهنا إلـــى مدينـــة إيـدان لزيـــارة جامعتها. والمدينة تبعد مسافة مائة كيلومترا تقريبا عــن لاجـوس ورافقنا فى الرحلة الوزير المفــوض عبـد الحميـد سـعد الله . والطريق من لاجوس إلى إيدان أوتوستراد ممتاز علـــى جانبيــه غابات كثيفة وتربة الأرض تبدو حمراء اللـــون،وكـــان الطريـــق مألوفًا لى فقد سبق لنا زيارة هذه الجامعة عام ١٩٧٣ ولكن الجـــو هذه المرة كان ملبدا بالغيوم،وعند مدخل إيـــدان كـــانت ســيارات التاكسى والميكروباس تسد الطرق والمناظر خليط متنافر من كـــل ماهو معقول ولامعقول : نساء افريقيات يحملـــن أطفالـــهن فـــى جيوب على ظهورهن، أطفال يبيعون الفاكهة،محلات ودكاكين مـن كل صنف ولون، محل منهاهو صالون تجميل أنيق، ومحل يبيـــع القيشانى الفاخر وأخرى تبيع صفائح وكراكيـــب، علـــى قارعـــة الطريق رجل يعرض للبيع باب شقة،وآخر يعـــرض بانيوحمـــام مركب عليه موتور !! عساكر تملأ الطريق ومعســـكرات علـــى الجانبين، وسيارة أتوبيس مكتوب عليها "الله أكبر"...

وأخذ الميكروباس يقطع بنا طرقا متعرجة حتى وصلنـــا إلى مكان الجامعة مرورا على بيوت من طراز أوربـــى ومبـــان على مستوى جيد، وعندما وصلنا إلى المستشفى الجامعى كـــانت هناك مفاجأة غير سارة فى انتظارنا فقد كان العمال فى المستشـــفى

مضربين عن العمل والمستشفى شبه مقفل بعد أن أخرجــوا منــه المرضى إلا قليلهم، وتراكمت القمامة وعمت المشاكل فكان مـــن الضرورى عدم إحراج مضيفينا وقصرنا زيارتنـــا علـــى الكليـــة الطبية وحفل استقبال أقامه لنا مدير الجامعة ثم الندوات المعتـــادة والمناقشات عن آمال مد جسور التعـــاون بيـــن البلديـــن وتبـــادل الزيارات فى المستقبل •

ومع ذلك فقد أمضينا وقتا طيبا داخل المدينـــة الجامعيـــة وقد خصص جانب منها كحديقة للحيوان شاهدنا فيـــها لأول مـــرة القرد الانسان Ape Man وهو غوريلا شديدة الضخامـــة ولـــم أرى مثيلا له فى أى مكان آخر فى العالم•

دعانا العميد للعشاء فى منزله، وكـــان يرافقنـــا أعضـــاء السفارة المصرية، وكان الجو مليئا بالمرح والموســـيقى والبيـــت ممتلىء بالتحف الافريقية المصنوعة من العاج والخشب، وبـــالغ مضيفنا فى إظهار سعادته البالغة بهذه الزيارة لمنزله، ووصـــف مصر بأنها الدولة الصديقة جدا لبلاده، وحكى لنـــا عـــن تجربتـــه الشخصية فى زيارة قام بها للقاهرة ومعالمها الأثريـــة وزيارتـــه لخان الخليلى وأيضا لصحارى سيتى!! ومغـــامرات أولاده فـــى فنادق ميرديان القاهرة وحضورهم حفـــل زفـــاف مصـــرى فـــى الهيلتون •

كان الرجل عاطفيا وصادقا وهو يؤكد لنا أن بيته مفتـــوح لأى واحد منا تدفع به الظروف لزيارة لاجوس ويرجوه أن يتوجـه إلى منزله على الفور للإقامة به بدلا من المبيت هنـــاك وســوف يسعد بلقائه ٠

عندما انتهى برنامج زياراتنا كنا قد أنجزنـــا العديــد مـــن اللقاءات والحوارات مع الأساتذة النيجيريين ودار معظمها حـــول نظم تطوير التعليم الطبـــى بوجـــه عـــام وبعـــض المحـــاضرات المتخصصة عن مضاعفات البلهارسيا التى نجيد التعـــامل معـــها، وقد أبدع فى ذلك بوجه خاص زميلنا الأســـتاذ عمـــر شـــافعى٠ وعندما قاربت الرحلة على نهايتها كان على الأستاذ رفيق زاهـــر أن يلقى العديد من الخطب فى نيجريا، وكان واضحا أنه قد أصبح بسرعة متمكنا من الخطابة الدبلوماسية بصورة تدعو للإعجاب ٠

وكان اليوم الأخير فى برنامج نيجيريا هـــو يـــوم الأحـــد فنظموا لنا جولة فى لاجوس ثم رحلة إلى مدينة بداجـــرى علـــى ساحل المحيط وهى التى وصفت زيارتنا لها فى الرحلة الســـابقة. بدأ التجول فى لاجوس بالوصول إلـــى منطقـــة شـــعبية شـــديدة الازدحام، وسط أسواق شعبية تبيع كل شىء على قارعة الطريـق، ومررنا على موقع الجامع الرئيسى فى المدينة وكان يصاحبنا فـــى الرحلة زميلنا الدكتور بهجت القصاص والدكتور قـــدرى رئيـــس

الجمعية الطبية النيجيرية وكان هدفنا القيام بزيارة تحية للرجل المسئول فى المدينة ويسمونه الأوبا OBA، والأوبا هو الذى يرأس جهاز الحكم المحلى فى الولاية وهو نظام متوارث فى قبائل اليوروبا وأقيم من قبل العهد الاستعمارى وهو النظام السائد فى الولايات الجنوبية من نيجيريا، وهذا النظام يختلف عن الولايات الشمالية حيث تنقسم الولاية هناك إلى إمارات يحكم كل منها أمير Emeir وهو نظام من مخلفات التاريخ الإقطاعى، أما الولايات الشرقية فالحكم المحلى تتولاه مجالس منتخبة فى كل مقاطعة ويرأس كل منها قوميسير تعينه الحكومة.

وتوجهنا إلى قصر الأوبا وسط الحى الشعبى، وكان زميلنا الدكتور بهجت القصاص قد أعد لنا - إمعانا فى الإثارة- بعض الملابس الوطنية النيجيرية ارتديتها أنا وزوجتى والدكتور عمر شافعى وكان منظرنا فيها طريفا جدا، وأخذ الخبراء يلقنوننا قبل الوصول للقصر طريقة تحية الأوبا بكلمة "كابيسى"، ويرجع تاريخ بناء القصر إلى القرن السادس عشر وقد تهدم بسبب البريطانيين ثم أعيد بناؤه عام ١٩٦٠ .

دخلنا القصر واستقبلنا فى احدى القاعات كانت جدرانها حمراء اللون، فتحوا مايشبه الصندوق الكبير وبداخله تماثيل مرتبطة بتقاليدهم فى تكريم الأوبا ثم انتقلنا إلى قاعة ثانية ذات

جدران زرقاء وكانت أصوات تشبه الصلوات تصل إلينا من الغرف المجاورة، وفى القاعة الثالثة ذات الألوان المتعددة كانت هناك صورة الأوبا فى ملابس زاهية الألوان . ودخل الأوبا، كان رجلا فى حوالى الستين من العمر أخذ يسلم على أعضاء الوفد ويرحب بنا، وعندما كان مرافقونا النيجيريين يسلمون عليه كانوا يسجدون على الأرض أمامه، وألقى الدكتور رفيق زاهر كلمة بين يدى الأوبا لتأكيد اعتزازنا بصداقة هذه البلاد واستعدادنا لاستقبال الزائرين من زملائنا النيجيريين وكذلك الطلاب الذين سوف نعاملهم فى مصر كأبنائنا .

وعندما خرجنا من القصر كانت الطبول تدق تحية لنا وتثير فى الحاضريين الرغبة المحمومة للرقص على إيقاعاتها ولم يتخلف الدكتور عمر كالعادة عن المشاركة مع الراقصين فى رقصهم المرح الملىء بالمودة والترحيب .

وقطعنا بعد ذلك الطريق وسط مدينة لاجوس، كانت هناك كنائس عديدة تمتلىء بالمترددين عليها فى يوم الأحد، ومررنا بأسواق أخرى تشبه سوق وكالة البلح والخردة عندنا، ووصلنا إلى منزل الدكتور قادرى لتناول الغداء ثم توجهنا بعد ذلك إلى زيارة مدينة بداجرى، وبداجرى هى معقل المسيحية منذ عام ١٨٤٢ .ومرة أخرى عند وصولنا إلى بداجرى قمنا بزيارة

قصر الأوبا المحلى، واستقبلتنا الموسيقى على بوابة القصر أيضا ثم دخلنا إلى قاعة الاستقبال، المنظر: مكتب وكرسى وخلفه صورة الأوبا وعلامة شعار ولاية لاجوس •

ودخل الأوبا في لباسه الوطني يمسك بيده منشة ضخمة من الريش، وقفنا تحيه له وجلس فجلسنا باحترام، واحد من مرافقينا سجد على الأرض أمام سموه الملكى وأخذوا يرددون كلمات وألفاظ رددناها معهم تحية لسمو الأوبا -His Royal Highness- ولشعب بداجرى •

خطب أحدهم باسم سمو الأمير وشعب وزعماء بداجرى يرحب بنا ويتمنى لنا السعادة، ورد الأستاذ رفيق زاهر التحية بمثلها، وبدأوا يعدون لنا شرابا تقليديا يقدمونه للضيوف، وأخذوا يشرحون لنا كيف يصنعونه أمامنا من قطع من نباتات مختلفة، المساعد يقدم أولا الشراب للرئيس،سيدة دخلت بعدة أكواب، المساعد يشرح لنا أنها ماء، سكبت بعض الماء على الأرض أمام الأوبا وعن يمينه وعن شماله – قدم المساعد كوبين بيديه الاثنتين إلى الأوبا رمزا للاتحاد بيننا –وقدم الكوب للدكتور رفيق ثم الدكتور قدرى والمساعد للشرب من نفس الكوب ثم وزعت الأكواب علينا، كان بها شراب يشبه السوبيا وله رائحة تشبه النبيذ وعلمت أنها شراب مخمرمن زيت النخيل •

وقد استطعت بمهارة أن أتخلص من شرب محتويات هـذا الشراب دون أن يلحظ ذلك أحد من الحاضريين ٠

وخطب الأوبا مرحبا بنا ومتمنيـــا لنـــا زيــارة ســعيدة لنيجريا٠

وطلبوا منا التحدث فتحدث الدكتور عمر عن سعادته بأنـه يزور نيجريا للمرة الثانية وأنه لاحظ التقدم المذهل فــى العمــران بين الزيارتين، وأخذ الدكتور عمر يتشاور همسا مع المســـاعدين فى أمر بدا لنا جادا وخطيرا، وقد علمت بعد ذلك أنـــه يتفــاوض معهم على الحصول على شجرة جوز هند صغيرة ليزرعها فـــى حديقة منزله بالاسكندرية، وقد فعلها حقيقة وحصل على الشـــجرة التى وصلت بعد ذلك سليمة إلى الاسكندرية مرورا بخمســـة دول أخرى قبل عودتنا إلى الوطن !

وتحدثت الدكتورة ماجدة ميشيل فشكرت لهم كرم الضيافة أيضا، وكنت أنا مشغولا طول الوقت باجراء التســـجيلات التـــى كانت عونا لى فى حفظ الوثائق الصوتية عــن هــذه المشــاهدات المثيرة ٠

وكان لطيفا جدا من الدكتور بهجت القصاص أيضا أنـــه أعد هدية مصرية هى علبة من صدف خان الخليلى ليقدمها باسمنا إلى الأوبا ٠

وعند خروجنا من القصر كان هناك موكب آخر من قارعى الطبول، ثم اقترحوا علينا أن نأخذ صورة جماعية تذكارية حول سمو الأوبا وكان لزاما لذلك أن يخرجوا له كرسى العرش ليجلس عليه ونحن من حوله ...

وعدنا من بداجرى لنحضر فى المساء حفل استقبال السفير للوفد فى السفارة المصرية وأن نجرى حديثا مع التليفزيون النيجيرى شارك فيه السفير والدكتور رفيق وعمر شافعى وأنا عن أهداف زيارتنا،وقد تفضلت السفارة بعد ذلك بإهدائنا نسخة من شريط الفيديو المسجل لهذا الحديث ومازلت أحتفظ بها ضمن مقتنياتى التذكارية عن رحلاتنا الافريقية •

وفى صباح اليوم التالى كنا فى الطريق إلى مطار لاجوس للسفر إلى الكاميرون •

الكاميرون



عندما كنا نخطـــط لرحلتنــا كـــان مـــن حســـاباتى أن الكاميرون هى إحدى مكونات مجموعة غرب افريقيـــا الوســطى المتحدثه بالفرنسية والتى تضم أيضا الجابون وزائير والكونجـــو، والواقع أن ذلك هو نصف الحقيقة فقط فجمهورية الكاميرون فـــى الواقع نشأت من اتحاد إقليمين كانا قبل اتحادهما تحـــت وصايـــة

الأمم المتحدة وأحدهما كان من قبل ذلك تحت الاستعمار الفرنسى ثم استقل عام ١٩٦٠ والثانى كان تحت الاستعمار البريطانى وكان جزء صغير منه قد انضم إلى نيجيريا بينما قرر الجزء الأكبر الانضمام للجزء الفرنسى عام١٩٦١ . وتاريخ هذين الأقليمين معا قبل كل ذلك يرجع إلى أنهما كانا يشكلان مستعمرة الكاميرون الألمانية قبل الحرب العالمية الأولى .

ومن اتحاد الاقليمين الانجليزى والفرنسى نشأت دولة مزدوجة اللغة وهى أيضا ذات أصول عرقية متعددة، ففى الشمال تسكن القبائل ذات الأصول السودانية العربية وهم أصلا من الرعاة الرحّل وأغلبهم من المسلمين، وفى الجنوب توجد قبائل البانتو وهم فى الأغلب مزارعون يقيمون فى قرى ثابتة ومعظمهم من الوثنيين أو المسيحيين .

وبسبب وجود مايقرب من مائة من الأعراق المختلفة لها لغات افريقية متعددة فإن اللغة الرسمية التى كانت فى عهد الاستعمار الألمانى وهى الألمانية قد أصبحت فى عهد الدولة الاتحادية المشتركة مزدوجة بين الانجليزية والفرنسية.

وقد بقى أكثر من نصف سكان الكاميرون يحتفظون بمعتقداتهم الدينية الافريقية ولكن البعثات التبشيرية المسيحية أدت إلى وجود مايقرب من ٥ر٢ مليون مسيحى أغلبهم من الكاثوليك

كما يوجد حوالى ٩٠٠ ألف مسلم من بين اجمالى السكان البالغ حوالى ٦,٥ مليون ٠

وصلنا إلى مطار دوالا في ٢٤ يناير سنة ٨٣ وكان استقبالنا رائعا،فقد حضر للمطار القائم بالأعمال المصرى الدكتور صلاح العشرى بسبب وجود السفير اسماعيل مبارك خارج البلاد وكذلك حضر لاستقبالنا نائب مدير الجامعة. ومدينة دوالا حيث يوجد المطار ميناء على ساحل المحيط الأطلنطى وتبعد عن العاصمة ياووندى ٢٤٠كيلومترا ولكنها هى المدخل الرئيسى للبلاد ويقطنها حوالى ٢٥٠ ألف من السكان ٠

وكان على موكبنا أن ينطلق بعد ذلك إلى العاصمة ياووندى ٠ ولم نضيع وقتا فى تنفيذ برنامج عملنا فى الكاميرون الذى استمر ثلاثة أيام والذى أعده بعناية لنا الدكتور صلاح العشرى، فعندما استقر بنا المقام فى ياووندى قمنا بزيارة الجامعة بعد ظهر اليوم نفسه للقاء مع مدير الجامعة ومجموعة الأساتذة هناك وكانت العاصمة مشغولة جدا بوجود مؤتمر طبى دولى افريقى حافل بقصر المؤتمرات ولكنهم حرصوا على الاجتماع بنا فى الجامعة ٠

وهذه الجامعة الفدرالية فى ياووندى أنشئت عام ١٩٦٢، وبدأت تضم كلية للطب منذ ١٩٦٩ لتخريج الأطباء

والممرضات المؤهلات لسد النقص الكبير فى الخدمات الطبية حيث كان هناك حتى عام ١٩٧٠ طبيب واحد لكل ٢٦ ألف من السكان، وحوالى ثلاثة أرباع هؤلاء الأطباء كانوا من الأجانب ويتمركزون داخل المدن الكبرى .

واطلعنا على البرنامج المعد لزيارتنا داخل وخارج العاصمة وبدأنا بتنفيذه فى صباح اليوم التالى عندما زرنا المستشفى الجامعى ولاحظنا أن كثيرا من مبانيه على هيئة تجمعات صغيرة مستقلة ومستوى النظام والنظافة ملفتين للنظر، والإدارة فيه تقوم على نظم أوربية، والمبانى أعطيت أسماء من مشاهير الأطباء مثل باستير ولوريش - الفرنسيين بالطبع .

وكان الملفت أيضا للنظر أن المبانى قديمة جدا ومع ذلك فأقسام الجراحة مثلا وغرف العمليات مجهزة بأجهزة حديثة جدا ولو أن العمليات الجراحية التى تجرى فى الأغلب بسيطة، ونفس الملاحظة كانت فى قسم العناية المركزة والغسيل الكلوى وغيرها وقد أعجبنا جدا باستخدامهم للامكانيات البسيطة بطريقة عملية ومفيدة ولاحظنا أن معظم الوظائف الفنية الدقيقة مثل وظيفة مهندس الأشعة يديرها أوربيون .

ولم نستطع أن نمنع أنفسنا من التهامس فيما بيننا أثناء مشاهدة كل هذا بأن كثيرا ممانراه أمامنا قد نفتقده نحن فى بعض

مرافقنا الطبية المماثلة المستوى من حيث النظافة والهدوءوالنظام وحسن استخدام الامكانيات٠

وكانت فرصة لنا بعد هذه الزيارة لأن نشهد جانبا من المؤتمر الطبى الذى كان منعقدا فى قصر المؤتمرات، فتوجهنا إليه وفوجئنا بأنه مبنى فخم للغاية ومجهز أيضا تجهيزا وافيا، وكالعادة فى مثل هذه المؤتمرات كان يصاحبه معرض ضخم لشركات المهمات الطبية والأدوية ٠

وعقدنا فى قصر المؤتمرات جلسة مائدة مستديرة مع نظرائنا من أساتذة الجامعة والأطباء لمناقشة الأمور ذات الاهتمام المشترك واحتفلنا معهم بيوم الأطباء – وقابلنا هناك فى الوقت نفسه مجموعة من الأطباء الفرنسيين كانوا يحضرون المؤتمر وكان من بينهم من كنا نعرفهم من قبل مثل عميد وبعض أساتذة كلية طب مارسليا التى كان بعض منا قد زارها منذ وقت قصير سابق ٠

وفى لقائنا مع رئيس الجامعة فى مقره الجميل المحاط بحديقة رائعة قال مضيفنا بين ماقاله" أنهم سمعوا كثيرا عن مصر مهد الحضارة الافريقية والعالمية وإن حضورمثل هذا الوفد الجامعى إلى الكاميرون قد تأخر كثيرا فقد وصلت إلى هنا قبلكم وفود أخرى من مصر، فى الرياضة مثلا ٠٠٠ولكننا نرجو أن

تدعموا هذه الزيارات وتكرروها وأن نتلقى منكم أيضا دعوة لزيارة مصر. وعندما قام رئيس الوفد الأستاذ رفيق زاهر بالرد على هذه الكلمات الطيبة بما يناسبها من تأكيد ترحيبنا بأن نراهم فى الاسكندرية أيضا قدم لهم درعا تذكاريا كنا قد أعددنا منه مجموعة لنقدمها للمسئولين فى الجامعات، وكان لطيفا أن يظهر الأساتذة اغتباطهم بهذا الرمز ويتفاوضون معا أمامنا حول المكان الذى يعلقون فيه هذا الدرع على أحد جدران القاعة •

وبينما كنا مشغولين بالبرنامج العلمى فى ذلك اليوم حرص المنظمون على توفير برنامج آخر للزوجات الراغبات فى زيارات أخرى شملت دار حضانة للأطفال ومركزا لرعاية الأمومة والطفولة واجتماع مع سيدات "منظمة نساء افريقيا" •

وفى المساء اجتمع الشمل فى دار السفير المصرى اسماعيل مبارك فى العاصمة وهى فيلا جميلة جدا كل مافيها أنيق وراق، واعتذر السفير لعدم استقبالنا فى المطار لأنه جاء من الخارج ولكن الحقيقة أن القائم بالأعمال الدكتور صلاح العشرى قد قام عنه بالواجب خير قيام •• ومرة أخرى أكد السفيربأن هذه الزيارة تدعم الوجود المصرى فى الكاميرون وقال بالنص "أنتم أحسن تمثيل لمصر فى الخارج وأفضل مساعدة تقدم لنا هنا، ونحن نريد هنا أيضا أطباء وأساتذة فى العلوم

السياسية"،وبلغ السفير غاية المجاملة وهو يقول "إنكم-أنتم السفراء ونحن أتباعكم، لأنكم وجه مشرف لمصر" ٠٠٠وقال أيضا "إنني أريد خمسة أطباء مصريين وقد تحادثت مع عميد كلية الطب ومدير الجامعة وهم يرغبون فى تحقيق ذلك بأسرع مايمكن ٠٠ ولو تحقق ذلك فسوف أشعر بأننى قد نجحت تماما فى تأكيد ثمار هذه الزيارة "، ووعد رئيس الوفد عميد الكلية بالعمل على تحقيق ذلك بمجرد اتمام الاتصالات بين الجامعتين ٠

الحقيقة أن ساعة تقضيها فى أرض السفارة المصرية وهى قطعة من روح الوطن، وسط مثل هذا الجو الحماسى المشتعل بالرغبة فى خدمة هذا الوطن العزيز، يشارك فيها الجميع بروح عالية بدءاً من السفير وانتهاء بطباخ السفارة (الذى تصادف أنه كان يعمل من قبل فى السفارة المصرية فى عدن وقت زيارتنا لها فى رحلتنا الإفريقية الأولى) هى ساعة حلوة من ساعات العمر تنسيك تعب السفر ومرارة الغربة وتهون إزاءها كل الصعاب ٠٠٠

وأخذنا بعد ذلك نستعد للسفر فى اليوم التالى إلى جمهورية الجابون ٠

الجابون

فى اليوم

السادس والعشرين من

يناير ١٩٨٣ كانت

الساعة التاسعة مساءا

عندما هبطت بنا

الطائرة فى مطار

ليبرفيل على ساحل

المحيط الأطلنطى

وهى عاصمة

جمهورية الجابون،

وكان هناك فى

استقبالنا السفير

المصرى عادل

العدوى والمستشار

رؤوف فتحى رجب

ومندوبون من وزارة

الخارجية ووزارة الصحة والجامعة، وسار بنا موكب فخم إلى

فندق الانتركونتننتال لنقيم به فى ضيافة من الجامعة، وكان

واضحا منذ اللحظة الأولى لوصولنا أن أهل هذه البلاد وسـفارتنا هناك قد أعدوا لنا برنامجا مثيرا وترحيبا كبيرا ٠

كان برنامجنا يشمل عدة زيـارات خـلال يوميـن فـى ليبرڤيل العاصمة ويوم واحد فى مدينة فرانسڤيل ٠

وقبل هذا البرنامج دعنا نتعرف على هذه البلاد التى لـم يكن لنا من قبل إلمام كبـير بتاريخـها وحاضرهـا، فجمهوريـة الجابون التى لايتجاوز سكانها المليـون ونصـف كـانت إحـدى المستعمرات الفرنسية الاستوائية وحصلت على اسـتقلالها عـام ١٩٦٠ ولكنها أبقت على علاقات قوية جدا مع فرنسا سواء مـن الجوانب الاقتصادية أو الثقافية وأدى ذلـك إلـى تواجـد قـوى للفرنسيين فى البلاد وهو ما لايزال مستمرا ٠

وقد بدأ تاريخ التعرف على بلاد الجابون عندمـا وصـل إليها البرتغاليون عام ١٤٧٢ وكانت تجارة العبيد النشطة تسـتخدم سواحلها لترحيل العبيد من افريقيا على السـفن الأوربيـة، كمـا وصلت بعد عدة قرون من نفس الطريق بالعكس بعثات التبشـير المسيحية ابتداء من عام ١٨٤٢ ٠ وفى الحرب العالميـة الثانيـة استولت قوات التحرير الفرنسية على الجابون من حكومة ڤيشـى وبقيت ضمن مستعمراتها حتى عام الاستقلال ٠

وبعد الاستقلال فى ١٩٦٠ حكم الجمهورية المستقلة الرئيس ليون مايا الذى أطاح به انقلاب فى ١٩٦٤ ولكن أعيد انتخابه رئيسا عام٦٧ غير أنه توفى بعد قليل ليخلفه نائبه ألبرت برنارد بونجو الذى أعلن اعتناق الاسلام فى عام ١٩٧٣ وأصبح اسمه "عمر بونجو"، وكنا نسمع اسمه يتردد كثيرا فى أخبار النشاط الدولى الافريقى وخاصة عندما عقد اجتماع منظمة الوحدة الافريقية عام١٩٧٧ فى الجابون • وكان الرئيس بونجو بعد توليه الحكم قد أعلن دولة الحزب الواحد، وأعيد انتخابه عدة مرات رئيسا، وعمل جاهدا على تقوية العلاقات مع فرنسا من جهة ومع الدول الافريقية من جهة أخرى •

أما سكان الجابون فهم من ٤٠مجموعة عرقية لها لغات مختلفة كما هى العادة فى الدول الافريقية وأشهرها الفانج فى الشمال وأعراق أخرى متعددة فى الجنوب •

وخمسون فى المائة من سكان الجابون من المسيحيين وأغلبهم من الكاثوليك بينما يقدر عدد المسلمين ببضعة آلاف،والباقى يعتنقون الديانات الافريقية التقليدية •

وثمة ظاهرة واضحة هى موضع اهتمام كبيرمن ناحية السكان فى الجابون، فالكثافة السكانية فى هذه البلاد منخفضة بصورة واضحة بالمقارنة بجيرانها فى افريقيا الوسطى كما أن

الزيادة الطبيعية فى السكان لاتتجاوز نسبة ١ %، ويرجع ذلك إلى أن معدل انتشار العقم مرتفع لأسباب غير واضحة تماما، وسوف نلاحظ انعكاس القلق من هذه الظاهرة فى كثير من مشاهداتنا فى زياراتنا ومناقشاتنا هناك.

بدأت برامجنا بالصورة التقليدية المعتادة بزيارة مكتب وزير الصحة صباح اليوم التالى لوصولنا، وتبادلنا كلمات الشكر والترحيب وقام زميلنا الدكتور اسماعيل حلمى الذى يتكلم الفرنسية بطلاقة بمهمة الترجمة، وتأكد من هذا اللقاء الذى كان حارا ووديا للغاية استعدادهم لتلقى كل مايمكن أن تقدمه مصر من مساعدة.

وانتقلنا بعد ذلك لزيارة وزير التعليم العالى ودار الحوار فى نفس الجو المفعم بالمودة،وقد أثيرت نقطة حيوية وهى أن الأطباء المصريين الذى تواجدوا فى الجابون قد حققوا نجاحا عظيما بشرط التغلب على مشكلة حاجز اللغة الناشىء بالطبع من أن الدراسة الطبية الأساسية فى مصر تجرى باللغة الانجليزية، وقد تطرقت المناقشات إلى حقيقة أن نسبة لابأس بها من الأطباء المصريين يتقنون الفرنسية أيضا لأنهم عادة مايكونوا دارسين فى مدارس الليسيه أو سان مارك أثناء دراستهم الثانوية، ولابد من

استقطاب هؤلاء الأطباء بالذات وتشجيعهم على السفر للعمل فـــى الدول الافريقية المتحدثة بالفرنسية مثل الجابون وغيرها ٠

وعندما انتهت زيارات المجاملات التقليدية انتقلنا لزيـــارة المراكز العلمية بدءاً بزيارة عميد كلية طب جامعة عمـــر بونجـــو وقد استقبلنا نيابة عنه نائبه الفرنسي لوجود العميد فـــى المؤتمـــر المنعقد فى ياووندى، ثم زرنا بعد ذلـــك عـــدة مستشـــفيات منـــها مستشفى التأمين الصحى ومستشفى للولادة وكلها مجهزة تجـــهيزا راقيا ٠

وفى المستشفى الجامعى العام ألقينا عددا من المحاضرات ثم عرضنا فيلما سينمائيا عن الجراحة العلاجية لدوالـــى المـــرىء التى يطلق عليها عملية حساب وشـــاهدنا الكثـــير مـــن حـــالات الأمراض الاستوائية النادرة وتبادلنا الخبرات مـــع زملائنـــا فـــى علاج البلهارسيا والجذام، وجاءت الفرصة لتأكيد أن كليـــة طـــب الاسكندرية بها عدد من الطلاب من افريقيا وهناك دائمـــا فـــرص للاستفادة من منح دراسية مخصصة للطـــلاب الافريقييـــن أيضـــا بشرط الإعداد الجيد لامكان تلقيهم الدراسة باللغة الانجليزية ٠

وقرب انتهاء اليوم انقلبت الأحـــوال الجويـــة وهطلـــت الأمطار الاستوائية الشديدة، ومع ذلك كنا ســـعداء بمتابعـــة مـــن

الفندق لما يذاع من الاذاعة والتليفزيون من أخبار وصور عن وصولنا والزيارات التى قمنا بها صباح ذلك اليوم فى ليبرڤيل .

وفى المساء كان علينا أن نلبى دعوة الجامعة للعشاء فى مطعم كورسير الفخم بحضور وزيرى التعليم العالى والصحة.

فى صباح اليوم التالى كان الجو صحوا جميلا وقد أعدوا لنا رحلة إلى مدينة فرانسڤيل بطائرتين مروحيتين صغيرتين واستغرقت الرحلة للوصول إلى هناك حوالى ساعة وكان الغوض زيارة مركز أبحاث دولى شهير تشرف عليه مجموعة من الأطباء الفرنسيين ومعهم قلة من الجنسيات الأخرى .

ولقد أبهرتنا لدرجة كبيرة زيارة ذلك المركز العلمى لما شاهدناه من معامل للأبحاث بها قدر هائل من الأجهزة العلمية المتقدمة جدا، تضمها مجموعة مبان ضخمة وتحيط بها مسلحات واسعة من الحدائق وبها أيضا بيوت لحفظ حيوانات التجارب التى لاحظنا أن أغلبها من القرود والنسانيس.

وعلمنا أن النسبة الأكبر من الأبحاث العلمية بهذا المركز تدور حول دراسة أسباب ذلك الانخفاض الملحوظ فى معدل الخصوبة فى هذه المنطقة من افريقيا وبخاصة فى جمهورية الجابون، ولهذا فإن أغلب التجارب والدراسات تجرى هناك على القرود التى وجدناها تنطلق فى كل مكان وتداعب

الزائرين وتقوم فى نفس الوقت بأداء مهمتها فى خدمة الأبحـاث . ويعمل بهذا المركز ١٦٤ شخصا منهم ٤٥ عالما كلــهم فيمــاعدا اثنين فقط من الأجانب، وأغلب اهتمامهم كما ذكرنا هو دراســات عن ظاهرة العقم وأسبابها ومنهم من كان مشغولا بدراسات أخـرى فى علوم الطفيليات وعلوم الحشرات وغيرها .

ولم يكن ممكنا أن نشاهد هذه الروعة العلمية والتجـهيزات العظيمة دون أن نطمع من جانبنا فى أن تكـــون هنــاك فرصــة لإرسال مبعوثين من عندنا للتدريب فى هذا الصرح العلمى العظيم على بعض وسائل البحث العلمى، وقد رحب مدير المركز الفرنسى بذلك بالفعل .

وبعد انتهاء الزيارة تأخر وصول الطائرتين المروحيتيــن فقامت طائرة نفاثة بنقلنا للعودة فى المساء إلى ليبرفيل بعـــد يــوم حافل بالاثارة فى فرانسفيل .

وفى المساء لبينا دعوة للعشاء أقامــــها وزيــر الصحــة وكانت فى أحد المطاعم الصينية، وكان زميلنا الدكتور عبد الحميد الشواربى هو الوحيد من بيننا الذى ادعى أنه خبير بتناول الطعــام الصينى بالعصى التقليدية وعندما حان وقت الجد لاحظنا أنه قـــد امتنع عن تناول الأرز بحجة عمل رجيم وهو فى الحقيقـــة كــان يهرب من إظهار فشله فى تناول الأرز بالعصى الخشبية.

وكانت أمسية لطيفة بعد رحلة مشاهدات مثيرة في فرانسفيل •

كان اليوم التالي هو يوم الزيارات التخصصية حيث انقسمنا إلى مجموعات يزور كل منها الأقسام المختلفة حسب تخصصاتنا، ومن غرائب ماسمعت عند زيارتنا للقسم الباطني من طبيب فرنسي شاب يعمل هناك أنه كان يؤدي فترة خدمته العسكرية مبعوثا للعمل في الجابون بدلا من العمل المباشر في القوات المسلحة ويبدو أن ذلك هو نظام معمول به في الجيش الفرنسي وهو يعكس أيضا العلاقة القوية مع فرنسا •

وأمضينا مساء ذلك اليوم – السبت- في دار السفارة المصرية في حفل استقبال ضم عددا ضخما جدا من المدعوين حتى خيل إليّ أن نصف سكان ليبرڤيل كانوا معنا في ذلك المساء•وأمضينا يوم الأحد التالي في التنزه على ساحل المحيط المليء بالمفارقات الغريبة وتحت أشجار نخيل جوز الهند كانت تلهو جماعات من الأطفال السود إلى جوار حسناوات أوروبيات شقراوات يتمددن على رمال الشاطئ أو يتهادين سيرا على الأقدام ولا أحد يهتم بأحد على الإطلاق •• والسفارة المصرية لم تغفل قط عن رعايتنا فقام السيد السفير ومستشار السفارة باصطحابنا في نزهة بالسيارات على الطريق الساحلي وقضينا وقتا طيبا جدا

فى أحد الكازينوهات الأنيقة المطلة على المحيط وعلـــى منـــاظر خلابة للشاطىء الجميل ٠

وكان اليوم الأخير من زيارتنا للجابون هو يوم العلاقـــات العامة والاعلام والسياسة حقا، فقد نظموا فيـــه نـــدوة تليفزيونيـــة تضم حوارات بين أربعة من أعضاء الوفد المصرى وأربعة مـــن الشخصيات العامة من الجابون، وكنـــا مـــن الجـــانب المصـــرى الدكتور رفيق زاهر والدكتور عبد الحميد الشـــواربى والدكتـــور اسماعيل حلمى وأنا، ومن الجانب الآخر مســـئولين كبـــارا مـــن وزارة التعليم العالى (د٠أوكيـــاس) ووزارة الصحـــة (د٠ندونـــج سكرتير الوزارة) ومدير مؤسسة جـــان ايبـــورت (د٠ريتينـــو) ود٠كومبلا من الاعلام ٠ وكان موضوع الحوار عن "الطب فـــى إفريقيا – الخبرة المصرية والخبرة الجابونية والطريق إلى تبـــادل هذه الخبرات فى الحاضر والمستقبل "٠

وبعد أن غادرنا مبنى التليفزيون انضم إلينا باقى أعضـــاء الوفد وتوجهنا إلى زيارة ختامية إلى وزارة الخارجية لمقابلة كبـــار المسئولين فيها بحضور سفيرنا النشيط فكانت فى هـــذه الزيـــارة الإشارة الواضحة إلى تقدير الجانبين للدور الدبلوماسى والسياســـى الناجح الذى حققته الزيارة للجابون حتى أن سكرتير عـــام وزارة

الخارجية قال إن ثقل هذه الزيارة سوف يبنى عليه وضع خطة للتعاون ليس فقط فى مجال الطب وإنما فى مختلف المجالات •

وفى مساء اليوم نفسه كنا فى الطريق إلى مطار ليبرفيل لمغادرة البلاد ولم يتركنا السيد السفير لحظة واحدة وكانت فرصة انتظارنا لموعد قيام الطائرة فى المطار مناسبة لاستعراض ملخص انطباعاتنا عن مهمتنا فى الجابون، ومرة أخرى أخذ السفير المصرى يكرر الشكر على المجهود الذى بذل ويؤكد أمله فى أن يتوالى مثل هذا العمل باستمرار، ولاحظنا جميعا اهتمام وسائل الاعلام المكثف بالزيارة، والثقل الكبير الذى وضعته وزارة الخارجية فى الجابون لها•

ومن أجمل ماسمعت من تعليقات من أعضاء السفارة أن الأطباء المصريين الذين يعملون فى الجابون قد اكتسبوا سمعة طيبة جدا وأن الناس هنا كانوا شغوفين بأن يقابلوا الأساتذة الذين علموا هؤلاء الأطباء ••

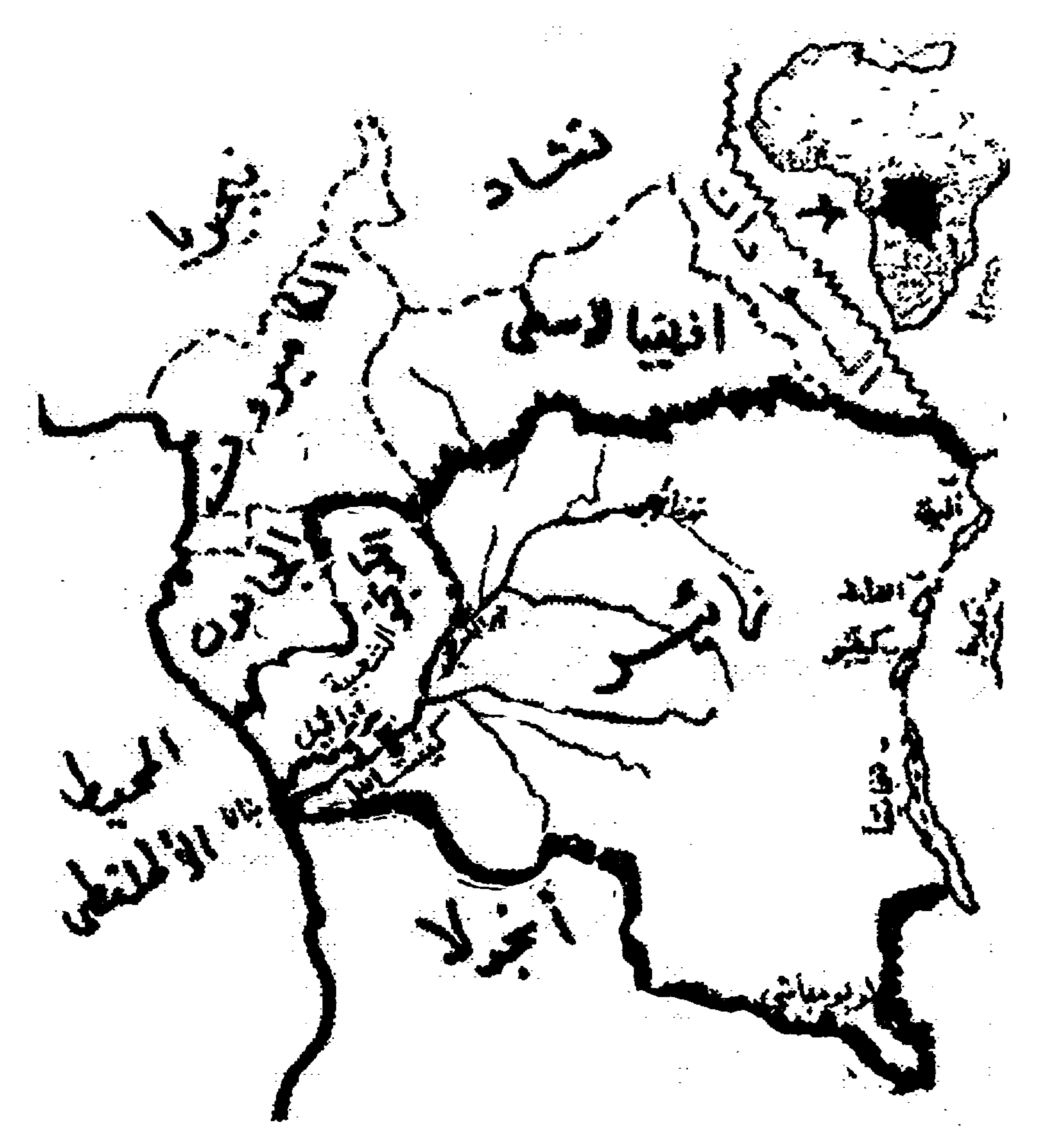
ومن أهم الخواطر التى شغلت بالى وناقشتها مع الزملاء ومع رجال سفارتنا مالاحظناه فىكثير من الدول الافريقية من ظاهرة تواجد الأوروبيين بها ونشاطهم وسيطرتهم على توجيه النواحى التعليمية والطبية بصورة تزيد أو تقل فى دولة عن الأخرى ولكنها كانت هنا فى الجابون ظاهرة سائدة ومتفقة تماما

مع النسق العام لسياسة الدولة وعلاقاتها، وكان من الضـــرورى أن نستنتج أنه إذا كنا نحرص على التواجد المصرى الذى يســـتهدف التعاون مع الاخوه الافريقيين أساسا دون اســتغلال وعلــى قــدم المساواة ولخدمة فكرة الوحدة الافريقية فلابد أن تكـــون خططنـــا لذلك لاتعتمد على برامج خيالية لإزاحة ذلك النفــوذ الفرنســى أو الأوروبى وإنما للتواجدوالتعايش معه بل والتعاون معه للاســتفادة من الإمكانيات الكثيرة التى يوفرها ذلك التعاون المشـــترك بيـــن الجميع .

كان السفير المصرى الأستاذ عادل العدوى يبدو غايـــة فـــى السعادة وقد عمل أفراد السفارة المصرية كل مايمكن عمله لتحقيـق النجاح وتوفير وسائل الرعاية لنا حتى أن حرم السيد السفير التـــى كانت عنصرا كبيرا من عناصر هذه الرعايـــة لـــم تتـــأخر عـــن الحضور لوداعنا فى المطار قبل السفر من الجابون..

وفى مساء اليوم الواحد والثلاثين من يناير١٩٨٣ كنا فـــى طريقنا إلى برازافيل عاصمة جمهورية الكونجو الشعبية.

فى دولتى الكونجو (برازافيل وكنشاسا)



شملت رحلتنا الثالثة لافريقيا دولتيـــن متجــاورتين همــا الكونجو الشعبية برازافيل ودولة زائير (التى كانت تسمى من قبـل بالكونجو الديموقراطية)، والانتقال مـــن الجــابون إلــى هــاتين الدولتين ربما يستدعى وقفة للتعـــرف علــى الواقــع التــاريخى

والجغرافى والثقافي المشترك لمجموعة المناطق الافريقيــة التــى ترتبط بحوض هذا النهر الهام –نهر الكونجو–الذى يبلــغ طولــه حوالى ٢٩٠٠ ميلا (٤٧٠٠ كيلومترا) وهو أطول أنهار أفريقيــا بعد نهر النيل، وينبع النهر فى وسط القارة فى زامبيا تحت اســم (تشابيتشى) على ارتفاع ١٧٦٠ مترا فوق ســطح البحــر ويمتــد حوضه فى مسافات شاسعة تحتوى على شبكة مترامية حتى ينتهى إلى المصب النهائى على المحيط الأطلنطى عند مدينة بنانــا فــى زائير .

وتقف عاصمتا دولتى الكونجــو (برازافيــل) وزائــير (كنشاسا) وجها لوجه على شمال وجنوب ضفتى النهر عند منطقــة اتساع للنهر تسمى بركة مالبو (بركة ستانلى) .

واسم النهر الأصلى فى الواقع هو "زائير "وهــى كلمــة تعنى النهر ولكنه سمى فى القرن السابع عشر باسم ريوكونجــو أو نهر الكونجو نسبة لمملكة الكونجو القائمة فى الجزء السفلى مــن النهر، وعندما اختارت الكونجو الديمقراطية كنشاسا اســم زائــير للدولة أعادت أيضا تسمية النهر ذاته باسم زائير .

وهذه المنطقة الشاسعة من القارة الافريقية ذات الحضــارة الكونجولية المرتبطة بحوض النهر الكبير تشمل ليس فقط دولتــى زائير والكونجو برازافيل وانمــا أيضــا دول الجــابون وغينيــا

الاستوائية وجمهورية إفريقيا الوسطى وجنوب الكاميرون وشمال أنجولا وأجزاء من جنوب السودان ومن زامبيا ومالاوى وروديسيا وموزمبيق .

وسكان هذه المناطق الشاسعة لهم تركيبة اجتماعية تضم كلا من مجتمع الغابات الاستوائية ومجتمع السافانا ولكل منهما تقاليده الخاصة وعاداته وقد أمكن لبعض التجمعات السكانية من أن تكوّن فيما بينها كيانات شبه سياسية تضم عددا من القبائل على هيئة ممالك صغيرة أشهرها مملكة الكوبا واللوندا والكونجو . وداخل هذه الكيانات الاجتماعية تسود قواعد وقيم وتقاليد تتعلق بشئون الزواج وتكوين الأسرة وتعدد الزوجات والمعاملات واحترام الزعامة المرتبطة بالسن الأكبر وتتفق هذه العادات في بعض مظاهرها العامة وتختلف بعد ذلك تبعا لكل قبيلة أو مملكة.

أما الديانة الأصلية فهى بالطبع تلك الديانات الافريقية المتعددة التى تشترك مع بعضها جميعا فى الاعتقاد بسيطرة الأرواح ومنها أرواح الأجداد وقوى الطبيعة، ولم يتمكن النفوذ الاستعمارى وبعثات التبشير المسيحى المتوالية من القضاء تماما على بقايا تلك الديانات التى لاتزال متواجدة بنسبة كبيرة حتى الوقت المعاصر .

* * * * *

حملتنا الطائرة من ليبرفيل عاصمة الجابون إلى مطار مايا مايا فى برازافيل عاصمة الكونجو الشعبية فوجدنا فى المطار استقبالا حافلا من السفير المصرى الأستاذ بهى الرشيدى ومندوبين من كلية الطب ووزارة الصحة، ولم يعكر صفو الاستقبال إلا اكتشاف أن حقائب الدكتور رفيق والدكتور الشواربى لم تصلا مع باقى الحقائب فتوجهنا إلى فندق الميريديان المقرر لإقامتنا واكتشفنا أنه على مستوى طيب ولكن لايرقى إلى مستوى السلسلة العالمية المعروفة بهذا الاسم وكان هناك قلق بالنسبة لمياه الشرب وإمكان استخدامها بأمان، كما اكتشفنا أن الحكومة قد خصصت لنا ميكروباص لانتقالاتنا بلا وقود إلا مايكفى للوصول إلى الفندق!!

وكان علينا أن نتوقع بعض المظاهر المرتبطة بالوضع السائد فى جمهورية الكونجو الشعبية التى كانت فى الواقع أول دولة افريقية تعلن نفسها دولة شيوعية بعد أن عاشت قبل ذلك عصورا طويلة من التخلف والانقسامات السياسية •

ومنذ أن استقلت البلاد عام ١٩٦٠ توالت على الحكم فيها حكومات عسكرية وبقيت فرنسا التى كانت تحكمها قبل الاستقلال مع ذلك مسيطرة على الكثير من نواحى الاقتصاد بها٠

فى اليوم الأول من زيارتنا ذهبنا إلى مكتب الرفيق عضو اللجنة المركزية وزير الصحة والشئون الاجتماعية، وعلمنا أن النظام السياسى يقوم على الحزب الواحد (حزب العمل الكونجولى) الذى يرأسه رئيس الدولة، والحكومة تقوم على قيادة مكونة من ١٤ عضوا ولجنة مركزية للحزب تضم ٣٠ عضوا أما الحكم الاقليمى فقائم على وجود حاكم (قومسيير) لكل واحدة من المناطق التسعة فى البلاد ٠

كان الطريق لمكتب الوزير يعكس الحالة الاقتصادية والاجتماعية المختلفة تماما عن الأحوال فى عاصمة الجابون، والطريق يمتلىء بلافتات تحمل الشعارات المعروفة فى الدول الشيوعية، وكان مكتب الوزير نفسه صورة من صور قصور إمكانيات الدولة فجهاز التكييف متعطل وسقف الحجرة تتساقط منه نقط من مياه الأمطار وفى الأرضية وعاء لتجميع المياه المتساقطة على الأرض !!

ومع ذلك كان الترحيب جميلا ومليئا بالتفاؤل فى تحقيق مردود طيب فى العلاقات بين البلدين ٠

وتوجهنا بعد هذه الزيارة إلى زيـارات مجاملـة مماثلـة لرئيس الجامعة ولعميد كلية الطب، ثم إلى غداء خـاص بمـنزل السفير كان قاصرا على أعضاء الوفد • وعرفنا فى هذا الاجتماع الكثير عن أحوال هذه البلاد التى تضم حوالى ٥ر١ مليـون مـن السكان وعددا من الأوروبين لايتجـاوز ١٢ ألـف أغلبـهم مـن الفرنسيين وتسكن الغالبية العظمى منهم فـى المـدن الرئيسـية، وحوالى ثلث هؤلاء السكان مسيحيين (أغلبهم من الكاثوليك) أمـا المسلمون فهم بضعة آلاف فقط وأغلبهم من الأجـانب المقيميـن فى البلاد •

وعندما عقدنا بعد ظهر اليوم نفسه اجتماعا موسـعا مـع عميد وأساتذة كلية الطب ناقشنا معهم كالمعتاد نظم التعليم الطبـى وإمكانيات التعاون بيننا وفوجئنا بأنهم كانوا قـد أعـدوا مشـروع اتفاقية للتعاون، وعند عرضها علينا اكتشفنا أنها برنـامج طمـوح للغاية مملوء بتصورات خيالية عن إمكانية أن نمدهم بالمعونـات والأجهزة والأساتذة وكأننا دولة بالغة الثراء، وربما كانوا يخلطـون بين الإمكانيات المصرية التى تعتمد أساسا على الخبرة البشـرية ثم ماهو متاح من إمكانيات ماديـة محـدودة بعـد ذلـك، وبيـن الامكانيات المادية الكبيرة لدول النفط العربية الواسـعة الـثراء •

ومع ذلك فقد أدرنا معهم حوارا لبقا لوضع الأمـور فـى نطاقـها الصحيح دون أن يكون هناك صدام مع تطلعاتهم الكبيرة ٠

كان علينا أن ندبر وقود الميكروبـاس المخصـص لنـا والذى لم يكن به مايكفى من الوقود كما ذكرت، ولم تكن المشـكلة فى دفع ثمن الوقود من جانبنا فقط وإنما اكتشفنا أيضا أن محطـات الوقود ليس بها نوع السولار اللازم لهذا الميكروباس واضطـروا لتوصيلنا من الجامعة إلى الفندق بمجموعة من السيارات الخاصـة دُبِّرت لنا على وجه السرعة٠

وجاء حفل العشاء الذى أقامه عميد الكلية لنا مـع ذلـك كريما فقدموا لنا طعاما جيدا، وكانت الكلمـات المتبادلـة مليئـة بالمشاعر الودية والتطلع من جانب هؤلاء النـاس الطيبيـن إلـى مصر كدولة عظمى تستطيع أن تقدم لهم الكثير بلا أدنى مطـامع أو أغراض ٠

* * * * * *

ثم بدأنا يومنا الثانى بحل مشكلة الميكروباس فقـد أمكـن لسائقه الحصول على الوقود اللازم بعد أن سددنا له الثمـن مـع منحة خاصة له بالزيادة ٠

ثم توجهنا لزيارة المستشفى العام الذى يقع داخل حديقـة كبيرة وهو بناء كبير أقامه الفرنسيون عـام ١٩٦٩ ولاحظنـا أن

مستوى النظافة والادارة فيه على درجة واضحة من التخلف بالنسبة لما شاهدناه فى الدول الافريقية الأخرى.

وأمضينا فترة الغداء فى ذلك اليوم فى ضيافة صيدلى مصرى يقيم فى برازڤيل منذ عشر سنوات هو الدكتور أحمد جزاريين وزوجته الصيدلانية أيضا، وهو يدير أكبر صيدلية فى المدينة بنجاح كبير .

وكان هناك حشد كبير من المصريين، أغلبهم مهندسون وتجار، وكان هناك أيضا الخبير المصرى فى منظمة الصحة العالمية د.عزت عبد الكريم الذى كان منتدبا من المعهد العالى للصحة العامة بالاسكندرية . وكان اللقاء الحار بيننا وبين هؤلاء الاخوة المغتربين باعثا على الغبطة لما لاحظناه من أنهم جميعا يتبوءون مراكز مرموقة فى المجتمع هناك .

وأمضينا باقى اليوم فى زيارة مؤسسة قومية للشئون الاجتماعية والصحة ، وعلى مائدة العشاء فى الفندق جاءتنا الأبناء السارة بوصول الحقائب الضائعة التى كانت قد طارت إلى أبيدجان ثم عادت إلى مطار برازڤيل فتوجه الدكتور رفيق والدكتور الشواربى لاستلامها وانتهت فترة القلق بعد أن كنا قد تأقلمنا أيضا على الظروف الصعبة الأخرى المحيطة .

وكان اليوم الأخير من برنامج برازافيل مخصصا لزيارة الوزير مرة أخرى لوضع الخطوط النهائية للاتفاق بين الوفد الزائر وممثلى الحكومة وكذلك لزيارة واحدة أخرى من مستشفيات العاصمة، ثم توجهنا فى النهاية لتلبية دعوة لزيارة المكتب الاقليمى لمنظمة الصحة العالمية، ولم تكن هذه الزيارة ضمن برنامجنا المحدد من قبل ولكنها كانت فرصة طيبة لذلك مع وجود زميلنا الدكتور عزت عبد الكريم هناك، وقد تناقشنا مع القائمين على العمل فى المنظمة فى امكانية دعم جهودهم فى خدمة هذه المنظمة الافريقية بعد أن أشاروا الى ما لابد أن تكون كلية طب الاسكندرية قد حققته من معرفة ودراية عميقة بالشئون الصحية الافريقية بعد توالى الزيارات المتعددة للدول الافريقية •

ومرة أخرى وجدنا إخواننا المصريين المقيمين فى برازافيل يتسابقون للترحيب بنا ودعوتنا لمشاركتهم دفء العلاقات السائدة بينهم، فى لقاءات ودعوات لمآدب فى منازلهم حتى آخر وقت متأخر فى مساء اليوم السابق لمغادرتنا برازافيل.

* * * * * *

فى اليوم الرابع من فبراير ١٩٨٣ كنا نستقل العبارة النهرية الضخمة لننتقل من برازافيل إلى الجانب الآخر من شاطىء نهر الكونجو للوصول إلى مدينة كنشاسا عاصمة زائير.

كانت العبارة أشبه بسفينة نوح فيها من كل الأشـــكال والأجنـــاس والبضائع والحقائب، وهى مزدحمة جدا وبالطبع كان يغلب علـــى ركابها اللون الأسود الافريقى فيخيل إليك أنها إحدى سفن العـــهد السحيق التى كانوا يحشرون فيها العبيد لترحل بـــهم إلـــى آفـــاق المجهول • وعلى جانبى النهر فى كلتا الدولتين كانت اجـــراءات الجوازات كالمعتاد قام بها عنا مرافقونا من الســـفارتين • وعنـــد الجانب الزائيرى كان السفير المصرى صـــلاح مـــراد ورجـــال سفارته ينتظروننا ومعهم على رأس المستقبلين من الحكومة وزيـــر الصحة شخصيا وعلمنا أننا سنكون ضيوفا على الحكومة فى فندق انتركونتننتال كنشاسا الفخم •

كانت النقلة من جانب نهر الكونجو إلى الجـــانب الآخـــر تعكس الاختلاف الواضح فى نظام الحياة الاقتصاديـــة والسياســـية فى البلدين المتجاورتين، وحرص الأستاذ وجدى الملحق التجـــارى النشيط بالسفارة المصرية على اصطحابنا فـــى جولـــة بالمدينـــة وماحولها من مناطق ذات مناظر طبيعية خلابـــة ومررنـــا فـــى الطريق بقصر الرئيس موبوتوسيسيكو الذى كـــان يبـــدو خلـــف أسوار حديقته الواسعة شيئا مبالغا فيـــه مـــن العظمـــة والفخامـــة والثراء •

كان الرئيس موبوتو عند زيارتنا يحكم زائير بقبضة حديدية استطاعت أن تشيع الاستقرار فى البلاد ولكن الاشاعات (التى تحقق صدقها بعد ذلك) كانت تشير إلى استنزاف الرئيس للثروة الهائلة للبلاد بالتعاون مع حلفائه فى الخارج الذين كانوا فى نفس الوقت يعتمدون عليه فى قمع الحركات الشيوعية فى المنطقة ...

وكان علينا أن نمارس مهمتنا المحددة دون أن نتطرق إلى الأمور السياسية المباشرة المتعلقة بنظام الحكم ومع ذلك فقد كان انطباعى الشخصى أن هذه البلاد لايمكن أن يستمر فيها الوضع على ماهو عليه طويلا وهو ماحققته الأحداث خلال السنوات التالية بالفعل .

ونظرة واحدة لقصر موبوتو من الخارج كانت كافية لاسترجاع ماكان يُتداول عن صاحب القصر على وجه الدقة أو على وجه الشائعات. فرئيس الدولة واسمه الكامل حسب ماسمى نفسه فى عام ١٩٧٢كان: "موبوتوسيسيكو تاجميندو وازابانجا" (ومعناها الرجل المحارب القوى الذى يتحمل المصاعب ولاينحنى سوف يكسب وينتقل من نصر إلى نصر تاركا النيران من خلفه) وهو يرتدى دائما قبعته المميزة من جلد الفهد..

والرئيس موبوتو يقولون عنه أنه كان جاويشا سابقا فـــى الجيش والحقيقة أنه أصلا كان يعمل صحفيا فى الجيش البلجيكـــى فترة الاستعمار ورقى إلى رتبة الباشجاويش وهى أعلى منصـــب يمكن الوصول اليه بواسطة أى افريقى فى ذلـــك الجيـــش، وفـــى قرب نهاية العهد الاستعمارى انضم إلى حركة باتريس لومومبـــا القومية وعندما استقلت البلاد عام١٩٦٠ وأصبح لومومبا رئيســـا للوزراء اختاره سكرتيره الخاص ثم عينه قائدا عاما للجيش ولكنـــه بعد بضعة أشهر فقط قام بانقلاب أدى إلى خلع لومومبا واغتيالـــه (اتهمت المخابرات المركزية الأمريكية فى الاشـــتراك فـــى هـــذه العملية) ٠

* * * * * *

وعلى مائدة العشاء فى منزل السفير بدأنا التعـــارف مـــع رجال الدولة المسئولين فى وزارة الصحـــة والجامعـــة والاعـــلام وعدد كبير من المصريين المقيمين فى كنشاسا منذ فـــترة ليســـت قصيرة أذكرمنهم أسماء د٠مالك ود٠أحمد طه وغيرهم ٠

وفى الصباح توجهنا لزيارة وزير الصحـــة فـــى مكتبـــه بمبنى فخم جديد، ولم نملك إلا أن نقارن بين هذا المكتب ومكتـــب نظيره وزير الصحة الكونجولى،غير أننا انتقلنا بعد ذلك إلى مبنـــى الوزارة القديم لنعقد هناك جلسة المفاوضات مـــع وفـــد زائـــيرى

برئاسة سكرتير عام الصحة وأساتذة من الجامعة، وكان الهدف أن نحدد بمناقشتنا معهم الخطوط الرئيسية لاتفاقية سوف تعقد في النهاية بين الجانبين للتعاون فى مجال الصحة والتعليم الطبي •ومع انتهاء برنامج العمل فى كنشاسا توفرت لنا الفرصة للتجول في المدينة لنرى الواجهة الشعبية الأخرى الممتلئة بالمناظر الافريقية التقليدية: سيدات يحملن الأطفال في جيوب على الظهور، ازدحام شديد بالطرقات، محلات ودكاكين بسيطة، مياه المجارى تملأ الطرقات، وعلى الجانبين بيوت وأكواخ بسيطة، والأتوبيس الذى نركبه يتولى هزنا بعنف نتيجة لمطبات الطريق، وفى سوق المشغولات اليدوية كان أهمها المشغولات من العاج الذى حرصنا على أن نشترى منه بقدر إمكانياتنا المحدودة بعض التذكارات، وكان معنا السكرتير الأول بالسفارة (الأستاذ الهمشرى)،وكنت ألاحظ فى تعامل هؤلاء الدبلوماسيين الشبان مع أفراد الشعب التفاهم السريع بين الطرفين فيتأكد لى نجاح هؤلاء الرجال فى مهمتهم من تلك القدرة الفذة على التعامل مع أفراد الشعب على ذلك النحو •

وقد حضرنا فى ذلك اليوم حفل استقبال في الجامعة دارت فيه الحوارات التقليدية، ولكن الأكثر إثارة كان هو دعوتنا لزيارة منزل الدكتور "بيلى بندا " أحد الأساتذة نيابة عن مجلس

الأطباء الزائيريين • ثم انتهى اليوم بعشاء فـــى مـــنزل مواطننـــا الدكتور أحمد طه •

كان اليوم التالى هو يوم الأحد فكان برنامجنا المحدد هـــو رحلة إلى منطقة "كيسانتو" التى تبعـــد مســـافة تســـتغرق ســـاعة ونصف بالسيارة خارج كنشاسا، وأعدت لنا الســـــفارة المصريـــة سيارات مريحة للطريق، ولكن الرحلة ذاتها كانت سهلة والطريـــق مرصوف جيدا، حتى وصلنا إلىحديقة شاسعة بها جزء مخصـــص للنباتات الاستوائية وبها أيضا مستشفى كيسانتو •

وعلمت بعد ذلك أن هذا المكان لايبعد كثيرا عن منطقـــة زونجو التى كانت لنا فيها مغامرة مثيرة فـــــى زيارتنـــا الســـابقة لزائير منذ تسع سنوات، ويبدو أن زيارتنا لهذا المكـــــان وهـــذا المستشفى بالذات كانت لها أهمية ثقافية وتاريخية خاصـــــة، فـــإلى جانب المستشفى الذى يتكون من مبان متفرقة ذات أســـقف مائلـــة تصل بينها ممرات ممهدة تحيط بها الخضرة من كل جانب، كـــان هناك أيضا كاتدرائية صغيرة ومبان بـــــها مـــدارس للإرســـاليات الدينية، وأهمية هذا المكان هى فى أن الجامعة الأولى فى البـــــلاد قد بدأت فيه بانشاء كلية الزراعة والطب ثم نقلت الجامعة بعد ذلك إلى كنشاسا •

ودخلنا إلى مبنى إدارة المستشفى فاستقبلنا بحرارة كبيرة من الأطباء ورئيسة المستشفى الأوروبية وكذلك الميرسوبيريور (رئيسة الراهبات الأم) ولفت نظرنا أنها كانت تلبس فستانا عاديا وشعرها بدون غطاء !!.

وأخذ المدير يشرح لنا كيف أن هذا المستشفى أسسته في الأصل جامعة لوفان، وقد أصبح له بعد الاستقلال إدارة محلية تابعة للآباء الجزويت وبعد انتقال الجامعة إلى كنشاسا لم يعد يعمل إلا كمستشفى ريفى يتولى إدارته مجموعة صغيرة من الأطباء الزائيريين ٠

وكانت هناك أيضا مدرسة للتمريض قابلنا كل من كانوا فيها بجو من الصخب والمرح، فبعد وصولنا بفترة قصيرة إلى المدرسة المكونة من ثلاثة طوابق خرجت الطالبات من الفصول عندما سمعن جرس المدرسة يدق، وتبين أن الدكتور عمر شافعى هو الذى دق الجرس، وماهى إلا فترة وجيزة حتى عم المدرسة جو من الطبل والرقص الإفريقى تحية للزائرين بل وهتافات عاليه كانت تردد أمامنا "تعيش مصر" !!!

ومن الغرائب التى شاهدناها فى هذه الزيارة أن عددا كبيرا من السيدات كن يجلسن عند بوابة المستشفى ويقمن بطبخ الأطعمة ٠وقد عرفنا أنهن أقارب المرضى وهم يتولون إعداد

الأكل لأقاربهن فى هـــذا المكـــان • وكـــان أقـــارب المرضـــى الموجودين بالمستشفى يقيمون فى مكان يشبه الفندق بعيـــدا عـــن عنابر المرضى وهم يستمرون كذلـــك حتىخـــروج ذويـــهم مـــن المستشفى. و قدموا لنا طعام الغداء فى مأدبة كبيرة جدا أعدوهـــا فى الحديقة الواسعة وكان ملفتا للنظرحضورعدد كبـــيرجدا مـــن المدعوين من المقيميين فى المنطقة ثم عدنا بعد ذلك إلى كنشاســـا لنلبى فى المساء دعوة للعشاء من المصريين المقيمين هناك •

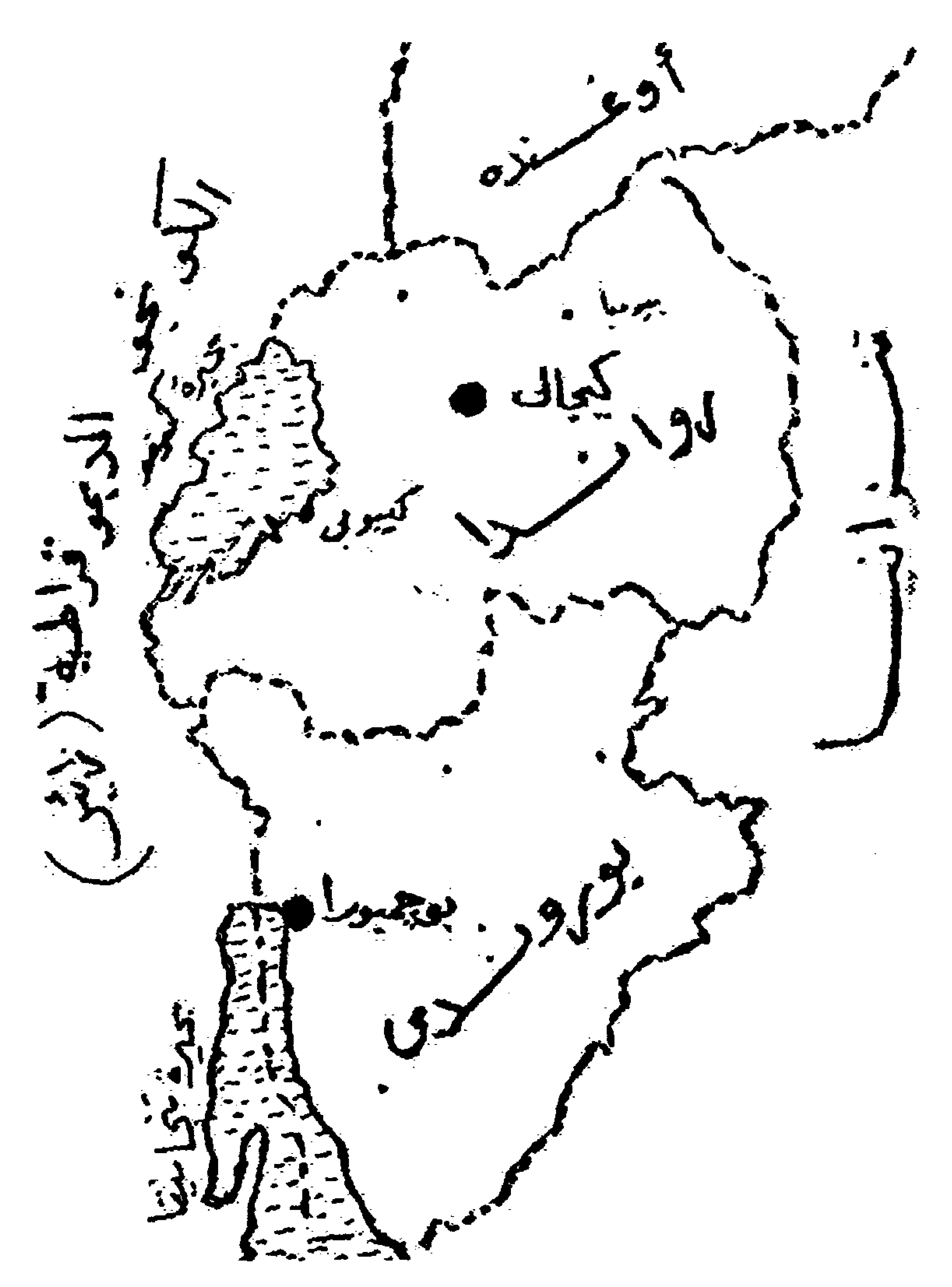
* * * * * *

ثم كان اليوم الأخير لنا فى كنشاسا يـــوم عمـــل حـــافل بالمحاضرات التى شاركتُ فيها مـــع الأســـتاذ رفيـــق والأســـتاذ عمرشافعى وقدمنا منها إلى جانب المادة العلمية جانبا ثقافيا عـــن تاريخ الطب فى مصر القديمة والحديثة كما قمنا بزيارات للأقســـام المتخصصة بالمستشفى الجامعى وزيارة أخيرة لرئيـــس الجامعـــة الذى كان حريصا على تأكيدرغبته فى تحقيق التعاون معنا ووقعنـــا بروتوكولا لهذا التعاون بالفعل وتســـجيلا لمشـــاعرنا فـــى دفـــتر الزيارات بالجامعة وختمنا بذلك برنامجاحافلا لزيارتناالثانية لـــهذه الدولة المثيره دولة زائير ••

وفى صباح اليوم التالى كنا فـــى طريقنـــا إلىجمهوريـــة بوروندى، ولكن لظروف خاصة اضطر رئيس البعثـــة الأســـتاذ

رفيق زاهر العميد أن يقطع رحلته للعودة إلى مصر تاركا رئاسة الوفد لى لنتمم البرنامج فى زيارة ثلاثة دول أخرى هى بوروندى ورواند وكينيا قبل أن تنتهى رحلتنا الثالثة إلى افريقيا.

بوروندى – رواندا



فى عام ١٩٨٣ لم يكن اسم هاتين الدولتيـــن الافريقيتيــن الصغيرتين يلفت نظر المثقف العادى ولكنه بالقطع كان موضـــوع الاثارة بالنسبة للمهتمين بالشئون الافريقيـــة وتـــاريخ الحركـــات

السياسية والاجتماعية بها، حتى إننى كما ذكرت فى مقدمة حديثى عن الإعداد للرحلة الثالثة فوجئت باقتراح وزارة الخارجية المصرية علينا أن نزور هاتين الدولتين ٠

وكان علىّ أن استعد لهذه الزيارة بالتزود ببعض المعلومات قبل الوصول إلى هناك كما زودتنا السفارات المصرية عند وصولنا أيضا ببعض هذه المعلومات ٠

وقد بدأنا بالوصول إلى بوروندى: دولة محدودة المساحة فى وسط افريقيا ملاصقة لبحيرة تنجانيقا من جانبها الشرقى، يقطنها فى ذلك الوقت مايقرب من٤-٥ مليون نسمة وعاصمتها بوجامبورا، ولها تركيبة سكانية فريدة فهم بنسبة ٨٠% من قبائل الهوتو وحوالى ١٥% من قبائل التوتسى والأقلية جدا من البيجمى وهم السكان الأصليون فى هذه المنطقة ٠ والتوتسى فى الأصل من الرعاة الذين ترجع أصولهم إلى مجموعات مهاجرة ربما من جنوب إثيوبيا وقد سيطروا على السكان المزارعين الذين كانوا يعيشون فى المنطقة وأصبح التوتسى يكوّنون الطبقة الأرستقراطية ذات النفوذ الشبه إقطاعى المتحكم فى البلاد ٠ ولكن نظام الحكم لم يستقر على هيئة حكومة مركزية كما حدث فى رواندا المجاورة بل كان نظاما إقطاعيا حتى وقعت البلاد فى نطاق المستعمرات الألمانية فى أواخر القرن التاسع عشر، غير

أن الألمان كانوا يرسلون إلى هناك من إرساليات التبشير أكثر مما يرسلون من الضباط والعسكريين وحكموا البلاد من خلال زعمائها الوطنيين، وفى خلال الحرب العالمية الأولى استولت القوات البلجيكية فى الكونجو المجاورة على الممتلكات الألمانية ثم انتقلت البلاد إلى وصاية عصبة الأمم ثم هيئة الأمم المتحدة حتى وصلت إلى الاستقلال عام١٩٦٢ • ولم يفعل الاستعمار البلجيكى أى شيء إلا تعميق الخلاف بين التوتسى والهوتو وتكريس الوضع السائد عن طريق الحكم غير المباشر بواسطة زعماء التوتسى المسيطرين،بل إن بعثات التبشير كانت تميل إلى استبعاد الأغلبية من الهوتو حتى من التعليم إلا بأعداد قليلة منهم.

وبالرغم من هذا النظام الطبقى المميز لطوائف التوتسى فقد نما فى داخل هذا النظام الاستقراطىالشعور المعادى للاستعمار البلجيكى وقاد بعض الأمراء الحركات التى انتهت إلى الاستقلال فى ظل هذا التوتر القبلى بين الفئتين المتصارعتين• وقد بدأ الاستقلال بنظام ملكى انتهى فى عام١٩٦٦ بانقلاب عسكرى وإعلان نظام جمهورى أعقبه انقلاب آخر عام ٧٦ يدعمه الرئيس باجازا الذى كان على رأس الدولة عند زيارتنا فى ١٩٨٣ وكان يتولى رئاسة الحزب الحاكم (الاتحاد من أجل التقدم) وكذلك قيادة الجيش•

وأغلبية سكان بوروندى من المسيحيين الكاثوليك مع أقلية بسيطة من البروتستانت وأخرى تدين بالديانات الافريقية التقليدية. أما المسلمون فهم حوالى ٢٠٠ ألف وهم موزعـــون بيـــن قبـــائل الهوتو والتوتسى بنفس نسبتهم العامة فى التركيبة السكانية تقريبا.

وعندما وصلنا إلى مطار بوجامبورا عاصمة بورونـــدى كان فى استقبالنا القائم بأعمال السفارة "الأستاذ طلعـــت ســلمى" ومدير مكتب وزير الصحة،وانتقلنا فـــى موكـــب مـــن ســـيارات الحكومة إلى فندق الميريديان – كانت المدينة تبدو فى الطريق من المطار إلى الفندق هادئة والشوارع نظيفة والفندق علـــى مســتوى فخم ومريح للغاية، وفى المساء كنا نلبى حفـــل اســتقبال أقامتـــه وزارة الصحة حضره عدد كبير من الخبراء المصرييـــن الذيـــن يعملون هناك فى مجالات الزراعة والعلوم والتدريس مع رجـــال السفارة المصرية وعميد كلية الطب وأساتذة الجامعة وكان حفـــلا طيبا للغاية.

وكان علىّ أن أتولى رئاسة الوفد إلى جـــانب انشـــغالى بالأمور التنظيمية، وعندما اجتمعنافى صباح اليوم التالى لوصولنـــا بوزير الصحة فى مكتبه قدمت بالطبع الاعتذار عن الدكتور رفيـــق زاهر عميد الكلية لاضطراره لقطع الرحلة وشـــرحت كيـــف أن جامعة الاسكندرية ووزارة الصحة المصرية معا حرصتـــا علـــى

تشكيل وفد يمثلهما معا للتعرف على مايمكن أن يعزز العلاقات الطبية بين البلدين •

كان وزير الصحة شابا أنيق الملبس وكان يتحدث بكلمات بسيطة ويعبر فى الوقت نفسه عن آمال كبيرة فى تحقيق هذا التعزيز فى العلاقات الطبية، وشكرنا الوزير مرة أخرى على ضيافة الحكومة لنا ثم انتقلنا إلى مستشفى الأمير ريجنت شارل بالعاصمة فاستقبلنا هناك مدير المنطقة الطبية ومدير المستشفى وتجولنا فى الأقسام المختلفة مشاهدين ومناقشين مع زملائنا الحالات المرضية •وقد أعجبنى نظام المبانى الصغيرة المنخفضة المتصلة ببعضها بممرات مغطاة وكذلك تصميم محطة التمريض فى القسم الباطنى فى منتصف المبنى كى تستطيع رئيسة التمريض من هذا الموقع المشاهدة والتحكم فى مختلف العنابر المتصلة •

ولاتستطيع عندما تقابل المواطنين هناك أن تتبين من هو الذى ينتمى إلى التوتسى ومن منهم من الهوتو أو هكذا على الأقل بالنسبة لنا، ولكننى لاحظت أن نسبة كبيرة منهم طوال القامة ودقيقو الملامح أشبه بالاثيوبيين•

أما الأطباء فكانوا خليطا من الدول الأجنبية من روسيا وفرنسا وبلجيكا، ولكن اللطيف جدا أنه كانت هناك طبيبة مصرية

وحيدة وهى فى الوقت نفسه حرم مستشـــار الســفارة المصريــة الأستاذ طلعت سلمى وعلمنا أنها تعمل بالمستشفى متطوعــة بــلا أجر، وهى صورة رائعة مـــن اندمـــاج زوجـات الدبلوماســيين المصريين فى المجتمعات الافريقية لم أر لها مثيلا فى أى زيــارة أخرى .

وعلمنا أيضا أن قدرا كبيرا من الأجهزة الطبية بالمستشفى هو هدايا من الدول المختلفة وكان من بينها أجهزة من اليابان .

عندما عدنا إلى الفندق أخذت أطل مـــن شــرفة الغرفــة المطلة على حمام السباحة الأنيق ثم إلى الأفق المـــترامى البعيــد وعلى مرمى البصر كان هناك منظر الخضرة الممتدة ثم بحــيرة تنجانيقا والجبال العالية عن يمين ويسار فـــى بانوراما ســاحرة الجمال .

ونظموا لنا أيضا رحلة سريعة إلـــى شــاطىء البحــيرة الشاسعة التى يبلغ طولها ٦٠٠ كيلو مترا والذى تقع عليه مدينـــة بوچامبورا وهو لايبعد كثيرا عن الفندق -وكان المنظــر خلابــا : الأرض رملية ناعمة وساحل البحيرة متدرج العمـــق والخضــرة المحيطة مع مناظر الجبال المرتفعة تتعانق معا فى جمـــال لايقــل عن روعة المناظر فى سويسرا ولكن الشمس كانت قوية جدا دون شعور بالحرارة الشديدة بسبب ارتفاع المنطقة هناك .

ولم يكن ممكنا البقاء طويلا للتمتع بهذا الجمال الساحر فقد كان علينا أن نزور كلية الطب فنقطع بالسيارات بعد أن غادرنا الطريق الرئيسى مجموعة من الطرق المليئة بالمطبات لنصل إلى الجامعة التى تضمها مبانى حديثة صغيرة متفرقة على هيئة أكشاك أنيقة، وقابلنا العميد وهو شاب أيضا فى الثلاثينيات من العمر ويعمل كذلك كأستاذ للطفيليات وقد رافقنا فى جولتنا. وشرحوا لنا كيف أن الكلية حديثة العمر وأن أول دفعة تخرج منها كانت فى نفس هذا العام وأن الطلاب قبل ذلك كانوا يبدأون الدراسة هناك ثم يسافرون إلى فرنسا لاستكمال التدريب الاكلينيكى قبل تخرجهم •

وزرنا أيضا مستشفى للأمراض النفسية والعقلية فى منطقة كامينيجى على بعد كيلومترين من العاصمة كان أصلا مخصصا كدير للرهبان ثم تحول بعد ذلك إلى هذا المستشفى الذى تنفق عليه الحكومتان البوروندية والبلجيكية معا، وحدث فى أثناء الزيارة أن كنا فى قاعة الاستقبال الرئيسية فشاهدنا على الحوائط مجموعة من اللوحات المصنوعة بمهارة يدوية من قشر أوراق وسيقان شجر الموز فى تكوينات فنية رائعة الدقة والجمال وعندما لاحظوا إعجابنا بها صدرت الأوامر للعاملين فقاموا على الفور برفع ثلاثة من هذه اللوحات من مكانها وقدموها هدية

للسيدات المرافقات لنا،وبالرغم من إلحاحهم اللطيف فقد شعرنا بالحرج من قبول هذه الهدية وصممنا على إرجاع اللوحات إلى مكانها معتذرين بلطف وشاكرين جدا هذه المجاملة الكريمة من جانبهم ...

وفى حفل العشاء الذى أقامه القائم بالسفارة الأستاذ طلعت كان هناك مايزيد عن خمسين مدعوا وكان بينهم السفير الفرنسى ومدير برنامج معونة اللاجئين وهومن تونس (الأستاذ عبده السيد) وقد شرح لى كيف أن اللاجئيين هناك عددهم حوالى ٢٠٠ ألف وهم قادمون من مختلف الدول المجاورة وأن هناك مجال لتقديم خدمات طبية لهم من جانب مصر التى ينظر إلى معوناتها بأنها لاتستهدف أى غرض يتجاوز الصداقة والتعاون الافريقى .

والتقى بى أحد الصحفيين البوروندييين وعلمت أنه قد أمضى سنة فى الولايات المتحدة، وهو يصدر الجريدة الوحيدة فى بوروندى، وأخذ يتطرق بالحديث للنواحى السياسية ملمحا لغياب الحريات السياسية فى البلاد، ولكننى كنت حذرا فى عدم التورط فى الحديث فيما لايجوز أن ندخل فيه خارج نطاق مهمتنا أو التدخل فى الشئون الداخلية للبلد المضيف لنا ..

وفى اليوم التالى لزيارتنا إلى بوروندى كان علينا أن نسافر إلى مدينة جيتيجا Gitega لزيارة أحد المستشفيات بها

وكذلك المدرسة الفنية الطبية،وهذه المدينة هـــى العاصـــة الثانيـــة لبوروندى وهى على بعـــد ١١٠ كيلومـــتر إلـــى الشـــرق مـــن بوجامبورا وتقع فى مكان مرتفع والطريق إليـــها طريـــق جبلـــى صاعد باستمرار وكنا نستقل ثلاثة سيارات وميكروباس تسير بنـــا وسط هذا الطريق الملىء بالمنحنيات المحاطة بغابات من أشـــجار الموز والنخيل وكلما كان الطريق يزداد بنا ارتفاعا كلما كان الجـو يميل إلى البرودة والمناظر مع الارتفاع تزداد روعة وجمالا كمـــا لو كنا وسط جبال أوربا لولا أن مناظر الأهالى علـــى الجـــانبين كانت تذكرنا بأننا فى افريقيا : أفواج مـــن الأشـــخاص يحملـــون مشنات عليها كميات هائلة من الموز، بعض الرجـــال يزرعـــون الأرض الشديدة الانحدار، منازل فى تجمعات متفرقة مقامة علـــى أعمدة خشبية مكسوة بالطين والبـــوص، الغابـــات ليســـت كثيفـــة والأرض فيها ذات تربة حمراء اللون ٠٠٠ ولاحظنا فى جـــانب من الطريق الجبلىمقعدًا علمنا أنه كان فـــى العـــهد الاســـتعمارى مخصصا ليجلس عليه المندوب السامى البلجيكى ليتمتع بـــالتطلع إلى المناظر الجميلة من هذا الموقع المرتفع ٠

ونصل أثناء الطريق إلى قرية جبلية صغيرة فى وســـطها ساحة يتوسطها علم ويبدو أنها ساحة المدرســـة ٠وعندمـــا يبلـــغ

الارتفاع درجة عاليه تبدأ الأشجار الصنوبرية فى الظهور والجـو يصبح باردا بدرجة ملحوظة .

وفى المدينة كانت زيارة المستشفى والمدرسة الفنية التـى يتدرب فيها الممرضون ثم دعوة علـى الغـداء مـن الحكومـة البوروندية قبل أن نسـلك طريـق العـودة مـرة أخـرى إلـى بوجامبورا.

* * * * * *

فى رواندا

بعد ثلاثة أيام أمضيناها فى بوروندى أخذنا طريقنا إلـى رواندا المجاورة فى رحلة بالطيران لم تستغرق إلا ثلاثين دقيقـة هبطنا بعدها فى مطار العاصمة كيجالى .

ورواندا الدولة الصغيرة الحجم على خريطة إفريقا هـى أيضا من أكثر بلاد افريقيا كثافة فى السكان ففى هـذه المسـاحة المحدودة شـأنها شـأن بورونـدى يعيـش حوالـى ٥ مليـون مواطن٨٥% منهم من الهوتو ١٥% من التوتسى أمـا البيجمـى السكان الأصليون فلايزيدون على ١%، وقبل استقلال هذه الدولـة عام١٩٦٢ ببضع سنوات كانت الغالبية من الهوتو قـد أطـاحوا بالملك المنتمى لقبائل التوتسى وأعقب ذلك قتل الآلاف من طبقـة التوتسى الحاكمة وطردهم إلى البلاد المجاورة ثم أعقب هذا بـدء

إنشاء جبهة من أبناء هــؤلاء المطروديــن لشــن حــرب أهليــة استمرت خلال السنوات التالية وأدت إلى مجازر هائلــة أطــاحت بمئات الألوف من الجانبين وفوضى سياسية عارمــــة وهجــرات جماعية من وإلى الدول المجاورة وتفاعلات دولية شديدة التعقيد•

غير أننا فى وقت زيارتنا للعاصمة لم نشهد من مظــــاهر التوتر السياسى والاجتماعى شيئا ملفتا للنظر بل كــانت مقابلاتنــا للمسئولين بالوزارة غاية فى النعومة والهدوء•

وسكان رواندا ثلاثة أرباعهم مســـيحيون وأغلبــهم مــن الكاثوليك والباقى يدينون بالديانات الافريقيـــة التقليديــة ولايزيــد المسلمون هناك عن ١% من السكان •

وللأسف لا أستطيع تتبع تفاصيل زيارتنــا إلــى روانــدا بالدقة اللازمة لفقد الجزء من تسجيلاتى الخطية والصوتية الخاص بهذه الزيارة دون غيرها من كافة الرحــــلات الافريقيــة الثلاثــة ولذلك فإننى أعتمد على الذاكرة وحدها، ففى روانــدا أذكــر أننــا استطعنا أن ننجز شيئا هاما، فقد كان على مايبدو هنـــاك اتفاقيــة متعثرة بين البلدين فى شأن التعاون الفنى وقــد أبلغتنــا الســفارة المصرية أنه قد تم التفاهم بهذا الشأن بين الطرفين خلال زيارتنــا وقد سهلت الزيارة ذلك •

وأذكر أيضا أننا كنا نقيم فى فندق أكاچيرا ويقــــع علـــى ربوة تطل على مناظر ساحرة حول مدينة كيجالى وفـــى إحـــدى وجبات العشاء فى تراس بديع بهذا الفندق عرضوا علينا اختيارات متعددة كان من بينها طبق من لحم الغزال، وتصورنا أنه تجربـــة جديدة وتوقعنا أن يكون اللحم رقيقا فى رقة الغزال ثم فوجئنا بـــأن هذا اللحم كان شديد الصلابة حتى يخيل اليك أنه لحم فيل ...!

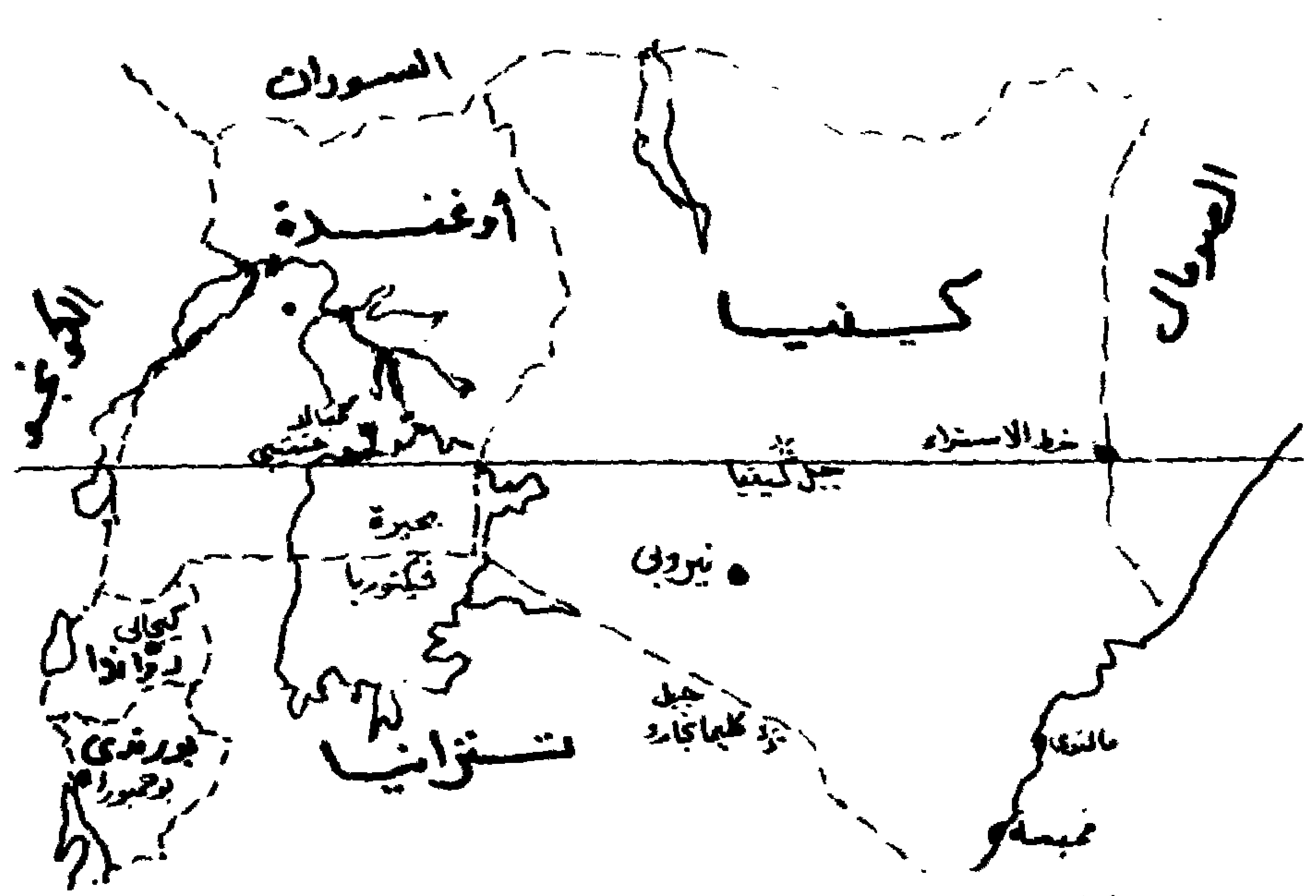
وأذكر أنه عند عودتنا من زيارة أحـــد المستشـفيات خـــارج العاصمة تعرضنا لمخاطرة كبيرة كادت تمزق أعصابنا، فقد كـــان الوقت مساءا وبالرغم من أن الجو بالنهار كــــان صحـــوا إلا أن شهر يناير كان ضمن واحد من الموسمين الممطرين فى البـــلاد، وسرعان ماهبت عاصفة رعدية ممطرة، وأخذ سائق الميكروبـــاس الذى كنا فيه يتمرجح بالمركبة ذات اليميـــن وذات اليســـار علـــى أرض موحلة وفى طريق كثير المنحنيـــات وهـــو لايكـــاد يـــرى الطريق أمامه بسبب تعطل مساحات المطر، وقضينا فــــى هـــذا الجو المرعب مايقرب من ساعة كاملة كان يسود بيننـــا الصمـــت الرهيب إلا من همسات بالدعاء إلى الله أن نعود للفنـــدق ســـالمين بعد أن كادت أنفاسنا أن تتوقف من الرعب .

وكانت هناك مخاطرة أخرى فقد كنا نقوم بإحدى رحـــلات السفارى فى منطقة أكاجيرا التى تحيط بها الغابـــــات الاســـتوائية

وكان الجو بديعا، وفجأة اكتشفنا وجود ذبابة داخل الأتوبيس الـذى يقلنا تحدث طنينا مزعجا، وبالطبع كنا نعلم أن ذبابة التسى تسـى Tse Tse الشهيرة التى تسبب مرض النـوم القـاتل تسـتطوطن الغابات الاستوائية فكان علينـا أن نحـاول طردهـا مـن نـافذة الأتوبيس، وفجأة صاح زميلنا الأستاذ الدكتور نبيه سلامه أسـتاذ الأمراض الجلدية لأنه شعر بألم فى ساقه مؤكـدا أنـه تعـرض لقرصة من إحدى الحشرات، وبدأ القلق من أن يكون هذا الاعتـداء على الدكتور نبيه صادرا من الذبابة فأقفلنا نوافذ الأتوبيس وتعاونـا جميعا على اصطياد تلك الذبابة، وقامت زميلتنا الأستاذة الدكتـورة ماجده ميشيل وهى أستاذة الطفيليـات التـى تعـرف مـن هـذا الموضوع أكثر منا بالتعرف على طبيعة الذبابة فأكدت لنا أنها مـن نوع التسى تسى فعلا ...

ولك أن تتصور مدى الهلع الذى أصاب الدكتـور نبيـه والقلق المماثل الذى أصابنا جميعا خاصة وأنه فى خـلال سـاعة واحدة كانت ساق الدكتور نبيه قد أصابها ورم ظـاهر يؤكـد أن الأمر ليس مجرد تخيلات من جانبه، وأمضينا بعد ذلك بضعة أيـام فى غاية القلق حتى انتهت هذه الأزمة بسـلام ولـم تحـدث أى أعراض أخرى والحمد لله .

كينيا



كانت نيروبى عاصمة كينيا هى المحطة الأخيرة فى رحلاتنا الثلاث إلى الدول الإفريقية ويبدو أن وزارة الخارجية كانت تعطى لزيارتنا هذه جانبا كبيرا من الاهتمام وكذلك كانت سفارتنا هناك فعند وصولنا إلى المطار وقبل انتهاء إجراءات الاستقبال كان بين أيدينا نشرة أعدتها السفارة عن البرنامج المعد للزيارة بالتفصيل إلى جانب تقرير مفصل بالمعلومات الوافية عن كينيا الدولة والناس مع خلفية وافية من المعلومات عن علاقات مصر بهذه الدولة بل ومعلومات مفصلة عن الشخصيات الكينية التى سوف نقابلها فى وزارة الصحة أو الجامعة، وقد أعجبت

كثيرا بهذا الإعداد الجيد للزيارة الذى كان له أكبر الأثر فى سهولة التفاهم بيننا وبين مضيفينا، وكان هذا الترتيب الدقيق على النقيض تماما مما جرى فى رحلتنا الأولى لكينيا فى عام ١٩٧٠.

وكالعادة كان الاستقبال رسميا فى المطار وشارك فيه مندوبو وزارة الصحة والجامعة بالاضافة إلى رجال السفارة المصرية وتوجهنا من هناك للاقامة فى فندق انتركونتننتال ثم كان علينا أن نتوجه بعد الظهر إلى كلية الطب لزيارة العميد الدكتور ماتى Mati وهو أستاذ أمراض النساء والتوليد أيضا وكذلك أساتذة الكلية ومقابلة الأطباء المصريين الذين يعملون بمستشفى كينياتا الجامعى ٠

وكلية الطب هذه بدأت فى عام ١٩٦٨ وأقسامها العلمية تقع داخل الحرم الجامعى ولكن أقسامها الاكلينيكية توجد على بعد ثلاثة كيلومترات فى مستشفى كينياتا الوطنى، وقد بلغت هذه الكلية عند زيارتنا عام ١٩٨٣ المرحلة من النضج التى تؤهلها لمنح درجات الدكتوراه والماجستير بالاضافة لدرجات البكالوريوس فى الطب والجراحة، ويضم المجمع الطبى بها أيضا كليات الصيدلة وطب الأسنان ومعهدا عاليا للتمريض وقد تخرج من هذا المعهد الدفعة الأولى من مدرسى التمريض عام١٩٧٠ ثم تخرج الأطباء فى ١٩٧٢ وبعد ذلك بسنوات على التوالى

الصيادلة عام ٧٤ وأطباء الأسنان عام ٧٨ ٠ ولاحظنا أن الدراسة تتبع الأسلوب الحديث فى التكامل والترابط integration كما أن الامتحانات هناك كانت قد بدأت فى تطبيق الأساليب الحديثة أيضا مثل نظم الأسئلة ذات الاختيارات المتعددة،وباختصار وجدنا هنالك تطبيقا عمليا لكل ماكنا قد قطعنا فى الاسكندرية فيه مرحلة طويلة من وسائل تطوير العملية التعليمية بين المناقشة والدراسة والتطبيق الحذر، وبصراحة شديدة فقد انتابنى شعور بأنهم كانوا فى نيروبى أكثر التزاما بتطبيق هذه النظم مما كنا نحن عليه حتى ذلك الوقت ٠

وفى مساء يوم وصولنا كنا نتمتع بعشاء رسمى فى دار السفارة المصرية حضره عدد كبير من مسئولى الجامعة ووزارة الصحة والأطباء المصريين فى كينيا ٠

وقابلنا وزير الصحة الدكتور موكاسا مانجو فى صباح اليوم التالى وهو حاصل على الدكتوراه فى العلوم من الولايات المتحدة وعضو فى جمعيات علمية متعددة وهو فى الوقت نفسه عضو مدى الحياة فى حزب كانو الحاكم وعضو بالبرلمان وكان ترحيبه بنا واضح الاهتمام بتوثيق العلاقات الطبية بمصر لاعتقاده بأنها من الدول المتقدمة فى المجال الطبى وكان سعيدا جدا بأنه

زامل أثناء دراسته فى الولايات المتحـــدة عـــددا مـــن الأطبـــاء المصريين وأدرك مدى ارتفاع مستواهم العلمى ٠

وبعد مقابلة وزير الصحة أنجزنا برنامجا طويلا فذهبنـــا إلى "نييرى" لزيارة المستشفى الجامعى وفى الطريق قمنا بزيـــارة لمستشفى "ماراجو" والمركز الطبى ومستشفى "مورانجا" كما قمنـــا بزيارة عيادة طبية بجوار نييرى ٠

أما اليوم التالى فقد انقسمنا فيه إلى قسمين فذهب أغلبنـــا للقاء الأساتذة الزملاء من تخصصاتهم بالأقسام المختلفة وذهبـــت أنا والدكتور عمر شافعى لتسجيل برنـــامج بـــالتليفزيون الكينـــى لشرح أهداف زيارتنا والاجابة على التساؤلات العديدة عن آفـــاق التعاون فى المستقبل بين البلدين٠

وفى المساء اجتمعنا بمنزل السفير فـــى حفـــل اســـتقبال دارت فيه أحاديث الطب والسياسة وتبادل المعلومات، وكان مـــن المعلوم أن نظام الحكم المعتمد على الحـــزب الواحـــد (كـــانو) أو الحزب الوطنى الافريقى هو نظام جمهورى رئاسى بـــه مجلـــس برلمانى فى بلد يضم حوالى ١٦ مليون نسمة من بينـــهم بعـــض الأسيويين والأوروبين والعرب ٠

واللغة الرسمية فى البلاد هى الانجليزية بالاضافـــة إلـــى السواحيلية، والديانات الشائعة هى المسيحية ثم الاســـلام والثلـــث

هناك من أصحاب الديانات الأفريقية التقليدية ، والشعب يتألف من عدة طوائف عرقية افريقية (الكيكويووالمساى والصومـاليون) وأقلية غير افريقية من السواحليين المخلطين من العرب والأفارقة والأسيويين .

وعلمنا أن العلاقات بين كينيا ومصر طيبة للغاية باعتبارهما أعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية أما العلاقات الثقافية فهى بوجه خاص قوية جدا عن طريق المنح الدراسية فى مصر للدراسة بالأزهر الشريف ووجود مبعوثين من الأزهر الشريف أيضا لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامى ووجود عدد كبير من الأطباء المصريين والمهندسين فى مجالات الرى والمياه بالاضافة إلى منح التدريب الفنى فى مختلف المجالات فى الزراعة والصناعة والإعلام والعلوم التطبيقية، ويقوم على تنفيذ هذه البرامج الصندوق المصرىللتعاون الفنى مع افريقيا .

وكانت كينيا فى ذلك الوقت هى العضو الذى يرأس منظمة الوحدة الأفريقية وكانت تقف موقفا سياسيا واضحا فى تأييد الاتجاه المصرى للسلام فى الشرق الأوسط وتدين الاعتداءات الاسرائيلية بالرغم من ارتباطها بعلاقات وثيقة مع اسرائيل فى مجالات التعاون التجارى والأمنى والمعونة العسكرية.

وفى مناقشاتنا فى هذا اللقاء مع نظرائنا مـــن رجـــال الجامعة والأطباء كنت أشعر أننا كنا نحقق بنجاح مهمتنا الســامية فى دعم الصداقة مع دولة إفريقية لها وزن كبير فى شرق افريقيـا وفى القارة السوداء بوجه عام ٠

* * * *

وفى يوم الجمعـــة ١٨ فــبراير ١٩٨٣ كــانت الطــائرة المصرية تغادر مطار نيروبى لتعود بنا إلى أرض الوطن بعـــد غياب دام ثلاثة وثلاثين يوما لينتهى بذلك برنامج الرحلة الثالثـــة من رحلاتنا إلى القارة الافريقية ٠



حديث تليفزيونى من منزل السفير (لاجوس ١٩٨٣)



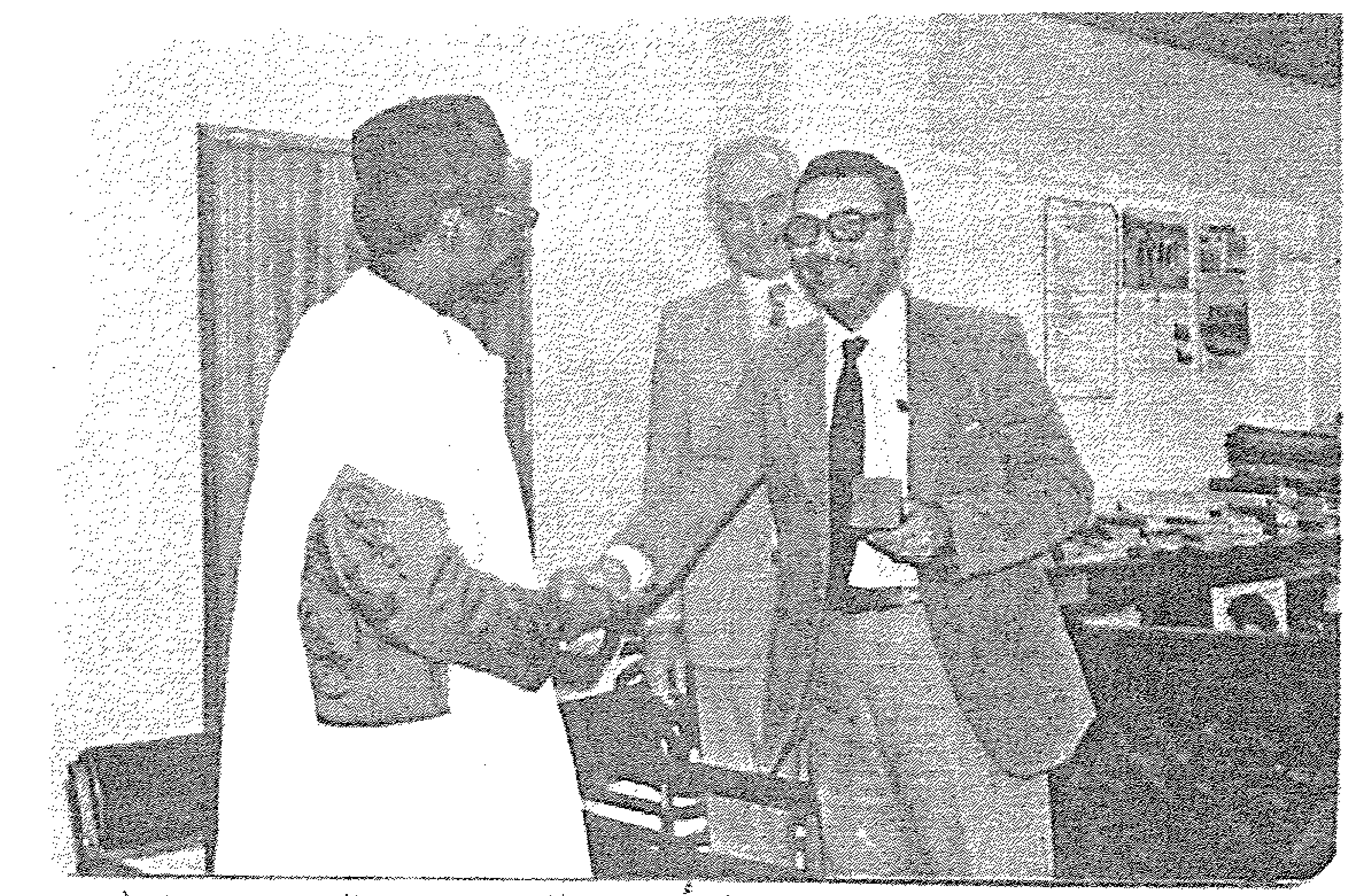
لقاءات فى السفارة المصرية فى لاجوس (١٩٨٣)



بالملابس الوطنية النيجيرية استعدادا للقاء الأوبا (نيجيريا ١٩٨٣)



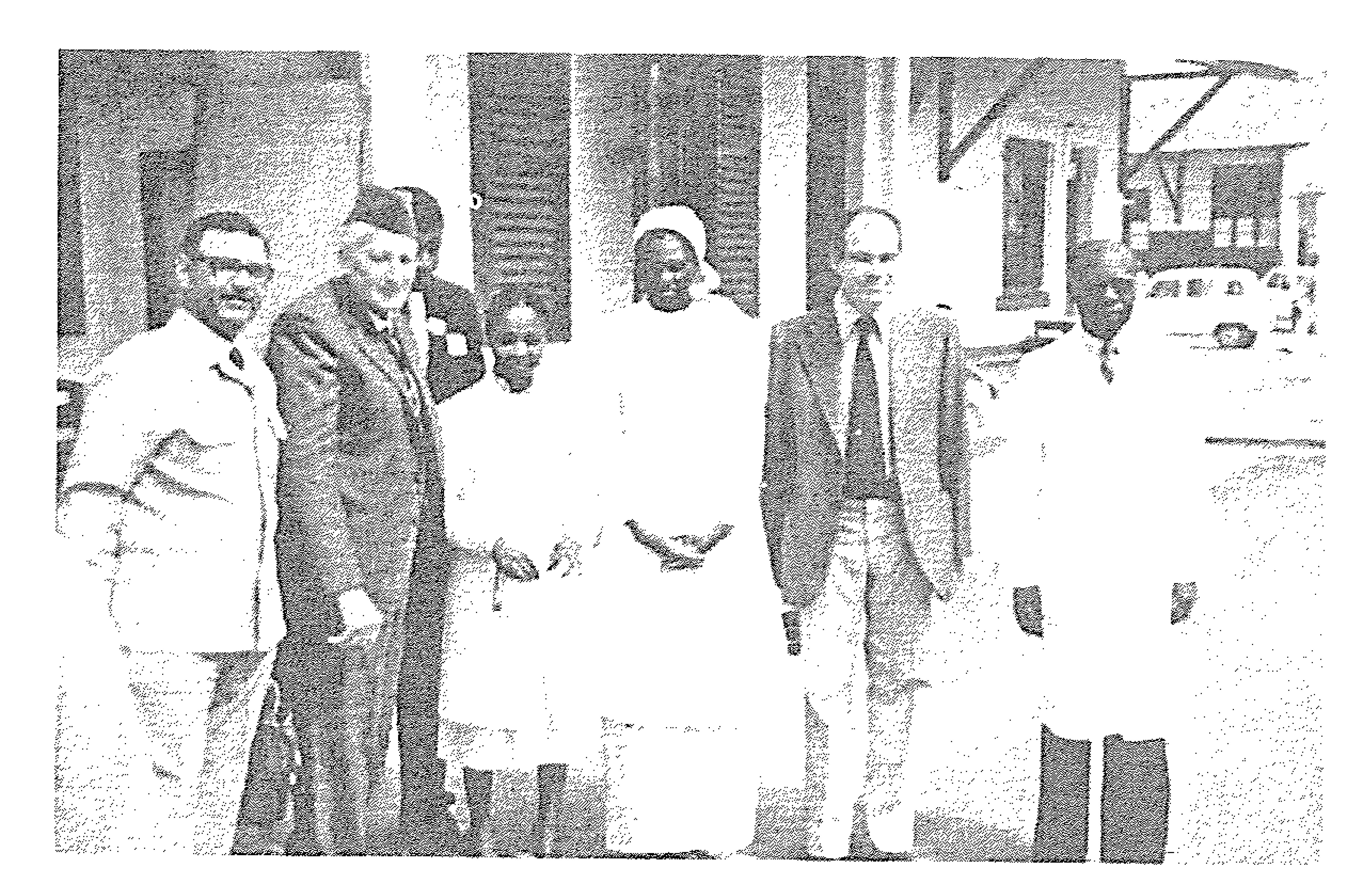
مع أساتذة جامعة إبادان (نيجيريا ١٩٨٣)



ميدالية تذكارية من مدير جامعة أحمدوبللو فى شمال نيجيريا (١٩٨٣)



بعد اللقاء مع الأوبا فى مدينة بداجرى (نيجيريا ١٩٨٣)



فى المستشفى الجامعى ياوندى (الكاميرون ١٩٨٣)



تسليم درع البعثة التذكارى لمدير الجامعة (الكاميرون ١٩٨٣)



فى معامل الأبحاث فى فرانسڤيل (الجابون ١٩٨٣)



ندوة مشتركة فى تليفزيون ليبرڤيل (الجابون ١٩٨٣)

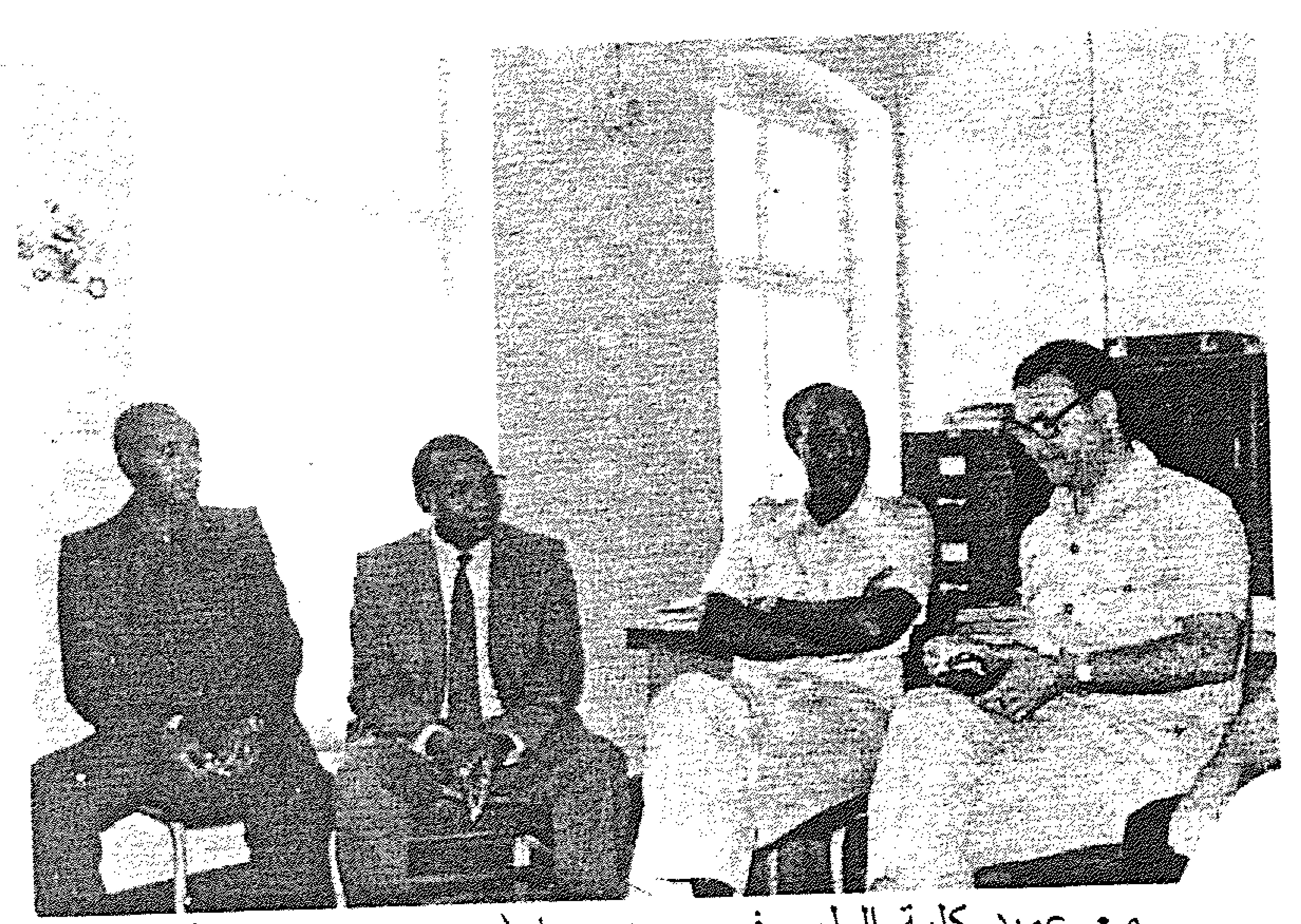


مستشفى كيسانتو زائير (١٩٨٣)الترحيب بالوفد الزائر

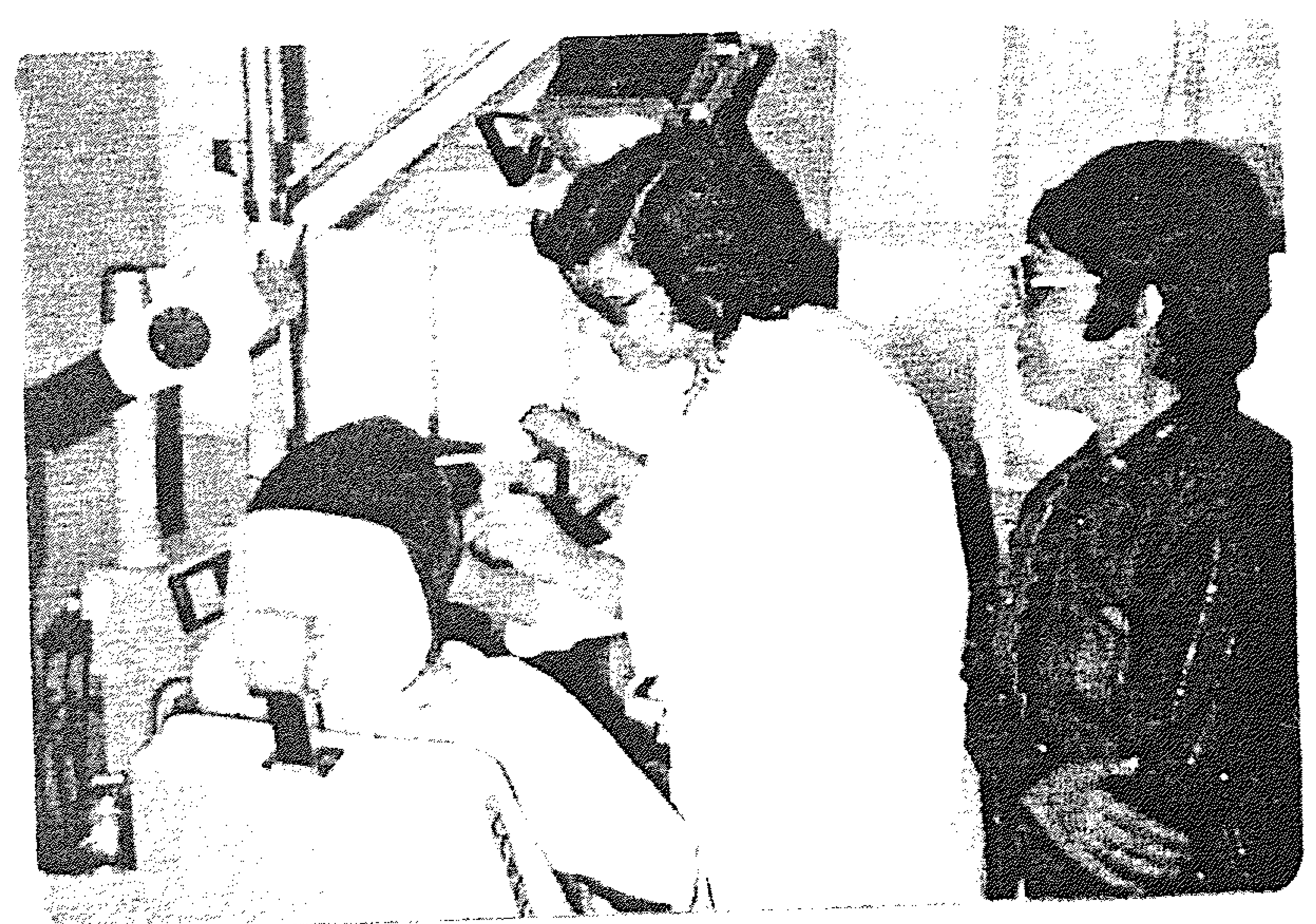


أمام مستشفى كيسانتو - أهالى المرضى يعدون لهم الطعام خارج

المستشفى (١٩٨٣)



مع عميد كلية الطب فى بوجمبورا (بوروندى ١٩٨٣)



فى بورندى د. نادية / حرم المستشار سلمى بالسفارة المصرية تعمل طبيبة أسنان متطوعة بمستشفى الأمير ريجنت شارل (١٩٨٣)



زيارة وحدة ريفية فى رواندا (١٩٨٣)



زيارة وحدة ريفية فى بوروندى (١٩٨٣)



فى المستشفى الجامعى بكيجالى (رواندا ١٩٨٣)



سفارى رواندا (١٩٨٣)



تسليم درع البعثة الثالثة الى عميد كلية الطب فى بوچامبورا
بوروندى (١٩٨٣)



أمام المسجد الكبير فى نيروبى - نهاية الرحلة الثالثة (١٩٨٣)

خاتمة

والآن أيها القارىء الكريم لعلّنى استطعت أن أوصل إليــك الرسالة التى قصدتها من هذا الكتاب بعد أن استدعى منى إعـداده أن أعيد قراءة مئات من صفحات المذكرات الخطيـة وأن أعيـد الاستماع إلى مايزيد عن أربعين ساعة مـن التسـجيلات علـى شرائط صوتية وأن اختار مجموعة محدودة من بيـن آلاف مـن الصور التى التقطتها وان أعيد مشاهدة العديد من شرائط السـينما والفيديو التى سجلت فيها تلك الرحلات الثلاث إلى الدول الافريقية ثم قمت باختيار نماذج محدودة جدا من الوثائق والصور مما نشر فى الصحف المصرية والافريقية عن مهمتنا فى هذه الدول ٠

ولعل السؤال الأهم من ذلك هو هل تمت هـذه الرحـلات على الصورة التى كان يجب أن تكون عليها، وهل حققت بـالفعل أهدافها العاجلة والآجلة ؟ ومن وجهه نظرى – التـى أرجـو أن أكون فيها منصفا لنفسى ولزملائى ولأفاضل الناس الذين دعمـوا عملنا فى جميع خطواته ومراحله، وبلا انزلاق إلـى إدعـاء أو غرور لقد حققت هذه الرحلات أهدافها بدرجة مرضيـة تمامـا وكانت عملا رائدا بأصدق المقاييس وأعد لها٠

لقد كان الفكر من وراء هذا العمل، ثـــم التخطيــط الدقيــق والتنفيذ المحكم بعد ذلك هو الدعامة التى ساندت الحماس الشـــديد الذى بدأ به فكر صاحبته نية طيبة على العطاء فى سبيل تحقيـــق هدف نبيل، وكان من شأن ذلك كله وجود ظاهرة نستطيع التوقف عندها لنتأملها جيدا، وهى ظاهرة تصاعد الاهتمام بهذا العمل ثـــم دعمه من جانب المسئولين، لأن فى رصد هذه الظاهرة بــــالذات درس مفيد لكل صاحب فكر لايكتفى بعرض الأفكار وإنما يعمــل بمثابرة على تنفيذها، ولمزيد من التوضيح أســـتطيع أن أرصــد نماذج من اهتمام هؤلاء المسئولين الذين أقصدهم،وعلـــى ســبيل المثال فإن عميد كلية الطب أثناء الرحلة الأولى – الأستاذ الدكتور أحمد السيد درويش صاحب الفضل الذى لاينكر فى ميـــلاد هــذا العمل كان دوره هو تشجيع الفكرة ودعمها بقـــوة، ثــم حــرص العمداء بعد ذلك على التوالى على المشاركة الفعلية فى الرحــلات الثانية والثالثة ورئاستها، ولنأخذ بعد ذلك وزارة التعليـــم العـــالى فنجد أن وزير التعليم العالى يبدأ فى الرحلة الأولى مـــن موقـــع المسئولية التى يحملها بلاشك متحفظا بوضع الضوابط والشــروط لضمان نجاحها والتأكد من وجود مصادر سليمة لتمويلها ثم يجىء وزراء التعليم العالى بعد ذلك ليضعوا إمكانيات الوزارة والجامعة كلها فى خدمة الرحلات التالية ويتولون عنا الجانب الأكبر مـــن

الأعباء المادية وتكاليف السفر والاقامة، أمـــا إذا وصلنـــا إلـــى المسئولين على مستوى وزارة الخارجية فإن هـــذه الظـــاهرة – ظاهرة تصاعد الاهتمام والدعم – تتجلى بأوضح مايمكن، ففـــى الرحلة الأولى كان علينا أن نخطر من باب أداء الواجب سفاراتنا فى الدول الافريقية، واستطاع كثير من السادة السفراء فى الواقـــع أن يلتقطوا الخط ويقومون – بمبادرات تكاد أن تكون من أنفســـهم – بالعمل على الاستفادة والإفادة من واقع الزيارة ثم قاموا بـــأداء مهمتهم خير أداء، ولعل أبرز هؤلاء كان السفير حسن عصمـــت فى اثيوبيا ٠٠ولكننا بعد ذلك نرى فى الرحلات التاليـــة أن وزارة الخارجية وقد لمست نتائج هذا العمل غير المسبوق الذى قام بـــه أساتذة كلية الطب تضع كافة إمكانياتها فى التخطيط الجيد والتنظيم الدقيق لاستقبال أعضاء البعثة الثانيةوتدبير شئونهم ولقاءاتهم فـــى الدول الافريقية ودعم جهودهم، ثم تصل ذروة التصـــــاعد فـــى الاهتمام بأن تشارك الادارة المعنية فى وزارة الخارجية بعد ذلـــك فى رسم خط سير البعثة الثالثة وإعطاء الأساتذة شرف أن يكونوا ممثلين شبه دبلوماسيين أو سفراء لبلادهـــم للعمـــل علـــى دعـــم العلاقات مع الدول الصديقة، ليس فقط على مستوى العمل الطبـــى والجامعى وانما على المستوى السياسى العام ٠

وانتقل بعد هذا إلى السؤال الأكثر أهمية وهو هل حققت هذه البعثات أهدافها على المستوى الآجل والعاجل أم أخفقت فى ذلك ؟

وعلى المستوى العاجل فإنه من العبث أن نتشكك لحظة واحدة فى أن تلك الأهداف قد تحققت بدرجة جاوزت كل ماكان متوقعا منها، وهو مايتجلى بوضوح فى تعليقات أكثر الناس إحساسا بها ومعايشة لوقائعها وهم سفراء مصر فى الدول الافريقية، فقد تجاوزت تصريحاتهم وتقاريرهم الحدود فى الاشادة بالنتائج العاجلة لهذه البعثات فى دعم أعمالهم،كما أنه لو أننا تناولنا تصريحات كبار المسئولين والقادة فى الدول المضيفة بالتحليل الدقيق بعد خصم مالا بد منه من كلمات الترحيب والمجاملة فإن بعضا من ذلك كله قد وصل إلى التأكيد بأن ماحققته هذه الزيارات فى بعض الأحيان قد جاوز ماتقوم به السياسة المباشرة فى دعم فكرة الوحدة الإفريقية .

أما إذا أخذنا مقياس الرأى العام ممثلا فى وسائل الإعلام من صحف وإذاعة وتليفزيون فإن الاهتمام المفرط بمتابعة وصول البعثات وأعمالها هو الدليل المؤكد على نجاح التأثير العاجل والمباشر فى تحقيق الأهداف ، ولاينقص من ذلك كثيرا ظاهرة أن اهتمام الصحافة والاعلام المصرى كان أقل بكثير من اهتمام الاعلام الإفريقى بالرغم من وجود مرافقين صحفيين مصريين فى

رحلتين على الأقل من الرحلات الثلاث، غير أن هذا الأمر قـــد تعودناه - وأقصد نحن رجال العلم وأساتذة الجامعات - فنحـن لا نتأثر كثيرا عندما تهتم الصحافة والاعلام عندنا بأسـفار الفنـانين وأبطال الرياضة وانجازاتهم بأضعاف ماتهتم بــه مـن أخبارنـا وانجازاتنا، والواقع أن ذلك هو مايحدث فى كثير من الدول حتـى المتقدمة منها .

ولاأريد أن أكون مبالغا إذا قلت أن النتائج العاجلة قد حققـت نجاحا هائلا ولكننا قصرنا بعد ذلك فى تحقيق المتابعـة اللازمـة للنتائج الآجلة وهى عنصر جد هام فى تأكيد النجاح البعيد المـدى، فقد كانت آمال مضيفينا مـن المسـئولين بالجامعـات الافريقيـة ووزارات الصحة وآمال سفرائنا فى هذه الدول أن تكون رحلاتنـا الرائدة هذه بداية لسلسلة متصلة من الزيارات المتبادلة والأبحـاث العلمية المشتركة واللقاءات وبرامج التعاون الفنى فـى المجـالات الطبية وإيفاد مزيد من المتخصصين من الأطبـاء والممرضـات والأساتذة من مصر للدول الافريقية، ولقد كنت أتصور أن تقـوم جهات مسئولة بمتابعة هذه المهمة التى لايمكن أن نتحملـها نحـن الرواد وحدنا كأفراد وبصورة متواصلة، وهذه الجهات المسـئولة بالطبع هى كليات الطب والجامعات ووزارة الصحة،وقد قدمـت بالفعل توصياتى بهذا كله فى الوقـت المناسـب كتابـة وقـولا.

وبالرغم من أننى لاأستطيع الإدعاء بـــالعلم بكــل مـــاتم خـــلال السنوات العشرين الماضية فى هذا المجال فإننى أعلم أن قصـــورا ما قد حدث فى استمرار هذا النوع من النشاط الثقافى ذى الطـــابع الدولى • ولاأعفى أيضا زملاءنا الأساتذة من الأجيـــال المتعاقبـــة بعدنا من تلك المسئولية وربما أسمح لنفسى أن أسال: كم واحد من أساتذة كلية الطب فى الاسكندرية بوجه خاص قد فكـــر أو عمـــل على استمرارية هذه الزيارات، ولايمكن قبول أى عذر عن غيـــاب الحماس لدى شباب الأساتذة بدعوى وجود أيـــة صعوبـــات فمـــن المؤكد أن الخلفية التاريخية لنجاح رحلاتنا بين ١٩٧٠إلـــى ١٩٨٣ كفيلة بدفع أصحاب القرار والمسئولية لدعم أى جهد يبدأ فى هـــذا المجال •

وإلى هنا يجب أن نتوقف عن النقد حتى ولو كـــان نقـــدا بناءا أو نقدا للذات فنتطلع إلى تخطيط مستقبل أكثر إشراقا وأدعـــى إلى إدراك نتائج ذات نفس طويل •

وفى البداية لابد من وضع خطة مشتركة بين كـــل مـــن الجامعة ووزارة التعليم العالى ووزارة الصحة ووزارة الخارجيـــة فتتعاون وتتكامل جهود هذه الجهات المسئولة كلها فى تلك الخطة.

ولابد أن تشتمل هذه الخطة على جميع البنود والأنشطة التـــى تأكد لنا ضرورة تواجدها واستمرارها ونموها، من تبادل الأســـاتذة

والطلاب والمنح الدراسية وإجراء البحوث المشـــتركة للمشـــاكل الطبية الافريقية وتنسيق الجـــهود بيـــن الوفـــود الافريقيـــة فـــى المؤتمرات واللقاءات الدولية .

ولابد من أن تشتمل الخطة على تفـــهم دقيـــق لاحتياجـــات الدول الافريقية الصديقة بصورة عملية، وعلى سبيل المثال فـــإن ماتحتاجه الدول الناطقة بالفرنسية هو أطباء مصريـــون يتقنـــون الحديث بالفرنسية وهم متوفرون بحمد الله ممن سبق لهم الدراسـة الثانوية بالمدارس الفرنسية. وقد يكون من المفيد مراعاة أن يكون بعض الموفدين للدول أيضا من خريجى كلية طب الأزهر بوجـــه خاص وهو مايفترض فيهم إلمام بدرجة أكـــبر بـــالعلوم الدينيـــة الاسلامية، فكثير من الدول الافريقية متشوقون لهذا النـــوع مـــن الطبيب الذى يخدم فى أكثر من مجال، ويكفى أن نتذكر أن الطب والتمريض فى أغلب الدول الافريقية قد بـــدأ علـــى يـــد رجـــال الارساليات الدينية المسيحية منذ وقت طويل ...

كما لابد فى نظرى أن تكون أهداف العمل الثقافى واعيـــة تماما للجانب السياسى الهام جدا، فلانندفع إلى التدخل فى الشـــئون السياسية الداخلية المباشرة فى الدول المضيفة، ولانندفـــع لفكـــر خاطىء من ضرورة أن يحل الطبيب المصرى محـــل الأطبـــاء الأجانب والأوروبيين بوجه خاص بغرض إزاحتهم، بل يجـــب أن

يكون مدخل الطب المصرى لافريقيا من باب الصداقة والعطاء والاحترام المتبادل والتعاون مع كافة الأطراف هناك .

ولعله من المناسب أن أذكر هنا أننى على المستوى الشخصى لم أكف مطلقا عن متابعة الاهتمام بالشئون الافريقية فقد عملت على دعم صلتى المباشرة بعدد هائل من الأساتذة والأطباء الافريقيين الذين لاقيتهم فى المؤتمرات الدولية العديدة خلال الثمانينيات والتسعينيات، وتصادقت مع من تزاملت معهم فى المجالس القيادية بالمنظمات الدولية وعلى رأسها الاتحاد الدولى للسكر الذى مارست فيها نشاطا متصلا، ثم قمت بعد ذلك بمشاركة هؤلاء الزملاء الأفريقيين فى إنشاء منظمة إفريقية لدراسة مرض السكر وهو مجال تخصصى العلمى توليت فيه مناصب قيادية (عملت نائب رئيس هذه المنظمة وأمينا عاما لها) وكان من شأن هذا كله ونتائجه المباشرة قدر هائل من الصداقات الشخصية التى كانت دائما تدعم انتخابى مرة تلو الأخرى بأصوات صديقة من القارة الافريقية ولقاءات مليئة بالمودة البالغة فى زياراتى المتعددة فى ظروف مختلفة لعدد من هذه الدول (غانا – الكاميرون – كينيا – تنزانيا) وهكذا فإننى على المستوى الشخصى لابد أن أكون شاكرا حامدا لله فضله على ذلك

المردود الكبير من ذلك الاهتمام الشـــخصى بالقــارة الســوداء، ولكننى أتطلع بالطبع إلى نتائج تتجاوز هذه المصلحة الذاتية

وقد يكون هناك الكثير أيضا مما يمكن أن يطرح من أفكــار، ولكننى أختم هذا الكتاب بأمنية تراود نفسى وهــى أن تبـدأ فــى أقرب وقت الرحلات الافريقية الرابعة والخامسة وحتى العاشــرة، وأن تصل إلى جميع دول القارة الافريقية بلا استثناء، وأن تشترك فى هذه الرحلات كليات الطب المصرية كلها فى أعمال مشتركة.

إننى أدعو الله أن أشهد هذا الحدث وأرجو أن يكون ســـبحانه وتعالى مجيبا للدعاء .



حققت اتصالاتى وصداقاتى المستمرة مع الزملاء الأفريقين قــاعدة ضخمة من الدعم المستمر فى زياراتى للدول الأفريقية ومواقفـــى فى المؤتمرات والمنظمات الدولية .



سفارة جمهورية مصر العربية
المكتب الاعلامي
كنشاسا

بشأن : برقية صحفية .

تحريراً في ٨ / ٢ / ٨٣

رقم القيد ٩٠
رقم الملف ص/ ٧ / ٢
مرفقات —

برقية صحفية رقم [٩٠]
بتاريخ اليوم ١٩٨٣/٢/٨.

من المكتب الاعلامي في كينشاسا:
الى السيد رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للاستعلامات بالقاهرة

__وفد أساتذة كلية الطب جامعة الاسكندرية :—__

قام وفد أساتذة كلية الطب جامعة الاسكندرية الذى يزور كينشاسا في الوقت الحالي بزيارة كلية الطب بجامعة كينشاسا أمس حيث ألقى الاساتذة محاضرات في فروع تخصصاتهم المختلفة فضلا عن اجراء الفحوص وبعض العمليات الجراحية وكان ذلك كله موضع تقدير الاساتذة الزائيريين .

وفي المساء قدم التلفزيون الزائيرى مقابلة مع الدكتور / رفيق زاهر عميد كلية الطب بجامعة الاسكندرية ورئيس الوفد حيث نوه بالغرض من زيارة الوفد المصرى وهو توثيق علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين في المجالات الطبية ، وأعرب عن استعداد جامعة الاسكندرية على وجه الخصوص لاستقبال الراغبين في الدراسات العاليا في فروع الطب المختلفة.

هذا ويغادر الوفد المصرى كينشاسا اليوم الى رواندا ، ثم الى كينيا بعد ذلك لاستكمال جولته في افريقيا .

المستشار الاعلامي
كينشاسا .

سعد مصطفى العسيرانى

Le Renouveau du Burundi

QUOTIDIEN

DELEGATION MEDICALE EGYPTIENNE



Une délégation égyptienne de dix médecins est arrivée mardi 8 février après-midi à Bujumbura dans le cadre des consultations avec les autorités burundaises du ministère de la Santé Publique.

Ce mercredi matin, la délégation a été reçue par le ministre de la Santé Publique le Major [illegible] et a visité certaines infrastructures sanitaires notamment l'hôpital Prince Régent Charles et le centre neuro-psychiatrique de Kamenge.

La délégation a également visité la faculté de médecine de l'Université du Burundi.

Le 11 février 1983, la délégation se rendra en province Gitega où il est prévu une visite de l'Ecole paramédicale, de l'hôpital de Gitega et du musée national.

Le lendemain, les médecins égyptiens donneront une conférence à l'Université du Burundi et tiendront une réunion de synthèse avec le ministre de la Santé Publique.

Notre photo montre, la délégation égyptienne à son arrivée à l'aéroport de Bujumbura.

سفارة جمهورية مصر العربية
نيروبي
المكتب الصحفي

٨٢ / ح٦

تقرير
عن التغطية الاعلامية لزيارة وفد أساتذة
كلية طب جامعة الإسكندرية لنيروبي
خلال الفترة من ٤/١٥ الى ٨ فبراير ٨٢

الاعلامي الذي قام به المكتب لتغطية زيارة وفد أساتذة كلية الطب من خلال التحرك ا
سكندرية [illegible] بجامعة او
[illegible]
الكينيــة في النقاط التالية :ـ

اولا
* في ٨٢/٢/٢٢ أوردت صحيفة ديلي نيشن انباء زيارة الوفد المشار اليه وذكرت ان الزيا[رة]
قد أسفرت عن وضع برنامج لتبادل الاساتذة والطلبة بين كليات الطب في كل من مصر وكـ[ينيا]
كما أوردت الصحيفة التصريحات التي أدلى بها الدكتور [illegible] رئيس الوفد الذي [illegible]
[illegible] عدة افاد [illegible] تم فيها على كافة المسئولين الكينيين الذين [illegible] الوفد [illegible]
[illegible]
الافريقية والتي دامت ٢٢ يوما وقد شملت بالاضافة الى كينيا كلا من
جابون والكونغو [illegible] ورواندا وبروندي .
(مرفق رقم ١) .

الى أن جولة الوفد في [illegible]

* كذلك [illegible] [illegible] الكينية الناطقة بالانجليزية [illegible]
السواحيلية موضوعا عن زيارة الوفد ركزت فيه على أهميتها سوف تسهم في تدعيم [illegible] باللغـ[ـة]
سبل التعاون بين كينيا ومصر في مجال الخدمات الطبية . وابرزت ما [illegible] في [illegible]
[illegible]
ارسال الكينيين فقط الى مصر ولكن ستعم فائدته اذا ما قام البلدان بتبادل الـ[illegible]
والعاملين في شتى التخصصات الطبية . وذكرت أن جولة الوفد الافريقية قد تمت [illegible]
[illegible] جامعة الاسكندرية بتمويل من الحكومة المصرية . وأوردت [illegible] من
الحوى تصريحا لرئيس رابطة الاطباء الكينيين د . يوسف [illegible] ذكر فيه أن هذ[ه الزيارة]
[illegible] في الوقت المناسب لتدعيم سبل التعاون الطبي بين البلدين واضافت [illegible]
أن الرابطة التي يرأسها ستطبع [illegible] تنفيذ المقترحات والافكار التي توصل اليـ[ـها الوفد]
[illegible] (مرفق رقم ٢) .

* وبالنسبة للتغطية التليفزيونية فقد تم اعداد برنامج تليفزيوني تحدث فيه رئيس الوفـــد

سفارة جمهورية مصر العربية
نيروبي
المكتـــب الصحفـــى

ـ ٢ ـ

د. مرسي عرب أستاذ الأمراض الباطنية بكلية طب جامعة الاسكندرية ود. عمر شاهين أستاذ الجراحة العامة بالكلية وتركز حوارهما مع اثنين من كبار الصحفيين الكينيين حول مشاكل الخدمات الطبيـــة في القارة الافريقية وفي كينيا بصفة خاصة كما تناول الحوار مدى تقدم الخدمات الطبية والدراسات المتصلة بها في جمهورية مصر العربية وما تقدمه مختلف الأجهزة الطبية المصرية تقديمه من مساعدات للكينيين وفي تقديمه للبرنامج ركز المذيع الكيني على الدور الايجابي الذي اداره مناقشة البرنامج على ان مصر كانت الدولة الرائدة في مساعدة الافريقيين في كافة انحاء القارة في كفاحها للتحرر من ربقة الاستعمار كما ركز على ان مصر لاتزال تواصل دورها النشط في مساعدة دول افريقيا المستقلة في شتى المجالات . وقـــد استغرق تسجيل هذه الندوة ٣٠ دقيقة خصص لاذاعتها برنامج " [illegible] " وحدد موعدا لبثـــه تليفزيونيا على شبكة التليفزيون الكيني يوم الثلاثاء الموافق اول مارس الساعة التاسعة مساء قبل نشرة الاخبار الرئيســــية .

وقد تمكن المكتب الاعلامي من الحصول على نسخه من الفيلم الذي تم من البرنامج المذكور بعد عرضه على شبكة التليفزيون المصري (القناة الثانية) لما يحمله من مادة اعلامية طيبه عن جهود جمهورية مصـــر العربية في مساعدة الاقطار الافريقية في شتى المجالات خاصة المهنية منها .

اتشرف بان ارفق طيه نسخه من فيلم البرنامج المشار اليه برجاء التنبيه باتخاذ اللازم في هذا الشأن ثم اعادتها بالتالي الى المكتب الاعلامي حيث ان شريط الفيديو الذي يحوي مادة البرنامج يخص التليفزيون الكيني الذي يترقب اعادة الندوة ... من الاشرطة وقد تم تحميل الفيلم على حساب المكتب الاعلامي على اساس تحصيل مبلغ .. (شلن كيني (حوالي مائة دولار) اذا لم يتم اعادته في حوالي شهر من تاريخه . (مرفق رقم (٣)) .

رجاء التكرم بالنظر والاحاطة .

وينتهز المكتب الاعلامي لسفارة جمهورية مصر العربية في نيروبي هذه الفرصة لكي يعرب لسيادتكم عن خالص التحيـــة .

مستشـــار
رئيـــس المكتب الاعلامي بنيروبـــي

(محمـــد شفيـــق يســـر)

تحريرا في : ١٩٨٢/٢/١ .

التوزيـــع :
السيد رئيس مجلس ادارة الهيئة (٢ نسخة) .
السيد نائب رئيس الهيئـــة .
السيد نائب رئيس الهيئة للاعلام الخارجي .
السيد رئيس الادارة المركزية للاعلام الخارجي .
السيد مدير عام مركز المعلومات والبحـــوث .
السيد مدير افريقيا واسيا بادارة الاعلام الخارجي
السيد د. مرسي عرب استاذ الامراض الباطنية بكلية طب الاسكندرية (٢ نسخه) .
سفارة جمهورية مصر العربية في نيروبي (٥ نسخ) .
حفـــظ .

N° 1206

Le Renouveau du Burundi

QUOTIDIEN

FIN DE LA VISITE DE DIX MEDECINS CHERCHEURS DE L'UNIVERSITE D'ALEXANDRIE

Une délégation de dix médecins chercheurs de l'Université d'Alexandrie en Egypte conduite par le professeur Morsi Arab qui était arrivé le 8 de ce mois a quitté Bujumbura le 12 février [illegible] après une visite de [illegible] de 3 jours avec les autorités médicales du Burundi. Cette mission qui est une initiative non gouvernementale, mais des professeurs de l'Université d'Alexandrie avait pour but de discuter avec le doyen de la Faculté de Médecine du Burundi et ses professeurs de la possibilité d'échanges des professeurs, mais aussi d'étudier avec les autorités du Ministère burundais désireux de se spécialiser selon les besoins des services médicaux de notre pays.

Ils se sont également penchés sur les possibilités d'entreprendre des recherches communes sur les maladies touchant les deux pays. Le Ministère de la Santé Publique leur a fait un exposé sur le système de fonctionnement des services médicaux du Burundi, afin qu'ils puissent identifier ses besoins et partant, le décrire à leurs homologues égyptiens pour qu'ils puissent trouver un moyen de collaborer avec les autorités burundaises concernées dans la solution de certains problèmes médicaux communs aux deux pays.

Cette visite leur aura permis de visiter plusieurs centres médicaux du Burundi, notamment à Bujumbura et à Gitega, et ont pu se rendre compte des conditions de travail dans ces centres, pour qu'ils puissent en parler aux éventuels spécialistes égyptiens que le Burundi pourrait solliciter à l'Egypte comme il l'a fait d'autres pays amis et africains.

Ces professeurs dont c'est la troisième tournée en Afrique sont passés par le Nigeria, le Cameroun, le Gabon, le Congo-Brazzaville, le Zaïre, le Burundi et se rendront prochainement au Rwanda et au Kenya. Une délégation burundaise est attendue à Alexandrie pour poursuivre les pourparlers.



Photo de famille de la délégation de dix médecins chercheurs de l'Université d'Alexandrie. Nous remarquons sur notre photo, le chef de la délégation Dr Morsi Arab, 7ème de Gauche à droite.


L'UNION

QUOTIDIEN GABONAIS D'INFORMATION

Edité par la Sonapresse B.P. 3849 Libreville - Tél. 73.21.84
N° 2120 - 8e année - Vendredi 28 janvier 1983 - 100 F CFA

Egypte - Gabon : pour une coopération médicale plus soutenue

La délégation des médecins égyptiens arrivée le 26 au soir à Libreville pour une mission d'études au Gabon a été reçue hier en audience dans la matinée par le ministre de l'Enseignement supérieur, de la Recherche scientifique, de la Protection de la nature et de l'Environnement, le Dr Jean - Pierre Okias, ainsi que par le secrétaire d'Etat à la Santé publique, le Dr Norbert Ndong.

Les médecins égyptiens que conduit le doyen de la faculté de médecine de l'université d'Alexandrie, le Dr Rafik Zahor, ont évoqué avec le ministre Okias la possibilité de développer la coopération entre l'Egypte et le Gabon dans le domaine de la formation universitaire en matière médicale. Sur ce dernier point précis, l'université d'Alexandrie et l'université Omar Bongo de Libreville pourraient signer une convention relative aux échanges d'expériences, d'enseignants et d'étudiants au niveau de la formation du 3e cycle d'études (spécialité).

La délégation a également émis le vœu de voir le Dr Okias effectuer une visite de travail à Alexandrie, à l'effet de concrétiser les différents projets évoqués au cours de leurs entretiens.

C'est également de la coopération médicale que nos hôtes ont parlé avec le secrétaire d'Etat à la Santé, M. Norbert Ndong.

Santé

Arrivée d'une délégation de médecins égyptiens au Gabon

En provenance de Lagos et Douala, une délégation de neuf médecins égyptiens était attendue hier soir à Libreville pour une mission d'études au Gabon. Conduits par le Pr Zaiher, doyen de la faculté de médecine de l'université d'Alexandrie, ces scientifiques égyptiens rencontreront ce matin le ministre de l'Enseignement supérieur et le secrétaire d'État auprès du ministre de la Santé publique et de la Population respectivement MM. Jean-Pierre Oklas et Norbert Ndong.

Le programme de la matinée d'aujourd'hui s'achèvera par une conférence au Centre universitaire des sciences de la santé (CUSS). Le doyen de la faculté de médecine de l'Université Omar Bongo, le Pr Nguemby Mbina, et le directeur général de la Santé, M Martial Mboumbe, devront dans leur déclaration préliminaire présenter la politique gabonaise de l'enseignement de la médecine et l'organisation de la Santé publique au Gabon.

Dans l'après-midi, la délégation visitera la fondation Jeanne Ebori et le Centre hospitalier de Libreville avant de s'envoler demain matin pour la capitale du Haut-Ogooué afin de visiter le Centre de recherches médicales de Franceville (CIRMF). Samedi 29 janvier les médecins égyptiens visiteront dans la matinée les centres médicaux de Libreville et seront conviés à dîner dans la soirée à la résidence de l'ambassadeur d'Egypte au Gabon, S.E. Adel el-Adawy. Dimanche à 18 heures, M. Zaiher et sa délégation seront les invités d'Africa n° 1. Une table ronde à laquelle pourraient participer les docteurs Jean-Pierre Oklas, Norbert Ndong, Kombila et Olivier Brahim Réténo aura lieu dans la soirée sur le plateau de la RTG. L'évolution de la médecine en Afrique, les expériences égyptienne et gabonaise en matière de santé publique et de formation des médecins seront abordées au cours de cette émission.

Avant de quitter Libreville lundi après-midi une réunion de synthèse regroupera dans la matinée au ministère des Affaires étrangères et de la Coopération la délégation égyptienne et les responsables gabonais de la Santé publique et de l'Enseignement supérieur.

O.E. ■

EMBASSY OF
THE ARAB REPUBLIC OF
EGYPT
P. O. Box 20018 · NAIROBI

PRESS OFFICE

Daily NATION
Monday, February 21, 1983

Personnel exchange underway

By NATION Reporter

PLANS are underway to launch an exchange programme of university lecturers and medical experts between Kenya and Egypt, Professor Marsi Arab of the Faculty of Medicine in the University of Alexandria has said.

Grants of fellowships to higher degree studies and training will also be included in the programme, he said.

Prof. Arab said this when he led a 16-man delegation of medical experts to Kenya.

He said his delegation had met Government and university authorities in Kenya and that they had expressed interest in the programme.

The programme would also include an exchange of university examiners, he said.

The delegation, which visited Kenya for three days last week, comprised medical experts from Egypt. Their 32-day mission to Africa took them to Nigeria, Cameroun, Gabon, Congo, Zaire, Burundi, Rwanda and Kenya.

The tour, according to Prof. Arab, aims at acquainting the delegation with their counterparts to exploring possibilities of co-operation.

Elima
QUOTIDIEN DU SOIR
Mercredi 9 février 1983

Coopération médicale zaïro-égyptienne

La délégation de la Faculté de médecine d'Alexandrie a quitté Kinshasa

La délégation égyptienne de la faculté de médecine de l'Université d'Alexandrie qui a visité le Zaïre a quitté Kinshasa mardi pour Bruxelles.

Durant son séjour au Zaïre, la délégation égyptienne s'est attachée à jeter les bases d'une coopération entre les deux pays dans les domaines de la santé publique et de la formation universitaire. A cet effet, une série d'entretiens avec les responsables du Département de la santé publique

(Suite page 8)

Coopération médicale zaïro-égyptienne

(Suite de la page 1)

et des affaires sociales et les autorités de l'Université de Kinshasa, avant de visiter certaines formations médicales de Kinshasa et de Kisantu dans le Bas-Zaïre.

Une série de résolutions sanctionnant la fin du séjour au Zaïre de cette délégation ont été signées lundi soir respectivement par le professeur Ragih Zaher, doyen de la faculté de médecine de l'Université d'Alexandrie et le docteur Bele Bindo, chef du service d'anesthésie et de réanimation à la faculté de médecine de l'Université de Kinshasa.

Ces résolutions qui seront soumises aux deux gouvernements pour accord, concernent la coopération dans le secteur de la santé publique et de la formation universitaire.

Au niveau de la santé publique, la délégation zaïroise a émis le voeu de voir les médecins coopérants égyptiens affectés par groupe de quatre ou minimum [illegible] un chirurgien, un gynéco-obstétricien, un interniste et un pédiatre dans des formations médicales en régions et sous-régions où ils travailleront pour [illegible] avec leurs confrères zaïrois.

Dans les hôpitaux où seront affectés les coopérants égyptiens, souligne le document, la coordination de la politique sanitaire et la gestion relèveront de la compétence du représentant du Conseil exécutif.

Dans le chapitre de la formation universitaire, les deux délégations ont donné leur accord aux propositions suivantes :

— Possibilité pour les étudiants zaïrois d'entreprendre des études de médecine et de dentisterie dans les facultés de médecine de l'Université d'Alexandrie, dans le cadre des bourses octroyées par l'Egypte au Zaïre.

— Facilité pour les médecins et les dentistes zaïrois de se spécialiser en Egypte.

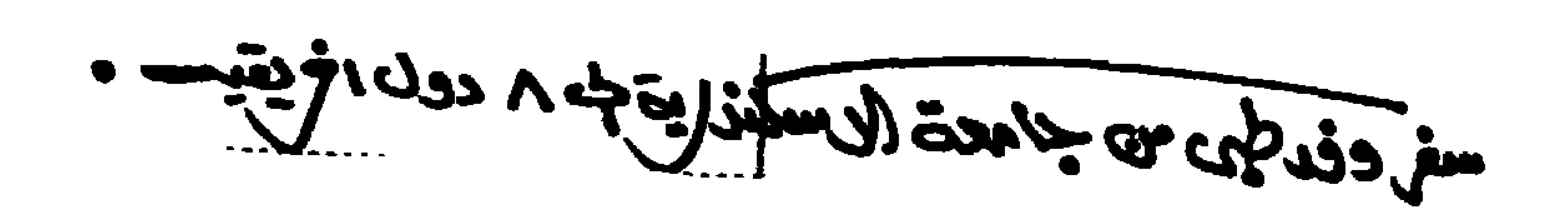
— La délégation égyptienne a souhaité qu'un groupe d'experts zaïrois se rende en Egypte pour répondre à l'invitation qui leur a déjà été adressée.

Les frais de séjour de ces experts seront à charge de la faculté de médecine d'Alexandrie.



Une délégation des médecins égyptiens aux CUK

(Lire en pages 2 e



سفراء الطب المصريين في أفريقيا

اساتذة جامعة الاسكندرية يتجولون في ٢١ دولة أفريقية

تحقيق وتصوير
وجدى رياض

على مدى ٢٥ عاما كانت القاهرة دائما تطل على القارة الافريقية تسمع نبضها وتشارك اهلها افراحهم واتراحهم وكانت مصر ممثلة في سفاراتها والسفارات الغير رسمية مثل مكاتب شركة النصر للتصدير والاستيراد التي غطت اكثر من ٢١ دولة افريقية لم تكن قد حصلت بعد على استقلالها وقد كانت مصر دائما وراء حركات التحرير ، تدعمها حتى حصلت

مجموعة وقائع طبية تحكى قصصاً واقعية لأحداث عايشها المؤلف خلال فترة تزيد عن نصف قرن من حياة حافلة بالتجارب العميقة منذ أن كان طالباً يدرس الطب إلى أن بلغ أرفع الدرجات الجامعية وسافر إلى جميع أرجاء العالم وتولى العديد من المسئوليات فى مصر وفى المنظمات العلمية الدولية ولم يكن فى كل مارآه وسمعه وعايشه مجرد شاهد عيان وإنما كان صانعاً للأحداث ومشاركاً إيجابياً فى كل ماترويه هذه المجموعة من الكتب الموثقة عن تلك الأحداث .



الدكتور مرسى عرب

- أستاذ الأمراض الباطنة بكلية طب الإسكندرية .
- ولد بالإسكندرية ١٩٣٢ وتخرج من كلية الطب ١٩٥٥ وأصبح أستاذاً ثم رئيساً لأقسام الأمراض الباطنة بها.
- تولى مناصب قيادية فى الجمعيات العلمية على المستوى القومى والدولى (نائب رئيس الإتحاد الدولى للسكر والمنظمات العربية والإفريقية ودول البحر المتوسط) .
- أسس العديد من الجمعيات والمؤسسات الأهلية لخدمة المرضى والطلاب والخريجين ودعم التقدم فى العلوم الطبية ودعم القيم الإنسانية والحضارية .
- زار مختلف ب... اته العلمية الدول... ية فى جامعتى لند... .
- صدر له ال... لمية فى الطب ا... الطب العربى مؤلفا...
- عضو اتحا... .

هذا الكتاب

هوسجل أمين للدور الرائد الذي قام به أساتذة كلية الطب فى جامعة الإسكندرية على شكل بعثات صداقة طبية إلى مجموعة كبيرة من دول إفريقيا فى ثلاث رحلات حققت دعماً للعلاقات الثقافية والنشاط الدبلوماسى وتأكيداً للدور القيادى لمصر فى إفريقيا .

وكان المؤلف هو المخطط والمدير التنفيذى لهذه الرحلات ، وهو يسجل الى جانب مشاهداته الموثقة الدور الفعال لشخصيات عظيمة من رجال كان لهم الفضل فى نجاح هذا العمل غير المسبوق وتحقيق نتائجه العظيمة .

الناشر

مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع
١٤٤ ش طيبة – سموحة – الإسكندرية ت: ٥٩٧٢١٧١ / ٠٣ تليفاكس:
مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع ٧ ش علام حسين – الظاهر – القاهرة ت: ٦٨٦٦٧٤٦٠ / ٠٢